

نفحات الهداية

مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام



ISBN 978-9933-489-03-8

9 789933 489038

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١١ ـ ٢١٩١

الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٠٣٨

BP الصالحي، ياسر، - م.

٤١/٤٠٩ نفحات الهداية: مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام / إعداد ياسر الصالحي؛ [تقديم

٢ ص/ محمد علي الحلو]. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية

٧ ن ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

ص٢٩٦. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٦٤)

المصادر: ص ٢٨٣ - ٢٨٦؛ وكذلك في الحاشية.

١ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. تأثير في المستبصرين. ٢ . المستبصرون - تأثير الحسين بن علي (ع) . ٣ . واقعة كربلاء، ٦١ق. نتائج وتأثيرات. ٤ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - كرامات. ٥. الشيعة - تاريخ - تعقيب وإيذاء . ٦. يزيد بن معاوية، خليفة أموي، ٢٥ - ٦٤ق. - شبهات وردود. ألف. الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - م، مقدم. ب. العنوان.

BP ٤١ / ٤٠٩ / ص ٢ ن ٧

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

نفحات الهداية

مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام

إعداد

الشيخ ياسر الصالحي

إصدار

وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله عليه

في قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

بقلم سماحة السيّد محمّد علي الحلو

لم تكن الدماء النازفة يوم عاشوراء لتعصف بكيانات الظالمين من دون أن تروي رياض النفس الهائمةِ في معترك الأفكار المختلفة، فتنفتح أساريرها غضّةً رويّةً تهتدي بقبس الإصلاح يوم رفعه الحسين عليه السلام حين أن تنادى القوم: (لا تُبقوا لأهل هذا البيت من باقية)، فأجابهم عليه السلام:

«إنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي....».

شتّان بين البقاء والفناء، وبين الهزيمة والفداء، وبين إرادة التضحية ليحيى الآخرون سعداء، وأن يموت الجميع ليعيش البعضُ للفناء.. وهكذا تبقى ثورة عاشوراء تحطّم استبداد النفوس الطاغية على إرادة المعرفة لتستعيد لها هيبة الانتصار..

كان اليوم العاشورائي مضمخاً بدماء التضحية كما هو مضمخٌ بعبير زهو الانتصار ليفتح للنفوس المتورّمةِ بحمى الخيلاء، والهائجة بعقدة الذنب مساحات شاسعة من التغيير، بل ومن التعبير عمَّا يعتلجُ في النفوس من دواعي المعرفة والوصول إلى

الحقيقة، فكان صوت الحرِّ حرّاً في الاختيار، وقد سبقه قبل ذلك زهير بن القين في التحرّر من الانصياع إلى تقديس الاعتقاد الذي رضخ له طائعاً أو مكرهاً من دون أن يُعطي للعقل حقّهُ وللنفس تعبيرها..

كان الموقف الحسيني قد أثرى النفوس القاحلة بمعين المعرفةِ لتنقدح في القلوب المجدبة واحات الحقّ، وقد استمالت دعوة الحسين للنصرة ثلاثين مقاتلاً من معسكر آل أبي سفيان لينحازوا إلى الحقّ حتّى في آخر لحظات الثورة والانتصار..

وهكذا هي دعوة الحسين تفعلُ في النفوس كما هي تفعلُ في القلوب وتصطرخ الأعماق، كما هي تسترقّها الأسماع غضّةً طريّةً لا همّها عوادي الزمن ومسافات الأمصار..

وحين تتصفَّح السِفر الذي بين يديك تهتزُّ فيك أعماق الانتصار وأنت تقرأ قوافل المهتدين تتتابع لتدخل محراب الهداية الحسينية فتصلّي صلاة خشوع النفس متسلّمة زكيّة، وتتهافت النفوس على رحيق عاشوراء لتنهلّ من هداه رشفة الحياة..

ولعلَّك تنساقُ في وهم الخيال بعد هذا وأنت لم تتصفَّح بعدُ ما أعدَّه الشيخ ياسر الصالحي من (نفحات الهداية) تنفحُ على رُبى النفوس المولهة بشهادة الحسين عليه السلام، والتي هي حياة نفوس هائمة تضطلعُ بالبحث عن الحقيقة لتقف عليها آمنةً مطمئنّةً..

هذه هي قصَّة كتاب ارتوى من معين الهداية واستجلى أعماق الحقيقة ليسيّرها بنفوس طائعةٍ مذعنةٍ..

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

لطالما استوقفني العطاء الحسيني الثر في مختلف الميادين، فهو نبراس في ميادين التضحية والفداء، وهو المحور في ساحات الجهاد وبذل المُهج عبر التاريخ، ولم يقتصر الأمر على أتباع مدرسة أهل البيت فحسب، بل أصبح العطاء الحسيني نبض الإنسانية، ومحرّك الضمير البشري عبر الأجيال. فهو بحقّ مصباح لا يطفئ، ونور لا يخفت، ومنار لا يخبو، وعلم لا ينكفئ، وراية للأحرار لا تنكس أبداً.

وبين يديك عزيز القارئ باقة من روض عطاء الحسين عليه السلام، وإشراقة من نور أبي الأحرار أضاءت على القلوب الحرّى فغرست فيها حبّ الحسين عليه السلام، وترعرعت فيها تعاليم سيّد الشهداء عليه السلام، فسارت على خطاه، واتَّبعت نهجه، واستبصرت بهداه، وانغمرت في نور قدسه الأبهج بعد أن كانت غارقة في بحر الظلمات والحرمان، فأنار الله قلوبها بالحسين عليه السلام فتحوَّلت إلى مدرسة الحسين عليه السلام وأبناء الحسين عليهم السلام.

شخصيات لم تمنعها ماكنة الإعلام الأموي عبر التاريخ من النظر بعين البصيرة، والانفتاح على عين الحقيقة، ونبض الضمير الإنساني في لجج الإعلام المضادّ، فنهلت من الحسين عليه السلام سقياً عذباً سائغاً شرابه.

وقبل الختام فلا أدَّعي أنّي أتيت بجديد فغاية ما وفّقت إليه هو تسليط الضوء على إشراقة من فيض الحسين عليه السلام، ومفردة من رحمة الله الواسعة.

وختاماً فقد استفدت في جمع هذه الفيوضات الحسينية على المستبصرين من عدد من الموسوعات التي تتحدَّث عن حياتهم وكيفية استبصارهم، وأخصُّ بالذكر: موسوعة المستبصرون لمركز الأبحاث العقائدية، وموسوعة المتحوّلون للشيخ المستبصر هشام آل قطيط، وكذلك من مواقع الانترنيت ومنتديات حوارية.

الشيخ ياسر الصالحي

٢١/ جمادي الأولى/ ١٤٣٢هـ

(١)

إبراهيم وترى

(مالكي/ ساحل العاج)

ولد بقرية (سوكو) التابعة لمدينة (بوندوكو) في ساحل العـاج[1] عـام (١٩٨٠م)، من عائلة تعتنق المذهب المالكي.

تشرَّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام (١٩٩٣م) في بـلاده، بعـد أن تجلَّت له الحقائق من خلال البحث والتتبّع.

بداية الالتفات إلى الحقيقة

يقول إبراهيم: (ما زلت أتذكَّر ذلك اليوم الذي طرق سمعي فيه كلمة الشيعة، إذ كنت آنذاك طالباً في مدرسة التربية والتعليم الإسلامي، وكنت أحبّ مادّة التاريخ، وفي أحد الأيّام كان الدرس يرتبط بالعهد الأموي، فتطـرَّق الأسـتاذ في الـدرس حـول أهـمّ الأحداث التي وقعت خلال مدّة حكم الأمويين، ومنـها واقعـة الطـفّ! فأشـار الأسـتاذ بشكل عابر إلى مجريات واقعة الطفّ، وذكر أنَّ الخليفة يزيد بن معاوية قتل الحسين عليه

(١) ساحل العاج: تقع في الجزء الغربي من أفريقيا وتطل على المحيط الأطلسي، يبلغ عدد سكّانها قرابـة (١٨) مليـون نسمة، تتجاوز نسبة المسلمين (٥٠%)، أغلبهم من أتباع المذهب المـالكي، أمَّا الـشيعة فيوجـد عـدَّة آلاف مـن أهل البلد إضافة إلى عشرات الآلاف من المهاجرين.

السلام وأهل بيته بصورة فجيعة وبادر إلى إبادة الشيعة في هذه الواقعة، ثمّ أشار الأستاذ إلى بعض الأفعال المروّعة التي ارتكبها معسكر يزيد ضدّ الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

التعرّف على الشيعة

فتأثّرت من أعماق كياني بواقعة الطفّ الدامية التي كان ضحيّتها ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وتداعى في ذهني كيف تجرّأ يزيد بارتكاب هذه الأفعال الشنيعة وهو الخليفة يوم ذاك!

ثمّ وقع تساؤل في نفسي: يا ترى من هم الشيعة الذين ذكرهم الأستاذ وقال: إنّ يزيد أبادهم؟ وما هي صلتهم بالحسين عليه السلام؟

فلمّا انتهى الدرس توجّهت إلى الأستاذ لأستفسر منه حول الشيعة الذين ذكرهم، فقلت له: من هم هؤلاء؟ وما هي صلتهم بالحسين عليه السلام؟ ولماذا أمر الخليفة يزيد بقتلهم وقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فأجابني الأستاذ: إنّ الشيعة طائفة إسلاميّة تعتقد بإمامة علي بن أبي طالب وولده، وتقول بأنّه الأحقّ بالخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنّ لهؤلاء معتقدات تغاير ما عليه المسلمون وهي عقائد ضالّة ومنحرفة، وهم أناس خرافيّون لا يستندون إلى دليل منطقي أو برهان عقلي فيما يذهبون إليه.

ثمّ أضاف الأستاذ قائلاً: ويمكن تمييز هؤلاء من غيرهم بكيفية أدائهم للصلاة، فهم يسجدون على التربة، ثمّ قال لي: ويمكنك للمزيد من التعرّف عليهم أن تذهب إلى (آدم) لأنّه أصبح منهم وانتمى إلى التشيّع، فأحبّذ أن تلتقي به لتجد الانحراف الفكري عنده بصورة مباشرة وتلمس أفكاره الضالّة بوضوح.

المفاجأة باستبصار أحد أقربائي

استغربت من كلام الأستاذ عندما أنبأني بأنَّ (آدم) قد انتمى إلى التشيّع! فقلت في نفسي: إنَّه خير من أستفسر منه حقيقة هؤلاء الناس الذين لاقوا ما لاقوا يوم عاشوراء.

فقصدته وأخبرته بما جرى بيني وبين أستاذي حول واقعة الطفّ، وطلبت منه أن يبيّن لي ما عنده ويذكر لي أسباب انتمائه لهؤلاء الناس، فقبل منّي ذلك واتَّفقنا معاً على موعد معيَّن لنتحدَّث في هذا الموضوع.

وفي الموعد المقرَّر، بدأ الأخ (آدم) الحديث قائلاً: إنَّ الأحداث التي تلت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة، ويحتار الباحث في تعيين الانطلاقة في البحث.

فقلت له: الأفضل أن نشرع من البداية كي تتَّضح الأمور، فبدأ (آدم) بالحديث عن مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجرّؤ بعض الصحابة عليه واتّهامهم له صلى الله عليه وآله وسلم بالهجر والهذيان، وما جرى بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أحداث في السقيفة، وانتهاك القوم لحرمة بيت فاطمة عليها السلام و...، ثمّ تدرَّج في الأحداث التي وقعت بعد تولّي يزيد لأمر الخلافة).

شخصية يزيد بن معاوية

إنَّ شخصية يزيد معروفة وواضحة لمن له أدنى مراجعة لكتب التاريخ، لأنَّ الإنسان مخبوء تحت لسانه، والأقوال المنقولة عن لسان يزيد تكشف بوضوح حقيقة أمره، كما أنَّ يزيد لم يكن من أمثال المنافقين ليخفي سريرته، بل كان يجهر بالفسق والفجور قولاً وعملاً منذ نشأته حتَّى تنصيبه للخلافة، وورد أنَّه قال بعد موت أبيه

معاوية وإفضاء الأمر إليه: «قد ولّيت الأمر بعده، ولست أعتذر عن جهل، ولا أشتغل بطلب علم»[١].

فهو يقرّ بعنجهيته ولهوه وجهله، ويفرض على أمّة الإسلام وجوده ويهدّد من يخالفه بالإرهاب والقتل، ولم يكن ما صدر من يزيد إلاَّ لأنَّ الترف باعد بينه وبين الدين، فجعله شخصية دكتاتورية لا يهمّها سوى إشباع غرائزها وتحقيق نزواها مهما كلَّف الأمر.

كما أنَّ معاوية كان قد مهَّد له الأجواء والأرضية ليعبث بها كيف ما شاء، فاستغلَّ يزيد هذا الأمر وارتكب ما تهواه نفسه، فكان يزيد يفتقد الحدّ الأدنى من المقوّمات التي تجعله مؤهّلاً لمنصب الخلافة، بحيث أقرَّ بذلك الدعي زياد بن أبيه - وهو من عُرف ببغيه وسوء سريرته - وكتب إلى معاوية بشأن البيعة ليزيد: «ويزيد صاحب رَسْلَة وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد»[٢]، ويزيد معروف بالتهوّر وعدم الاتّزان، حيث قال عنه البلاذري: «لا يهمّ بشيء إلاَّ ركبه»[٣].

وبمراجعة ما ذكره المؤرّخون عن مقاطع حياته تنكشف بوضوح شخصية يزيد المستهترة، ويعود السبب الكبير في ضعف صلة يزيد بالدين هو ترعرعه - كما سيأتي في الأجواء المسيحية التي نشأ فيها - وهذه الأجواء هي التي جعلته عاجزاً عن النفاق والتظاهر بالورع والتقوى، والتلبّس بلباس الدين، وجعلته مجاهراً بارتكاب المحرَّمات واقتراف الآثام[٤].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٦٥؛ العقد الفريد ٥: ١٢٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٢٤ و٢٢٥؛ تاريخ مدينة دمشق ٣٨: ٢١٢؛ الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٥.

(٣) أنساب الأشراف ٥: ٢٩٩.

(٤) أنظر: تاريخ العرب لفيليب حتّي ٢: ٢٥٨؛ سمو المعنى في سمو الذات لعبد الله العلايلي: ٥٩ - ٦١؛ الدولة العربية وسقوطها لولهاوزن: ١٣٧ و١٣٨؛ تاريخ الشعوب الإسلاميّة لبروكلمان: ١٢٩؛ رسائل الجاحظ ٣: ٧٢.

وكان الإمام الحسين عليه السلام يعلم أنَّ تولّي يزيد للخلافة سوف يؤدّي إلى اضمحلال الدين، وتفشّي الضلال في أوساط الأمّة، فلهذا كتب إلى معاوية جواباً على رسالته ووصف فيها يزيد بدقّة وبصراحة:

«... وفهمت ما ذكرت عن يزيد، من اكتماله وسياسته لأمّة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد! كأنَّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمَّا كان ممَّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهنَّ، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي تجده باصراً»[(١)].

ولكن معاوية كان يريد أن يحوّل الخلافة إلى ملكيّة فلم يبال بما قيل له، بل حاول تمهيد أرضية الحكم لابنه وبذل قصارى جهده لتحقيق ذلك، حتَّى وصل به الحدّ أن أمر بوضع أحاديث تروّض الناس على الخضوع والذلّ، وترسّخ عقيدة الجبر في أوساط الأمّة، ليؤهّل بذلك الأرضية لرضوخها في قبول ابنه كخليفة لله يجب السكوت على تصرّفاته مهما كانت، كما في حديث: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنَّه من فارق الجماعة شبراً، فمات إلاَّ مات ميتة جاهلية»[(٢)].

وكان هذا الأسلوب إحدى طرق التضليل الديني الذي ابتدعه معاوية لتثبيت ملكه وملك بني أمية! حيث قال له يزيد بعد أن تمَّت له البيعة بولاية العهد: (والله ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا؟! فقال له معاوية: كلّ من أردت خديعته فتخادع لك حتَّى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته)[(٣)].

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ١٦٠.

(٢) صحيح البخاري ٨ : ٨٧؛ صحيح مسلم ٦ : ٢١؛ سنن البيهقي ٨ : ١٥٧.

(٣) الكامل للمبرّد ٢ : ٨٣ .

جرائم يزيد بن معاوية

عند تولّي يزيد الخلافة لم يجد الإمام الحسين عليه السلام بُدّاً من رفض بيعته وتوعية الناس وتنبيههم بالخطر الذي كان يهدّد جذور الإسلام، فقال عليه السلام لّما بلغه ذلك:

«وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براعٍ مثل يزيد»[1].

فقابله يزيد بعنف حتّى حدثت مجزرة كربلاء الرهيبة، فذُبح الحسين عليه السلام وقتل آل رسول الله عليهم السلام ومن شايعهم، ومُثّل بهم أبشع تمثيل، وسُبيت نساءهم وذراريهم، ونُهب رحلهم، ثمّ لم يكتف يزيد بهذه الجريمة، بل أمر بالهجوم على مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعارضتهم لحكمه، فاستباحها وقتل أهلها وهتك الأعراض فيها، فافتضَّ عساكره في هذه الواقعة ألف بكر! وقتل الآلاف من المسلمين فيهم جمع من الصحابة! وجريمته المنكرة هدمه للكعبة المشرَّفة وحرقها وترويع أهل الحرم المكّي! وكلّ هذا ذكره المؤرّخون وأصحاب السير وغيرهم.

وقد ذكر المؤرّخ الأموي ابن عبد ربّه الأَندلسي أخباراً عجيبة، ومثالب كثيرة، من شربه الخمر، وقتل ابن الرسول، ولعن الوصيّ، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدماء، والفسق والفجور، وغير ذلك ممَّا قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه، كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله[2].

كما أنَّ يزيد بن معاوية اعتمد في ارتكابه لهذه الجرائم على أعوان لا يؤمنون بشيء من القيم الإنسانية، بل كانوا مزيجاً من المسوخ البشرية وذوي العاهات النفسية الغريبة التركيب، فكانوا يمتلكون نفوساً مليئة بالحقد والتدمير للأمّة الإسلاميّة ورموزها المقدَّسة.

(١) مثير الأحزان: ١٥؛ الفتوح ٥: ١٧؛ اللهوف: ١٨.

(٢) أنظر: العقد الفريد ٥: ١٢٤ ـ ١٤٠.

فكان من هؤلاء: مستشاره ونديمه المرافق لـه كظلّـه (سـرجون النـصراني) الـذي أدّى دوراً هدَّاماً في الكيان الإسلامي، فقرَّبه يزيد ومنحـه المكانـة العاليـة وبـسط يـده في الدولة، لأنَّ يزيد عاش مدّة طفولته وشبابه المبكر مع اُمّه (ميسون) وأخوالـه بـني كلـب النصارى؛ وكان من شعراء يزيد (الأخطل) وهو نصراني لئيم أيضاً، تمـادى في هجـوه للأنصار! ولم يكتف يزيد بذلك، بل عهد بتربية أحد أبنائه إلى مربٍّ نصراني!

واعتمد أيضاً علـى الأدعيـاء وأبنـاء الأدعيـاء، كـ(عبيـد الله بـن زيـاد) المعـروف ببغضه لآل البيت عليهم السلام وشيعتهم، والمشهور بفتكه وقسوته، كما اعتمـد علـى (عمر بن سعد بن أبي وقّاص) المعروف بطمعه وحبّه للمناصب، وهو الذي وجّه لحرب الحسين عليه السلام، وكان أوّل من شنَّ الحـرب في أرض كـربلاء ضـدّ الإمـام الحسين عليه السلام ليرضي بـذلك ابـن زيـاد فيولّيـه بـلاد الـري وجرجـان، فرمـى بـسهم نحـو معسكر أبي عبد الله عليه السلام وقال: (اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل مـن رمـى)، ثمّ رمى الناس[1]!

واعتمد يزيد علـى الخـارجي (شمـر بـن ذي الجوشـن) الـذي عـرف عنـه النَصب والعداوة لآل علي عليه السلام، تلك العداوة التي جسَّدها بكلّ خسّة عند تولّيـه لـذبح سيّد الشهداء عليه السلام!

وغير هؤلاء كثير، فكانت تـصرّفاهم مطابقـة لتـصرّفات يزيـد بحيـث غلـب علـى أصـحابه وعمّالـه مـا كـان يفعلـه مـن الفـسوق، وفي أيّامـه ظهـر الغنـاء بمكّـة والمدينـة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب!

وإنَّ التاريخ بالرغم من كتابة أكثر فصوله بأقلام كانت تداري حكّام الجور الذين كانوا يبغضون علياً وبنيه عليهم السلام قد ذكر أفعال يزيد وشخصيته، ولكن مع ذلك

(١) أنظر: الفتوح ٥: ١٠٠؛ مثير الأحزان: ٤١؛ اللهوف: ٦٠.

نجد هناك بعض ممَّن في قلبه مرض حاول الدفاع عن يزيد ولم يجوّز لعنه!

فقد قال ابن كثير بعد ما نقل عن أبي الفرج الحنبلي تجويز لعنه:

«ومنع من ذلك آخرون، وصنَّفوا في ذلك أيضاً لئلاَّ يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ما صدر منه من سوء التصرّفات على أنَّه تأوَّل وأخطأ، وقالوا: إنَّه كان مع ذلك إماماً فاسقاً، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرَّد فسقه على أصحّ قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة، ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام... وأمَّا ما ذكره بعض الناس من أنَّ يزيد لَّما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم عند الحَرّة من مسلم بن عقبة وجيشه، فرح بذلك فرحاً شديداً، فإنَّه كان يرى أنَّه الإمام وقد خرجوا عن طاعته، وأمَّروا عليه غيره، فله قتالهم حتَّى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة»[(١)].

(وإن عشت أراك الدهر عجباً) فالخروج على السلطان الجائر المستحلّ لحرام الله المؤدّي إلى وقوع الهرج وسفك الدم الحرام غير جائز! وبقاء الحاكم الذي عمَّ بظلّه الهرج والمرج، وسفك بأمره دم آل رسول الله عليهم السلام وهدم بأمره بيت الله و... كلّ هذا جائز.

﴿ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (الصافّات: ١٥٤).

وقال الذهبي عن لعنه: «ويزيد ممَّن لا نسبّه ولا نحبّه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك في ملوك النواحي، بل فيهم من هو شرّ منه، وإنَّما عظم الخطب لكونه ولّي بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وجدّه»[(٢)].

---

(١) البداية والنهاية ٨ : ٢٤٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٦.

فالذهبي لا يسبّه لوجود نظراء سوء مثله، ولا يحبّه لأنَّ ابن عمر أولى بالأمر منه! ولهذا عظم الخطب عنده، لا لقتله سيّد شباب الجنّة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا لقتله المسلمين وهتكه للأعراض في المدينة المنوَّرة، ولا لهدمه الكعبة المشرَّفة!

وزعم أبو بكر ابن العربي المالكي أنَّ الحسين قتل بسيف جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يجوز لعن يزيد لذلك[1]!

واستحسن ابن حجر الهيثمي ما ذهب إليه الغزالي والمتولّي بعد أن نقل قولهما في كتابه الصواعق: «لا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره، فإنَّه من جملة المؤمنين، وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه»[2]!

ويا ترى من أين جاء له الإيمان؟! وهو الذي وضع رأس الحسين عليه السلام ورؤوس آل عبد المطَّلب بين يديه وتمثَّل بأبيات المشرك ابن الزبعرى - التي افتخر فيها بانتصار قريش على المسلمين يوم أُحُد - فجعل يزيد ينشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	**جزع الخزرج من وقع الأسلْ**
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً	**ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشلْ**
قد قتلنا القرم من ساداتهم	**وعدلنا ميل بدر فاعتدلْ**

كما أنَّه نكث رأس الحسين عليه السلام بخيزرانته وأنشد يقول بمرأى ومسمع من المسلمين:

لست من خندف إن لم أنتقم	**من بني أحمد ما كان فعلْ**
لعبت هاشم بالملك فلا	**خبر جاء ولا وحي نزلْ**[3]

(١) أنظر: تفسير الآلوسي ٢٦ : ٧٣؛ ويظهر هذا المعنى من كتاب ابن العربي (العواصم والقواصم).

(٢) الصواعق المحرقة ٢ : ٦٣٩ و٦٤٠.

(٣) أنظر: تاريخ الطبري ٨ : ١٨٧ و١٨٨.

وأقواله هذه توحي أنَّه كان من الذين:

﴿جَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤)، ﴿فَإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحجّ: ٤٦).

العلماء المصرّحون بكفر يزيد وجواز لعنه

وممَّا يستنتج من أفعال يزيد بن معاوية، أنَّه كان لا يؤمن بالله عز وجل في قرارة نفسه، وكان جانحاً ميّالاً للعبث في تصرّفاته، وحاقداً على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وآله، ولهذا جزم بعض علماء العامّة بكفره وجواز لعنه، كابن الجوزي، والقاضي أبي يعلى، والتفتازاني، وجلال الدين السيوطي، وأحمد بن حنبل[1]، وغيرهم.

وقد ألَّف ابن الجوزي كتاباً أسماه (الردّ على المتعصّب العنيد، المانع من ذمّ يزيد)، وقال فيه: «سألني سائل في بعض مجالس الوعظ عن يزيد بن معاوية وما فعل في حقّ الحسين عليه السلام، فقلت: يكفيه ما فيه...! قال: تجوّز لعنه؟ فقلت: قد أجازها العلماء الورعون، منهم الإمام أحمد بن حنبل [فإنَّه ذكر في حقّ يزيد ما يزيد على اللعنة]»[2].

وروى عن القاضي أبي يعلى بن الفرّاء، أنَّه روى في كتابه المعتمد في الأصول بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل، قال: «قلت لأبي: إنَّ قوماً ينسبوننا إلى توالي يزيد؟! فقال: يا بني، وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله؟ [فقلت: فلِمَ لا تلعنه؟! فقال: ومتى رأيتني لعنت شيئاً يا بني]، لِمَ لا تلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقال: في قوله تعالى:

---

(١) أنظر: تفسير الآلوسي ٢٦: ٧٢ و٧٣.

(٢) الردّ على المتعصّب العنيد: ٦.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ * أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ﴾ [محمّد: ٢٢ و٢٣].

فهل يكون فساداً أعظم من القتل؟»[١].

وقد صنَّف القاضي أبو يعلى كتاباً ذكر فيه بيان من يستحقّ اللعن، ومنهم يزيد، وقال: «الممتنع من ذلك إمَّا أن يكون غير عالم بجواز ذلك، أو منافقاً...»[٢].

وقال سعد الدين التفتازاني: «وبعضهم أطلق اللعن عليه، لما أنَّه كفر حين أمر بقتل الحسين عليه السلام، واتَّفقوا على جواز اللعن على من قتله، أو أمر به، أو أجازه، أو رضي به. والحقّ: إنَّ رضى يزيد لعنه الله بقتل الحسين عليه السلام واستبشاره بذلك، وإهانته أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممَّا تواتر معناه، وإن كانت تفاصيله آحاداً، فنحن لا نتوقَّف في شأنه، بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه»[٣].

وقال الآلوسي في تفسيره بعد أن ذكر كلام ابن الجوزي في يزيد: «وأنا أقول: الذي يغلب على ظنّي أنَّ الخبيث لم يكن مصدّقاً برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم... ولو سُلّم أنَّ الخبيث كان مسلماً فهو مسلمٌ جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصوَّر أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنَّه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه»[٤].

وواقعة الحَرّة تشهد على فعل يزيد بالمدينة وأهلها، وخصوصاً بعد ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) الردّ على المتعصّب العنيد: ١٦ و١٧.

(٢) الردّ على المتعصّب العنيد: ١٨.

(٣) شرح العقائد النسفية: ١٠٣.

(٤) تفسير الآلوسي ٢٦: ٧٣.

«من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...»[١].

فيزيد بن معاوية ملعون آيس من رحمة الله، وقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يولد بعد، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يزيد لا بارك الله بيزيد...، نُعي إليَّ الحسين، واُوتيت بتربته، وأُخبرت بقاتله... واهاً لفراخ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من خليفة مستخلف مترف، يقتل خلفي وخلف الخلف»[٢].

كما لعنه صلى الله عليه وآله وسلم بالوصف أيضاً، فقال:

«سبعة [ستّة] لعنتهم وكلّ نبيّ مجاب الدعوة... والمستحلّ من عترتي ما حرَّم الله»[٣].

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبي يعلى، والروياني، والحافظ السلمي، والنيسابوري، والبيهقي، وابن عساكر، والضياء، عن أبي ذر رحمه الله أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أوّل من يبدّل سُنّتي رجل من بني أميّة – وزاد الروياني – يقال له: يزيد»[٤].

وقد تبرَّء بعض بني أميّة من سوء فعاله، وأدانوا سيرته، حتَّى أنَّ ابنه معاوية قال عنه عندما هلك يزيد: «إنَّ أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة...»[٥].

(١) مسند أحمد ٤: ٥٥؛ البداية والنهاية ٨: ٢٤٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٢٠/ ح ٢٨٦١؛ كنز العمّال ١١: ١٦٦/ ح ٣١٠٦١.

(٣) مستدرك الحاكم ١: ٣٦، و٢: ٥٢٥، و٤: ٩٠؛ صحيح ابن حبّان ١٣: ٦٠؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٢٧/ ح ٢٨٨٣.

(٤) المصنَّف لابن أبي شيبة٨: ٢٤١/ ح١٤٥؛ مسند أبي يعلى٢: ١٧٦/ ح(٨٧١/٢)؛ تاريخ مدينة دمشق٦٣: ٣٣٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥٤.

ومن كلام ابنه هذا يحكم بكفره لا محالة، لأنَّه غيَّر حكم الله وبدَّل شريعة الإسلام بإباحته للخمر - وتحليل الخمر يعني الحكم بأنَّها حلال ومباح - وفاعل ذلك كافرٌ شرعاً لا خلاف فيه، وإذا قيل: إنَّه ولد من مسلم، يكون مرتدّاً فطرياً يجب قتله!

كما أكَّد عمر بن عبد العزيز إدانته لأفعال يزيد، عندما ذكره رجل في بلاطه فقال: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال: (تقول أمير المؤمنين!؟)، فأمر به فضرب عشرين سوطاً[1].

وقد ارتكب يزيد من الجرائم حتَّى خشي الناس غضب الله عليهم! فعن عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة -، قال: «فوالله ما خرجنا على يزيد حتَّى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، إنَّ رجلاً ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة...»[2].

نقطة التحوّل والاستبصار

يقول إبراهيم وترى: (جعلني كلام قريبي آدم مذهولاً مندهشاً بعدما كشف لي الستار عن هذه الحقائق التاريخية! فتجلّى لي بوضوح أنَّ من يحمل هذه الصفات المذمومة والرذائل الموبقة لا يجوز له أن يقود أمّة ترعرعت في أوساطها أقدس رسالات الله تعالى، ولا يستحقّ أن يلقَّب: خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنَّه يفقد جميع مقوّمات الخلافة.

فمن ذلك الحين وجدت يزيد رجلاً على حدّ تعبير الذهبي: (ناصبياً، فظّاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين،

---

(١) أنظر: تهذيب التهذيب ١١: ٣١٧؛ تاريخ الإسلام ٥: ٢٧٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٥: ٦٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٤٢٩؛ الصواعق المحرقة ٢: ٦٣٤.

واختتمها بواقعة الحَرّة، فمقته الناس»[١].

فاتَّفقت مع الأخ (آدم) على عقد لقاءات أخرى لأتعرَّف على الشيعة أكثر فأكثر، وتكرَّرت اللقاءات وتعدَّدت البحوث حول موضوعات الإمامة والخلافة، وكان (آدم) يدعم أقواله بالأدلّة والبراهين، ويرشدني إلى الكتب، لاسيّما كتب أبناء العامّة لأحقّق في الأمر بنفسي، وهكذا بقيت استفسر وأطالع و...

ومن جانب آخر كنت أناقش أستاذي - الذي أرشدني لـ(آدم) - في هذه المسائل، فبدأ الأستاذ يمتعض منّي، وخشي أن أتحوَّل إلى مذهب الشيعة، فزوَّدني بعناوين بعض المؤسّسات الثقافية لترفدني بالكتب والإصدارات التي قد توقف وتحدّ من تأمّلاتي في سلوك خلفاء الإسلام الذين كنت أجهل عنهم كلّ شيء تقريباً.

ولكنّي بمرور الزمان تعرَّفت على حقائق واجهت في الإذعان بها صعوبة بالغة، نتيجة الترسّبات الفكرية السابقة، وكنت أقول في نفسي: كيف أترك مذهبي؟! كيف أهجر معتقداتي؟! كيف؟ كيف...؟ ودارت الأيّام حتَّى التقيت بأحد أصدقائي السابقين - وكان أحد طلاّب مدرسة أهل البيت عليهم السلام في غانا - فتحاورت معه في هذا المجال، فأعطاني كتاب (ثمّ اهتديت) و(لأكون مع الصادقين) و(مؤتمر علماء بغداد)، فوجدت فيها حقائق أخرى تؤيّد ما ذكر لي (آدم) من قبل.

وشيئاً فشيئاً بدأت سحب الظلام تنقشع من أمامي ونور الهداية يجذبني، فقرَّرت الالتحاق بسفينة النجاة والاهتداء بنجوم الأمان والانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، فأعلنت استبصاري عام (١٩٩٣م) في ساحل العاج).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٧ و٣٨.

(٢)

أبو حسن التونسي

(سُنّي/ تونس)

ولد عام (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م) في تونس، حاصل على شهادة الثانوية، كان منذ صغره مولعاً بمطالعة الكتب والمجلاّت والحديث مع الآخرين في المجالات الثقافية والعلمية.

ومن هذا المنطلق حصل أبو حسن على خزين علمي تمكَّن من خلاله أن يتحرَّر من موروثاته العقائدية، ويشيّد لنفسه عقيدة مبتنية على الأدلَّة والبراهين، وكان استبصاره عام (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

دين الله لا يعرف بالرجال

يقول (أبو حسن) حول تقييمه لمذهب أهل السُنّة: (أهمّ إشكالية موجودة في إخواننا أهل السُنّة أنَّهم لا يفصلون بين الإسلام بوصفه ديناً سماوياً وسيرة الخلفاء، ويعدّون الخلفاء هم الإسلام، أي: إذا أشكلت على الخلفاء فأنت تشكل على الإسلام!

وأهمّ ما يستدلّ به أهل السُنّة على مشروعية خلافتهم بأنَّها لو كانت مخالفة لما يريده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما قبلها أكثرية الصحابة، ولكنَّهم لا يلتفتون إلى هذه الحقيقة بأنَّ الصحابة قد يغفلون عن حقائق كثيرة، كما أنَّ الأنصار طالبوا بالخلافة وهم يعلمون بأنَّ الخلافة في قريش من خلال حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم).

الانفتاح على الآخر

يقول (أبو حسن): (نحن لا نخشى مثل هذه الشبهات، لماذا؟ لأنَّنا أصحاب دليل وأصحاب منطق، ولقد زرت أحد الإخوة من بلدتي، وطلبت منه أن يأتيني بكتاب شيعي ولو كتاباً واحداً، ولكن لم يكن عنده ذلك.

قلت له: هذا هو الفرق بين الشيعة وأهل السُنّة، اذهب إلى كلّ بيت شيعي تجد فيه كتب أهل السُنّة، وهذا عظيم، الانفتاح على الآخر، ومعرفته ماذا يطرح؟ وماذا يريد؟).

عظمة شأن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

تعدّ واقعة عاشوراء من الوقائع المتضمّنة للكثير من الدروس والعبر التي تمدّ الإنسان بالعطاء الروحي والغذاء المعنوي، وتحفّز الطاقات للعمل في ساحة الخير والصلاح.

والكثير من أهل السُنّة الذين يقتربون إلى الاستبصار يجدون بأنَّ هذا الأمر يستدعي منهم التضحية، ولهذا يكون أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أسوة لهؤلاء فيتلقّون منهم درس الإيثار والتضحية.

وحول عظمة شأن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ينقل لنا (أبو حسن التونسي) قصّة طريفة، وهي:

شكَّك أحد الأشخاص ذات يوم في دلالة قول الإمام الحسين عليه السلام:

«فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي»[1].

وحاول بهذا التشكيك في الدلالة أن يشكّك في صدور هذا الحديث من الإمام الحسين عليه السلام، وكان يقول في تشكيكه: بأنَّ أصحاب الإمام الحسين لم يقوموا بعمل خارق للعادة، بل كان عملهم أمراً طبيعياً يفعله كلّ إنسان في تلك الظروف التي أظهر العدوّ أقصى الخسّة والوضاعة، لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام سبط النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته، وهو ابن علي عليه السلام والزهراء عليها السلام، وهو إمام عصره فمن الطبيعي أن ينصره الإنسان المسلم.

ويقول هذا الشخص: رأيت في عالم الرؤيا بعد بيان تشكيكي هذا، وكأنّي حاضر في واقعة الطفّ فأعلنت للإمام الحسين عليه السلام استعدادي لنصرته، فقبل الإمام الحسين عليه السلام ذلك، ولمّا حان وقت الصلاة قال الإمام عليه السلام:

نحن نريد إقامة الصلاة فقف أنت هنا كي تحول بيننا وبين سهام العدوّ حتّى نؤدّي الصلاة.

فقلت: أفعل يا بن رسول الله، فشرع عليه السلام بالصلاة، ووقفت أمامه، وبعد لحظات رأيت سهماً ينطلق نحوي بسرعة، فلمَّا اقترب طأطأت رأسي من دون إرادتي فإذا بالسهم يصيب الإمام عليه السلام، فقلت: ما أقبح ما فعلت، لن أسمح بعد

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٥٧.

هذا بتكرار مثله، أي بوصول سهم إلى الإمام عليه السلام.

وبعد قليل أتى سهم ثانٍ فحدث منّي ما حدث في المرَّة الأولى، وأصيب الإمام ثانية بسهم آخر، وتكرَّرت الحالة ثالثة ورابعة، والسهام تصيب الإمام أبا عبد الله عليه السلام وأنا لا أمنعها من الوصول إليه.

ثمّ حانت منّي التفاتة فرأيت الإمام ينظر إليَّ مبتسماً، ثمّ قال:

«فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي».

فاستيقظت من منامي وعرفت أنَّ الله تعالى أراد أن ينقذني من هذه الغفلة والجهالة، وعرفت أنَّنا ينبغي أن نكون من أصحاب العمل، ولا نكون أهل قول مجرَّد عن العمل.

التأثّر بواقعة الطفّ

يقول (أبو حسن) حول واقعة الطفّ: «كان في السابق يمرُّ علينا محرَّم، ونحن نعيش البعد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وكنّا في تونس نعدّ عاشوراء عيداً، ومن هنا نفهم أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لا يعرفه الكثير من العامّة وحتَّى العلماء معرفة جيّدة، لأنَّ الدور الأموي على مستوى تجهيل الأمّة وإبعاد الناس عن الإسلام الأصيل دور فعّال».

يقول (أبو حسن): «كنت جالساً في بيتي وأنا أشاهد بعض الفضائيات الشيعية أيّام محرَّم الحرام، وإذا بمجموعة من الإخوة في الجنوب وفي الشمال اتَّصلوا بي، وقدَّموا لي التعازي بمناسبة شهر محرَّم، فاستغربت وقلت في نفسي: هذه تونس كانت لا تعتني بمحرَّم، ولكنَّها اليوم على رغم جهود الوهّابية حصل هذا التحوّل في وطني الغالي، وبدأ الناس في تونس يلبسون السواد، ويضعون بعض الرايات على منازلهم، ومكتوب

فيها: يا حسين يا مظلوم، يا حسين يا غريب، يا حسين يا شهيد».

ويضيف (أبو حسن): (لقد أدخل الإمام زين العابدين عليه السلام كربلاء إلى عمق الشعور عند المسلم فجعلها جزءاً من كلّ مفردة من مفردات حياتهم، فإذا أكلوا تذكَّروا جوع الإمام الحسين عليه السلام، وإذا شربوا تذكَّروا عطش الإمام الحسين عليه السلام، وإذا خلدوا إلى الراحة تذكَّروا تعب الإمام الحسين عليه السلام ومعاناته، وبذلك تحوَّلت كربلاء بفعل الإمام السجّاد عليه السلام وطريقته الخاصّة إلى أسلوب حياة لدى قسم كبير من أبناء الأمّة الإسلاميّة.

وبهذا يستلهم الإنسان دائماً من ثورة الإمام الحسين عليه السلام ما ينير له الدرب في حياته، ويمنحه الاستقامة في كلّ الساحات التي تتطلَّب الجهاد والمقاومة).

❊ ❊ ❊

(٣)

أبو حيدر الكبيسي

(حنفي/ عراق)

ولد عام (١٩٥٨م) بمدينة (ذي قار) في العراق، من عائلة تعتنق المذهب الحنفي ونشأ في أوساط هذا المذهب.

تشرَّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام (١٩٨٦م)، بعد دراسات مكثَّفة ومعمَّقة ومحاورات عديدة أجراها مع العلماء.

في رحاب مأساة واقعة الطفّ

يقول فضيلة الشيخ الكبيسي: (كنت منذ الصبى أجد قلبي ينبض بمحبّة أهل البيت عليهم السلام، وكنت أهوى الحضور في المجالس التي تقام لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام - لاسيّما التي تقام في شهر محرَّم الحرام -، كما كنت أقصد حرمه الطاهر في كربلاء لأداء مراسم الزيارة أيّام الأربعين مع مواكب المعزّين من الشيعة، ممَّا أدّى إلى تعلّقي لمعرفة أهل البيت عليهم السلام وقراءة تاريخهم وتتبّع سيرتهم الشريفة.

وكنت بعد معرفتي لكلّ إمام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أقف منبهراً لعظمتهم وجلالة قدرهم، حتّى إنّني ولشدّة إعجابي بشخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام صرت أذكره في الإقامة عند الصلاة، بالرغم من أنّني كنت أؤدّي الصلاة وغيرها من الفرائض على وفق المذهب الحنفي!

كنت مسروراً بإلمامي ومعرفتي بأهل البيت عليهم السلام، ولكن مصرع الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه من مآسي في كربلاء أوجد حرقة في قلبي، فكنت أطفئها بدموعي من خلال مشاركتي في مآتم العزاء التي تقام حزناً عليه، ولم أكن أبالي بالانتقادات التي كان يوجّهها لي أبناء طائفتي، لأنّني كنت أرى أنّ كلّ فرد يمتلك المشاعر الإنسانية ويتمتّع بسلامة الوجدان يتأثّر وينفعل بارتكاب أيّ ظلم أو جور بحقّ إنسان اعتيادي، فكيف به إذا سمع بوقوع ظلامة فادحة على قريب له أو عزيز كان يكنُّ له المحبّة من خلال قرابة أو صداقة أو عقيدة!؟

وكان واضح لديَّ أنَّ البكاء لا ينافي الصبر، بل هو يمثّل حالة طبيعية للنفس إزاء الأحداث المؤلمة، وأنَّ بكاء الإنسان بسبب المآسي التي تحلُّ به أو بأحد أحبّائه أو أعزّائه لا يتنافى مع الفطرة السليمة).

مشروعية البكاء على الميّت

قد أشاع البعض متوهّماً أنَّ البكاء على الميّت بدعة دخلت حياة المسلمين فيما بعد، ثمّ عمد إلى زرع الشكّ في الأذهان، لكن هذا التوهّم يرتفع بمجرَّد أن يراجع الباحث سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين.

فقد ورد أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام وأصحابه والتابعين بكوا لفقدهم الأعزَّة والأحبّة، والمصائب حلَّت بهم أو بغيرهم من المقرَّبين!

وفي الحقيقة أنَّ الذين قالوا بحرمة البكاء وجعلها ذريعة للتوهين والطعن، غفلوا أو تغافلوا عن الفطرة التي أودعها الله في الإنسان، فالإنسان إن تحقَّقت آماله شعر بالفرح والسرور، وإن أخفق في ذلك أو أصيب بنائبة فإنَّه يحزن ويغتمّ وقد ينهار أمام ذلك، ولهذا نجد أنَّ سيّد الكائنات نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بكى على ابنه إبراهيم، وعلى خديجة، وعلى عمّه أبي طالب، وعلى أُمّه آمنة بنت وهب، وعلى عمّه حمزة بن عبد المطَّلب، وعلى جعفر الطيّار وعلى الإمام الحسين عليهم السلام، وغيرهم.

فقد ورد عن أنس أنَّه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!؟ فقال:

«يا بن عوف، إنَّها رحمة».

ثمّ أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

وورد عن أبي هريرة أنَّه قال: زار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قبر أُمّه فبكى وأبكى من حوله[2].

وورد أيضاً: أنَّه لَّما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد غزوة أُحُد ـ البكاء من دور الأنصار على قتلاهم، ذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى، وقال:

(١) صحيح البخاري ٢: ٨٥؛ سنن أبي داود ٢: ٦٤/ ح ٣١٢٦.

(٢) مسند أحمد ٢: ٤٤١؛ صحيح مسلم ٣: ٦٥؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٠١/ ح ١٥٧٢.

«لكن حمزة لا بواكي له!».

فسمع ذلك سعد بن معاذ، فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهنَّ إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكين على حمزة، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا لهنَّ وردَّهنَّ، فلم تبكِ امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميّت إلاَّ بدأت بالبكاء على حمزة، ثمّ بكت على ميّتها[١].

وورد أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حقّ جعفر الطيّار:

«على مثل جعفر فلتبكِ البواكي»[٢].

وورد عن عائشة: أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دخل على عثمان بن مظعون - وهو ميّت - فكشف عن وجهه، ثمّ أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، حتَّى رأيت الدموع تسيل على وجنتيه[٣].

وورد أيضاً أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على غيره من الصحابة[٤].

وفي الحقيقة أنَّ شبهة حرمة البكاء على الميّت قد نشأت ممَّا ورد عن عمر وابنه عبد الله!

فقد ورد في صحيح مسلم عن عبد الله: أنَّ حفصة بكت على عمر، فقال: مهلاً يا بنيّة! ألم تعلمي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ الميّت يعذَّب ببكاء أهله عليه»[٥].

---

(١) أنظر: مسند أحمد ٢: ٤٠ و٨٤ و٩٢؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٠٧/ ح ١٥٩١؛ مستدرك الحاكم ١: ٣٨١.

(٢) الاستيعاب ١: ٢٤٣؛ تاريخ اليعقوبي ٢: ٦٥؛ أُسُد الغابة ١: ٢٨٩.

(٣) سنن البيهقي ٣: ٤٠٧.

(٤) أنظر: مستدرك الحاكم ٢: ١١٩؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٤٢/ ح ٢٩٣٢.

(٥) صحيح مسلم ٣: ٤١.

وعن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «الميّت يعذَّب في قبره بما نيح عليه»[١].

والجدير بالذكر أنَّ عائشة استدركت على عمر وابنه لَمَّا بلغها من مقالتهما، فقالت:

«إنَّكم تحدّثوني عن غير كاذبين ولا مكذّبين، ولكن السمع يخطئ»[٢].

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميّت يعذَّب ببكاء أهله عليه، فقالت: رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه، إنَّما مرَّت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة يهودي وهم يبكون عليه، فقال:

«أنتم تبكون وإنَّه ليعذَّب»[٣].

وقد قال النووي في شرح صحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطّاب وابنه عبد الله. وأنكرت عائشة، ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه عليهما، وأنكرت أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك»![٤].

كما أثبت في سيرة الرسول أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم بكى في بعض الحالات على من رآه مشرفاً على الموت، وعلى من استشهد، وعلى قبر الميّت، بل إنَّه بكى على ما سوف يجري من مصائب على الأحياء!

---

(١) مسند أحمد ١: ٥٠؛ صحيح البخاري ٢: ٨٢؛ صحيح مسلم ٣: ٤١.

(٢) مسند أحمد ١: ٤٢؛ صحيح مسلم ٣: ٤٣.

(٣) صحيح مسلم ٣: ٤٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ٦: ٢٢٨.

بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على سبطه الحسين عليه السلام

أكَّد أصحاب السنن وأرباب السير في كتبهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى عدَّة مرَّات على سبطه وريحانته الإمام الحسين عليه السلام: كالطبراني، والهيثمي، والخوارزمي، وأحمد، والنيسابوري، وأبي نعيم، والمحب الطبري، وابن عساكر، وابن حجر، وعبد الرزّاق الصنعاني، وأبي يعلى، وابن كثير، وابن الصبّاغ المالكي، والمتّقي الهندي، والقندوزي الحنفي وآخرين، وحثَّ على البكاء عليه، وكيف لا وقد حثَّ أصحابه على البكاء على جعفر الطيّار!؟

فقد روى الطبراني بسنده عن عروة، عن عائشة، قالت: دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوحى إليه، فنزا على رسول الله وهو منكبّ، ولعب على ظهره، فقال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أتحبّه يا محمّد؟»، قال: «يا جبرئيل وما لي لا أحبّ ابني!؟»، قال: «فإنَّ أمّتك ستقتله من بعدك!»، فمدَّ جبرئيل عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: «في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمّد واسمها الطفّ»، فلمّا ذهب جبرئيل عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتربة في يده يبكي...[1].

وروى أيضاً بسنده عن أُمّ سَلَمة رحمها الله أنَّها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ذات يوم في بيتي، فقال:

«لا يدخل عليَّ أحد».

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٧/ ح ٢٨١٤.

فانتظرت فدخل الحسين عليه السلام، فسمعت نشيج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي، فاطَّلعت فإذا حسين في حجره والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال:

«إنَّ جبرئيل عليه السلام كان معنا في البيت فقال: تحبّه؟ قلت: أمَّا من الدنيا فنعم، قال: إنَّ أمّتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء...»[1].

وروى المحبّ الطبري بسنده عن أسماء بنت عميس أنَّها قالت: عقَّ رسول الله عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين... فلمَّا كان بعد حول ولد الحسين فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ففعل مثل الأوّل، قالت: وجعله في حجره فبكى صلى الله عليه وآله وسلم، قلت: فداك أبي وأُمّي ممَّ بكاؤك؟! فقال:

«ابني هذا يا أسماء إنَّه تقتله الفئة الباغية من أمّتي، لا أنالهم الله شفاعتي...»[2].

وإنَّ ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام من فجائع ومآسي يوم عاشوراء لم يبكِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل أبكى الملائكة والجنّ والجماد! وآل الأمر إلى بكاء أعدائه عليه عليه السلام!

فقد ورد عن ابن عبّاس: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرى النائم بنصف النهار، أغبر أشعث وبيده قارورة فيها دم! فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما هذا؟! قال:

«هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل منذ اليوم ألتقطه»، فأُحصي ذلك اليوم، فوجدوه قتل يومئذٍ[3].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٨ و١٠٩/ ح ٢٨١٩.

(٢) ذخائر العقبى: ١١٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٣٧.

وقال ابن سيرين: لم تبكِ السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا، إلاَّ على الحسين بن علي[١].

وقال خلف بن خليفة، عن أبيه: لَّما قتل الحسين أسودَّت السماء، وظهرت الكواكب نهاراً، حتَّى رأيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر[٢].

وقال معمّر: أوّل ما عرف الزهري أنَّه تكلَّم في مجلس الوليد بن عبد الملك فقال الوليد: أيّكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي؟ فقال الزهري: بلغني أنَّه لم يقلب حجر إلاَّ وجد تحته دم عبيط[٣].

وقالت أُمّ سَلَمة: سمعت الجنّ تنوح على الحسين يوم قتل، وهنَّ يقلنَّ:

أيّها القاتلون ظلماً حسيناً	أبشروا بالعذاب والتنكيل
كلّ أهل السماء يدعو عليكم	من نبيّ ومرسل وقتيل
قد لُعنتم على لسان ابن داود	وموسى وصاحب الإنجيل[٤]

أمَّا بكاء أعدائه عليه، فقد ورد أنَّه عندما دنا عمر بن سعد من الحسين عليه السلام، قالت له زينب العقيلة عليها السلام: (يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر؟)، فبكى وصرف وجهه عنها[٥]!

وذكر الذهبي أيضاً بكاء أعداء الحسين عليه السلام عليه، فقال: ... أخذ رجل حُليّ فاطمة بنت الحسين، وبكى، فقالت: لِمَ تبكي؟! فقال: أأسلب بنت رسول الله

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٢٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٢٦.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٢٩.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٤٠.

(٥) أنظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٤٥؛ الكامل في التاريخ ٤: ٧٨؛ البداية والنهاية ٨: ٢٠٤.

صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبكي؟ قالت: فدعه، قال: أخاف أن يأخذه غيري[١]!

فيا ترى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي ويسمع نشيجه – وهو صاحب الشريعة – فلماذا لا نقتدي به ونتأسّى بفعله الشريف؟!

وإذا كان البكاء مصحوباً بصوت عالٍ محرَّم، فلماذا انتحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عمّه حمزة حتَّى بلغ به بكاؤه حدّ الشهيق[٢]؟!

أضف إلى كلّ ذلك ما ورد من أنَّ المسلمين ضجّوا بالبكاء كضجيج الحجيج على فقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣]، وأنَّ أجواء المدينة ارتجَّت من الصياح على الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يوم وفاته[٤].

وذكر أنَّ عائشة بكت على أبيها بعد رحيله وناحت عليه[٥].

والحاصل أنَّ البكاء والنياحة إذا لم يكونا مشمولين على ما لا يرضي الله تعالى فلا إشكال في جوازهما.

فلسفة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته

إنَّ البكاء على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ليس أمراً يتلبس به، بل هو أمر يعيشه كلّ موالٍ للعترة في أعماق قلبه وأعماق كيانه، كما أنَّ البكاء عليه هو مواصلة لخطّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهجه إزاء أهل بيته عليهم السلام، وقد قال تعالى:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣: ٣٠٣.

(٢) أنظر: مستدرك الحاكم ٢: ١١٩؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٤٢/ ح ٢٩٣٢.

(٣) أنظر: تاريخ مدينة دمشق ١٧: ٥٤.

(٤) أنظر: تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٩١.

(٥) أنظر: طبقات ابن سعد ٣: ١٩٦.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

كما أنَّه يمثّل المودَّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستجابة لقول الباري:

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ (الشورى: ٢٣).

منطلق الاستبصار

يقول فضيلة الشيخ الكبيسي: (أدركت أنَّ فاجعة الحسين عليه السلام لها بُعد مأساوي لا يصمد أمامه أيّ إنسان سليم الوجدان مرهف الإحساس، ولذلك تفاعلت بكامل كياني مع أحداث كربلاء، واندمجت بها قلباً وعقلاً.

ولقد شدَّني الإمام الحسين عليه السلام نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام وأدركت أنَّه صاحب الحقّ، وأنَّ بكاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليه هو إعلان عن سلب الشرعية عمَّن ناوءه وقاتله، حيث عدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنخاً له حينما قال:

«حسين منّي وأنا من حسين»[1].

فمن هنا تبيَّنت لي الأهداف التي جاهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، فتأثَّرت بنهضته وأعلنت استبصاري عام ١٩٨٦م).

* * *

(١) مسند أحمد ٤: ١٧٢؛ سنن الترمذي ٥: ٣٢٤/ ح ٣٨٦٤؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٧٧.

(٤)

أحمد حسين يعقوب

(شافعي/ أردن)

نشرت مجلَّة المنبر في العدد العاشر/ ذي الحجّة (١٤٢١هـ) خطاباً لأحمد حسين يعقوب يبيّن فيه كيفية استبصاره وانتمائه لمذهب أهل البيت عليهم السلام، جاء فيما نشرته المجلَّة:

موضوع مجلَّة المنبر

لم يكن مناظرة عقائدية، أو شخصية علمائية، أو تباحثاً شخصياً، أو كتاباً شيعياً.. ذلك الذي دفع المحامي الأردني الشهير (أحمد حسين يعقوب) إلى التشيّع واعتناق عقيدة أهل البيت عليهم السلام، بل كانت الومضة الأولى التي قادته إلى هذا المعين العذب، كتاباً أفجعه، لكاتب سُنّي هو (خالد محمّد خالد)، الأديب المعروف.

(أبناء الرسول في كربلاء)، كان اسم هذا الكتاب الذي وقعت عينا (أحمد حسين يعقوب) عليه، فقرأه بشغف، ليكتشف كيف أنَّ الظالمين وثبوا لتبديل شريعة الله تعالى، ومحو ذكر (محمّد وعلي) عليهما السلام، بما ارتكبوه من جرائم يندى لها جبين الإنسانية، وإرهاب لم تعرف البشرية له مثيلاً، وبما رسَّخوه في أذهان العامّة من مضامين ثقافية جعلت الحلال حراماً والحرام حلالاً، وبدَّلت المعروف بالمنكر، وآل البيت بالصحابة!

إنَّه (الحسين).. سيّد الأحرار والشهداء عليه السلام، هو من فتح ذراعيه لـ (أحمد حسين يعقوب)، الذي ظلَّ يبكي ألماً ويئنُّ لوعةً، لما جرى على (أبي عبد الله عليه السلام)، فكان جرحه النازف ودمعه الهادر، طريقاً سلك به إلى برّ الأمان، حيث صاحب الزمان عليه السلام.

يتحدَّث المحامي الذي عاهد ربّه أن يدافع طوال حياته عن قضيّة أهل البيت عليهم السلام العادلة، عن قصَّته، وكيف تبيَّن له أنَّ شيعة آل محمّد عليهم السلام هم الفئة الناجية، كيف واجه المجتمع والناس، الذين اتَّهموه بالكفر والارتداد والرفض والمروق عن الملَّة والدين.

إنَّها كلمات يسردها (أحمد حسين يعقوب) صاحب كتاب (المواجهة) الذي حوكم بسببه، في خطاب خاصّ أرسله إلى (المنبر)، ها هو نصّه:

انتمي لعشيرة بني طه أبو عتمة إحدى بطون عشيرة العنوم، ولدت في كفرخل الواقعة شمال جرش عام (١٩٣٩م)، متزوّج من امرأة واحدة ولي عشرة أولاد ذكور، وأربع بنات، حصلت على الثانوية العامّة من مصر، وأكملت دراسة الحقوق في جامعة دمشق، وسجَّلت للدراسات العالية / دبلوم القانون العامّ في الجامعة اللبنانية، وسجَّلت لدراسة الماجستير في جامعة الحكمة، كنت موظَّفاً ومعلّماً وخطيب جمعة ورئيس بلدية، وأنا أعمل في مهنة المحاماة منذ (١٧) عاماً.

كيف اهتديت؟

سافرت إلى بيروت لمناقشة بحث قدَّمته للجامعة اللبنانية عن رئاسة دولة الخلافة في الشريعة والتاريخ، وهو تقليدي من جميع الوجوه، ويحمل وجهة نظر العامّة ومعتقداتها في هذا المجال، وأثناء وجودي في بيروت قرأت بالصدفة كتاب (أبناء الرسول

في كربلاء) لخالد محمّد خالد، ومع أنَّ المؤلّف يتعاطف مع القتلة، ويلتمس لهم الأعذار، إلاَّ أنَّني فجعت إلى أقصى الحدود بما أصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيت النبوّة وأصحابهم، وكان جرحي النازف بمقتل الحسين هو نقطة التحوّل في حياتي كلّها، وأثناء وجودي في بيروت قرأت كتاب (الشيعة بين الحقائق والأوهام) لمحسن الأمين، وكتاب (المراجعات) للإمام العاملي، وتابعت بشغف بالغ المطالعة في فكر أهل بيت النبوّة وأوليائهم، لقد تغيَّرت فكرتي عن التاريخ كلّه، وانهارت تباعاً القناعات الخاطئة كلّها التي كانت مستقرّة في ذهني، وتساءلت إن كانت هذه أفعال الظالمين بابن النبيّ وأهل بيته، فكيف تكون أفعالهم من الناس الاعتياديين؟

لقد أدركت بأنَّ الدولة التاريخية - وهي دولة عظمى - قد سخَّرت جميع مواردها ونفوذها من خلال برامجها التربوية والتعليمية لغايات قلب الحقائق الشرعية، وتسخير الدين الحنيف لخدمة وقائع التاريخ وإضفاء الشرعية على تلك الوقائع، وإظهار الدين والتاريخ بوصفهما وجهين لعملة واحدة.

وأنَّ الناس قد انطلت عليهم هذه الخطّة، فأُشربوا ثقافة التاريخ متصوّرين بحكم العادة والتكرار وتبنّي الدولة لهذه الثقافة، بأنَّ ثقافة التاريخ هي ثقافة الدين.

وبهذا المناخ الثقافي حملت الدولة التاريخية على أهل بيت النبوّة ومن والاهم، وصوَّرتهم بصورة الخارجين على الجماعة، الشاقّين لعصا الطاعة، المنحرفين عن إسلام الدولة، وتقوَّلت عليهم ما لم يقولوه، ونسبت إليهم ما لا يؤمنون به، وصدَّقت العامّة دعايات الدولة ضدّ أهل بيت النبوّة ومن والاهم، وتبنّى الأبناء والأحفاد ما آمنت به العامّة من دون تدقيق أو تمحيص، ولا دليل لا من كتاب الله ولا من سُنّة رسوله، لقد صارت كلمة الشيعة في أذهان العامّة مرادفة لكلمات الانحراف والكفر والخروج على الشرعية.

وتلك ثمرة من ثمرات الحملة التاريخية الظالمة التي شنَّتها الدولة على أهل البيت عليهم السلام عامّة، وعلى شيعتهم بشكل خاصّ. عندما أخذت الحقائق تنكشف رويداً رويداً خفَّفت الدولة من حملتها على أهل بيت النبوّة، ولكنَّها ضاعفت وكثَّفت حملتها على شيعة أهل البيت عليهم السلام.

الحقائق التي اكتشفتها

لقد تبيَّن لي أنَّ أهل بيت النبوّة ومن والاهم موالاة حقيقية هم المؤمنون حقّاً، وهم الفئة الناجية، وهم شهود الحقّ طوال التاريخ، وأنَّ الإسلام النقي لا يفهم إلاَّ من خلالهم، فهم أحد الثقلين، وهم سفينة نوح وهم باب حِطّة، وهم نجوم الهدى، ولولاهم لضاع الإسلام الحقيقي ولما بقي للحقّ من شهود، لقد رفعوا لواء المعارضة طوال التاريخ، وتحمَّلوا في سبيل الله فوق ما يتحمّله البشر، حتَّى أوصلوا لنا هذا الدين الحنيف بصورته النقية الكاملة المباركة.

وباختصار شديد لقد اهتديت، وعرفت أنَّ لأهل بيت النبوّة قضيّة عالمية عادلة، وعاهدت ربّي أن أدافع عن هذه القضيّة ما حييت، فكانت كلّ مؤلّفاتي مرافعات ومدافعات عن عدالة هذه القضيّة، واستنهاضات للعقل المسلم خاصّة، وللعقل البشري عامّة، لينتقل من التقليد الأعمى إلى الإيمان المستنير المبدع.

أنا وأهلي والمجتمع

لقد اهتديت وأولادي والحمد لله، فصارت أفراح أهل البيت أفراحنا وأتراحهم أتراحنا، وأنا على بيّنة من ربّي، ولست معنيّاً بما يقوله المجتمع عنّي.

لقد وصفت الأكثرية الساحقة من أبناء المجتمعات القديمة كلّها الرسل والأنبياء الكرام، بالمجانين، واتَّهمتّهم بالسحر والكهانة والشعر والكذب.. ولم يسلم خاتم النبيّين

من هـذه الأوصـاف الظالمـة! لقـد بلـغ العـرب المـدى عنـدما قـالوا بـأنَّ القـرآن أسـاطير الأوّلين! ولكن بوقت طـال أم قـصر، سـقطت أكاذيـب الأكثريـة مـن أبنـاء المجتمعـات، وحصحص الحقّ، وبقيت الحقيقة الخالدة التي نادى بها النبيّون.

المطلوب أن أنجو بنفسي، ولا يضيرني عند الله إن ضلَّ ابـني أو تنكَّـر لي مجتمعـي، ليقولوا: إنَّني كافر.. وإنَّني رافضي.. الخ، هـم يعرفـون أنَّـني أُصـلّي وأحـجّ وأبكـي مـن خشية الله، لقد كنت خطيبـهم، وإمـامهم في الـصلاة، ورئـيس بلديتـهم، فكيـف يمكـن التوفيق بين هذه الاتّهامات وحقيقة الواقع!؟

تلك طبيعة المجتمع البشري

إنَّ فرعون كان يعتقد أنَّ حكمه وطريقته وعقيدته الفاسدة هي المثلى، وأنَّه كـان يخشى أن يذهب موسـى ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ (طه: ٦٣)، كـان يعتقـد أنَّ دينـه هـو الصحيح، وهو يخاف من موسى أن ينجح بتبـديل ديـن المجتمـع، ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ (غافر: ٢٦)، كما يعتقـد أنَّـه مـصلح، ويخشى أن يظهـر موسـى ﴿فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦)! لكن من يصدّق اليوم أنَّ فرعون مـصلح، وأنَّ طريقتـه هـي المثلـى، وأنَّ موسى مفسد، حاشاه!؟ من يصدّق اليوم أكاذيب العرب بأنَّ القرآن أساطير الأوّلـين!؟ بوقت يطول أو يقصر ستسقط الأكاذيب كلّها، وتزول الأصـباغ الزائفـة كلّهـا، وتظهـر الحقـائق الـشرعية المجرَّدة، والخاسـرون هـم الـذين يكـذّبون علـى أنفسهم، ويـسجنون أنفسهم وعقولهم في كهوف التاريخ ومغرة.

لقد أدمنت العامّة على ثقافة التاريخ، وبتعبير القرآن الكريم: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة: ٩٣)، واختلطت بدمهم ولحمهـم، وهـم يعتقـدون بـأنَّهم علـى الحـقّ لأنَّهم الأكثرية، وأنَّ موالي أهل بيت النبوّة على الباطل لأنَّهم الأقلّية، ونـادراً مـا ينفـع

الجدل معهم، لأنّهم قد اكتسبوا معتقداهم بالوراثة والعادة، والعادة طبيعة ثانية، وإبطال مفعولها يحتاج عوناً من الله، ورغبة في التغيير، وجهداً عقلياً منظّماً، وهم ليسوا على استعداد ليبذلوه، ولقد ساق القرآن الكريم نماذج رائعة من خلال جحد الأقوام لأنبيائهم ورسلهم، وفي هذه النماذج عبرة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك: ١٠).

التحريفات

لقد تعهَّد الله تعالى بحفظ القرآن الكريم، وعمل أهل بيت النبّوة عليهم السلام وأوليائهم على حفظ بيان النبيّ لهذا القرآن، ومهما كانت قوّة الإعلام ومهما عظم المكر التاريخي فإنَّ دين الله الحنيف من الوضوح بحيث لا يخفى على عاقل، مع التمسّك بهذه المقدّمة، فقد جرت عدَّة محاولات للتحريف ولكنَّها كانت مكشوفة، من ذلك ما رواه الطبري في تاريخه عن حديث الدار وقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي:

«إنّ هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[1].

ثمّ اكتشف الطبري أو الناشرون في ما بعد خطورة هذا النصّ الشرعي على ثقافة التاريخ وبناها التحتية، فحذفوا كلمتي (وصيّي وخليفتي) ووضعوا بدلاً منهما: «إنَّ هذا أخي وكذا وكذا»[2]! هذا أنموذج للتحريف، وعندما ذكر ابن الأثير رسالة محمّد بن أبي بكر لمعاوية لم يذكر نصّ الرسالة، لأنَّها تكشف حقيقة معاوية وتاريخه، واكتفى بالقول بأنَّ فيها أموراً لا تحتمل العامّة سماعها[3]!

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

(٢) تفسير الطبري ١٩: ١٤٩/ ح ٢٠٣٧٤.

(٣) أنظر: الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٣.

والثابت أنَّ البخاري لم يكن يكتب ما يسمعه من حديث الرسول مباشرة، إنَّما كان يسمع في بلد، ويصيغ ما يسمعه في بلد آخر، مراعياً في صياغته معتقدات الناس ونظرهم للأمور، لقد صيغت الأخبار لتكون منسجمة مع الواقع التاريخي وغير متعارضة معه.

فالبخاري ومسلم وهما أصحّ كتب الحديث عند إخواننا أهل السُنّة يؤكّدان أنَّ اليهود قد سحروا الرسول بحيث يخيّل إليه أنَّه قد فعل الشيء وما فعله[1]، وأنّ الرسول كان قد نسي آية من القرآن الكريم فذكّره بها فرد اعتيادي من الناس[2]، وأنّ الرسول كان يفقد السيطرة على أعصابه فيسبّ ويشتم ويلعن الناس بلا سبب[3]... الخ! وتلك تحريفات واضحة لتخدم وقائع التاريخ، لأنَّ القرآن الكريم يؤكّد أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، وأنَّ الرسول على خُلُق عظيم، وما رواه البخاري ومسلم يناقض القرآن الكريم، والسيرة النبوية المطهَّرة، وفي كتابي (المواجهة) تصدَّيت لهذه الترّهات، وبيَّنت الغاية الحقيقية من اختراعها.

وإن تعجب - لا أراك الدهر عجباً - فاعجب بربّك من أحد مشركي مكّة، دعاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتناول الطعام عنده، فرفض هذا المشرك أن يأكل من طعام الرسول بحجّة أنَّه لا يأكل إلاَّ ما ذكر اسم الله عليه! وإن كنت في شكّ من هذا فارجع إلى صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب والأصنام[4]! وعلى أيّ حال فقد ناقشت أساس مثل هذه الأمور في كتابي (أين سُنّة الرسول وماذا فعلوا بها؟!).

(١) أنظر: صحيح البخاري ٤: ٩١؛ صحيح مسلم ٧: ١٤.
(٢) أنظر: صحيح البخاري ٦: ١١٠؛ صحيح مسلم ٢: ١٩٠.
(٣) أنظر: صحيح البخاري ٧: ١٥٧؛ صحيح مسلم ٨: ٢٦.
(٤) أنظر: صحيح البخاري ٦: ٢٢٥.

عندما يكون المرء شيعياً

عندما يكون المرء شيعياً، يعني إنَّه مؤمن حقيقي، يسير على خطى الرسول وأهل بيته الطاهرين، قانونه النافذ عليه هو كتاب الله وبيان النبيّ لهذا الكتاب، وقيادته الشرعية الوحيدة هم أهل بيت النبوّة، يواليهم ويوالي من يواليهم، ويعادي من يعاديهم سواء أكان حيّاً أم ميّتاً.

كيف تعرف أنَّك شيعي؟

علاوة على التزامك الكامل بالإسلام اسأل نفسك، لو كنت موجوداً في زمن الإمام الحسين عليه السلام، هل كنت ستقف معه، وتقاتل دونه حتَّى تُقتل بين يديه؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب فأنت من موالي أهل البيت حقّاً ومن شيعتهم، وإن تردَّدت فأنت بحاجة إلى تعمّق مفهوم الولاية في قلبك وذهنك.

الشيعة لا يوالون أهل البيت بطراً

الشيعة لا يوالون أهل بيت النبوّة بطراً ولا تشهّياً، لكنَّهم يوالون أهل البيت بناءً على أحكام شرعية وتنفيذاً لأوامر إلهيّة آخذة بالأعناق، لا مجال للفرار من تنفيذها، ويترتَّب على التنفيذ نتائج محورية ومنجية أو مدمّرة، فالهدى لا يُدرك إلاَّ بالتمسّك بالثقلين معاً، إنَّها أحكام شرعية يتوقَّف على تنفيذها اكتمال الإسلام والإيمان وبالتفصيل الوارد في أمكنته الشرعية.

مرتبة دينية وثقافية

الموالاة لأهل بيت النبوّة مرتبة ثقافية، وهي أعلى مراتب الوعي عند المسلم، إنَّها تمثّل النضج العقلي، بأرقى وأرفع صورة، إنَّها القدوة الصالحة، فأيُّ عاقل في الدنيا

يترك آل محمّد ويقتدي بغيرهم؟ أصحاب المذاهب الأربعة من تلاميذ الإمام الصادق، ويتمنّون لو كانوا خدماً لعمداء أهل بيت النبوّة، والصحابة الكرام على مختلف طبقاتهم لا تصحّ صلاتهم إن لم يصلّوا فيها على محمّد وآل محمّد، إنَّ النصوص الشرعية آخذة بالأعناق، نحن لا نقلّل من أهمّية أصحاب المذاهب، ولا من أهمّية الشيخ حسن البنّا، أو ابن تيميّة، أو محمّد بن عبد الوهّاب أو غيرهم من قادة الفِرَق والأحزاب، لكن أيُّ أعمى قلب ذلك الذي يترك آل محمّد أعدال الكتاب ويتمسَّك بغيرهم من قادة الفِرَق والاتّجاهات والأحزاب!؟ بئس للظالمين بدلاً!

ضحايا التاريخ

طبعاً الجميع إخواننا، لنا ولهم كتاب، ونبيّ واحد، وقبلة واحدة، ودين واحد، ومن واجبنا أن نبذل كلّ ما بوسعنا وبالحكمة والموعظة الحسنة، لنضع تحت تصرّفهم الحقائق الشرعية والموضوعية المجرَّدة، وندلّهم على صراط الله المستقيم.

اللقاء مع مجلّة العصر

نشرت مجلَّة العصر لقاءً مع أحمد حسين يعقوب في عددها (٢٦) شهر رمضان (١٤٢٤هـ)، وهذه مقتطفات ممَّا جاء في اللقاء:

سؤال: هل تسمح لنا بالحديث عن رحلتك مع أهل البيت عليهم السلام؟

جواب: أعتقد أنَّ الولاء لأهل بيت النبوّة عليهم السلام مرحلة من مراحل التكامل العقلي، وأعتقد أيضاً بأنَّ أيّ إنسان لو يترك نفسه على سجيّتها، ويبحث بحثاً علمياً مجرَّداً فإنَّه سيصل إلى نتيجة مفادها أنَّ الولاء لأهل بيت النبوّة عليهم السلام هو الحلّ، وهو الطريق السليم، ولو أنَّ الناس عرفوا حقيقة أهل بيت النبوّة عليهم السلام

لدخلوا جميعاً في دائرة الولاء لهم عليهم السلام، ولو أنَّهم أحاطوا علماً بوجهة نظر أهل بيت النبوّة لتغيَّر مجرى التاريخ تماماً.

في الحقيقة أنا لم أصل إلى هذا الاعتقاد نتيجة نشاط عقلي، ولم يخطر في بالي هل أنّي على المذهب الحقّ؟ ولم أكن أُفكّر بالإجابة عن مثل هذا السؤال، لكن عندما ذهبت إلى بيروت لمناقشة رسالة بحث لدبلوم القانون العامّ، وبينما كنت أتجوَّل في الشارع رأيت رجلاً يبيع كتباً، فتناولت كتاباً اسمه (المراجعات) للسيّد عبد الحسين شرف الدين، وكتاباً آخر اسمه (الشيعة بين الحقائق والأوهام) حدث لي تحوّل، فعندما قرأت الكتابين أدركت أنَّ هنالك شيئاً مخفيّاً عن الناس، وهو أنَّ لأهل بيت النبوّة عليهم السلام فكراً كاملاً يغطّي ساحة الحياة، ولكن وسائل الإعلام طوال التاريخ طمسته وتجاهلته.

ومنذ ذلك التاريخ أخذت أقرأ وأقرأ وأقرأ، فتبيَّن لي تفاصيل مأساة كربلاء التي اكتشفت فظاعتها، إذ لو كان الإمام الحسين عليه السلام حبراً يهودياً أو عالماً مسيحياً لما فعل فيه ذلك الجيش الذي يدَّعي الإسلام ما فعله. ولما تصرَّفوا معه بهمجيّة بالغة. لقد أدركت عندما وقفت على كلّيات محنة الإمام الحسين عليه السلام وتفاصيلها في كربلاء أنَّ أهل بيت النبوّة عليهم السلام هم وحدهم القادرون على فهم الإسلام على حقيقته، ووحدهم المكلَّفون بقيادة العالم نحو الأفضل.. لقد صرت حينها أقرأ أو أكتب كلّ يوم ما بين العشر والاثنتي عشرة ساعة.. وأنا الآن ولله الحمد أقول ـ بغير ادّعاء ـ: بأنَّني على علم بالكثير من كلّيات قضيّة أهل البيت عليهم السلام العادلة وتفاصيلها.

سؤال: برأيك ما هي أهمّ الأسباب التي أدَّت إلى وقوع الاختلاف بين المسلمين؟

جواب: الاختلاف في المجتمعات يكون نتيجة أحد سببين: القيادة أو القانون،

وقد حسم الله سبحانه وتعالى مسألة القيادة طوال عصر النبوّة، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو القائد، وهو المرجع، أمَّا مسألة القانون فإنَّ القرآن الكريم وبيان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وتفسيره لهذا القرآن هما التشريع أو القانون النافذ.

وفي اليوم نفسه الذي أعلن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنباء النبوّة والرسالة والكتاب، أعلن عن ولاية الإمام علي عليه السلام فقال أمام عشيرته الأقربين:

«إنّ هذا أخي وخليفتي ووصيّي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[١].

وشاءت العناية الإلهية أن لا يبقى لرسول الله ولد من صلبه، ويأمره الله سبحانه وتعالى أن يزوّج ابنته فاطمة عليها السلام المعروفة بسيّدة نساء العالمين مِن هذا الرجل الذي اختاره الله ليكون خليفة لنبيّه من بعده، فسيّدة نساء العالمين تتزوَّج سيّد المسلمين وسيّد العرب، الصدّيقة الطاهرة تتزوَّج وليّ الله الذي أعدَّه لقيادة مرحلة ما بعد النبوّة، ومن هذين الزوجين الطاهرين انبعثت القيادة للعالم أجمع.

لقد كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول للإمام علي عليه السلام أمام الصحابة:

«أنت سيّد المسلمين»[٢].

ويقول أيضاً:

«أنت راية الهدى ونور من أطاعني وإمام أوليائي»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٢٩٥/ ح ٢٨٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٦٧؛ مطالب السؤول: ١٢٨.

أي كان يخلع على الإمام علي عليه السلام المصطلحات كافّة التي يخلعها الناس على الرئيس عادة، ويقدّمه بوصفه إماماً من بعده، ولم يفعل ذلك لأنَّه قريبه وابن عمّه، بل لأنَّ الله سبحانه وتعالى أمره بذلك، والذي أمره أيضاً بأن يعدّ هذا الإمام إعداداً تامّاً بحيث يكون هو الأفضل والأعلم والأتقى والأقرب، وهذا الأمر لا يجادل فيه أحد من المسلمين حتَّى الذين كرهوا الإمام علياً عليه السلام اعترفوا بأنَّه الأعلم، واعترفوا بأنَّه الأشجع والأقرب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهكذا حلَّت مسألة القيادة ومن قبلها مسألة القانون بعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، غير أنَّ المسلمين لم يلتزموا بهما كاملاً، فوقع الاختلاف فيما بينهم.

سؤال: برأيك أين تكمن مواطن الضعف عند المسلمين على الرغم من الفكر الأصيل والتراث العظيم الذي يملكونه؟

جواب: موطن الضعف في المسلمين أنَّهم دائماً مع الغالب، فمن يغلب ينصاعون له، والمغلوب يتركونه. تلك السُنّة قد تعلَّموها من ثقافة التاريخ، فعندما تمكَّن يزيد بن معاوية من سحق المقاومة في المدينة المنوَّرة واستباحة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سأل الناس أحد أقطابهم الروحية آنذاك: من يؤمُّ بنا؟ فقال: (نحن مع من غلب)[1]!

سؤال: كيف استطعت الجمع بين الأمور المختلفة التي مارستها في حياتك، مثل المحاماة والبلدية وإمامة المصلّين والخطابة والتأليف والتحقيق؟

جواب: أنا كنت إماماً وخطيباً معيَّناً من وزارة الأوقاف الأردنية وموظَّفاً، ثمّ أُحلت على التقاعد، وترشَّحت لرئاسة البلدية، ونجحت في الانتخابات، وبعد مدّة معيَّنة درست القانون وأصبحت محامياً وأستاذاً، واتَّخذت لنفسي مكتباً في جرش،

(١) أنظر: معالم المدرستين ١: ١٤٨، عن الأحكام السلطانية لأبي يعلى.

وعندما تعرَّفت على معالم قضيّة أهل بيت النبوّة عليهم السلام توقَّفت عن ممارسة مهنة المحاماة، وتفرَّغت للبحث والدراسة والتحقيق، وكلّ هذا بفضل من الله ونعمه.

سؤال: في ضوء الإرهاصات العالمية والصحوة الإسلاميّة الشاملة للأمّة، ما هو الدور الذي يؤدّيه الولاء لأهل البيت عليهم السلام في مواجهة التحدّيات المعاصرة؟

جواب: الولاء لأهل بيت النبوّة عليهم السلام يؤهّل الإنسان لتحمّل المسؤوليّة، لأنَّ الولاء لهم قائم على الشرع الحنيف، وكلّ ما يقوله من رسول الله وهو من عند الله عز وجل، لذلك يفهم الناس من أهل بيت النبوّة عليهم السلام بقدر ما يستفيدون منهم، فهم كالنهر الصافي والجاري، يعرفه الذين يشربون منه أكثر من الذين يتفرَّجون عليه.. وعلى كلّ حال لن تكون هناك صحوة حقيقية إلاَّ باللجوء إلى أهل البيت عليهم السلام.

مؤلّفاته

١ ـ **النظام السياسي في الإسلام** (رأي الشيعة، رأي السُنّة، حكم الشرع)، صدر في طبعته الثانية عام (١٤١٢هـ) عن مؤسسة أنصاريان/ قم.

٢ ـ **نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام** (رأي الشيعة، رأي السُنّة، حكم الشرع)، ترجمه إلى الفارسية محمّد قاضي زاده/ الناشر: اميد/ عام (١٣٧٤هـ ش).

٣ ـ **مرتكزات الفكر السياسي** (في الإسلام، في الرأسمالية، في الشيوعية)، صدر عن شركة شمس المشرق للخدمات الثقافية سنة (١٤١٣هـ).

٤ ـ **الخطط السياسية لتوحيد الأمّة الإسلاميّة**، صدر عن دار الثقلين/ بيروت عام (١٤١٥هـ).

٥ - **طبيعة الأحزاب السياسية العربية** (الأحزاب العلمانية، الأحزاب الدينية، معالم فكر أهل بيت النبوّة)، صدر عن الدار الإسلاميّة/ بيروت عام (١٤١٧هـ).

٦ - **الوجيز في الإمامة والولاية**، صدر عن دار الغدير سنة (١٤١٧هـ).

٧ - **المواجهة مع رسول الله وآله** (القصَّة الكاملة)، صدر عن دار الغدير في طبعته الثانية عام (١٤١٧هـ).

٨ - **مساحة للحوار**، من أجل الوفاق ومعرفة الحقيقة، صدر عام (١٤١٨هـ) عن دار الغدير/ بيروت.

٩ - **كربلاء (الثورة والمأساة)،** صدر عام (١٤١٨هـ) عن دار الغدير/ بيروت.

١٠ - **الهاشميون في الشريعة والتاريخ**، صدر في طبعته الثانية (١٩٩٩م).

١١ - **حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر**، صدر عام (٢٠٠٠م) عن دار الملاك/ الأردن.

١٢ - **أين سُنّة الرسول، وماذا فعلوا بها؟**

١٣ - **الاجتهاد بين الحقائق الشرعية والمهازل التاريخية**، الطبعة الأولى/ ١٤٢١هـ/ مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة.

١٤ - **المرجعية السياسية في الإسلام.**

١٥ - **مختصر المواجهة.**

المقالات

١ - **مفهوم الإمامة والولاية في الشريعة والتاريخ،** نُشرت في مجلة المنهاج العدد الثالث/ خريف ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢ - **الحزب الوحيد في القرآن الكريم،** نُشرت في مجلة المنهاج/ العدد السادس/ صيف ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

وقفة مع كتابه: كربلاء الثورة والمأساة

كانت ملحمة كربلاء وما زالت مناراً ينير الدرب في تاريخنا الإسلامي، فلمعرفة كيفية مواجهة الإسلام المتمثّل في الإمام المعصوم عليه السلام للظالمين المتسترّين بظاهر خلافة المسلمين وفي الوقت نفسه لا يرتدعون عن ارتكاب أيّ جريمة انتهاك كلّ مقدَّس، يمكن استيحاء دروس هذه الملحمة واستيعابها لتبيّن للأجيال معنى انتصار الفئة القليلة التي لا تملك إلاَّ أنفسها الكريمة الأبيّة على الفئة الكثيرة المدجَّجة بأنواع السلاح والإمكانات، ولتبيّن كذلك معنى انتصار دم الشهداء على سيوف المجرمين العتاة والجبناء في الوقت نفسه، ثمّ لتوضّح كيفية إقامة الحجّة من الإمام المعصوم عليه السلام الشاهد على عصره على الأمّة المتخاذلة التي أحبَّت الدنيا وكرهت الموت في سبيل الله.

قائد الفئة المجرمة

يوضّح الكاتب أنَّ المسؤول الحقيقي عن مجزرة كربلاء هو الخليفة الأموي يزيد الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1]، ويرد بذلك على ما قيل في بعض كتب التاريخ بعدم علم يزيد بالمذبحة وسبَّه لعبيد الله بن زياد محاولاً تبرئة نفسه وإلصاق المسؤولية بتابعه الذليل، فيقول:

(القائد الفعلي لجيش الخلافة الجرّار في كربلاء، هو يزيد بن معاوية بن صخر المكنَّى بأبي سفيان، فهو المهندس الفعلي لمجزرة كربلاء، وصانعها، وما كان عبيد الله بن زياد، ولا عمر بن سعد بن أبي وقّاص، ولا بقيّة أركان القتل والإجرام في كربلاء إلاَّ

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٢٠/ ح ٢٨٦١؛ كنز العمّال ١١: ١٦٦/ ح ٣١٠٦١.

مجرَّد جلاوزة، أو عبيد، يأتمرون بأمر سيّدهم يزيد بن معاوية وينفّذون توجيهاته العسكرية بدقّة كاملة، أو مجرَّد أدوات أو دمى يحرّكها حيثما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى شاء! وَلِمَ لا؟! فهو (أمير المؤمنين وخليفة رسول الله على المسلمين!)، بيده مفاتيح خزائن الدولة (الإسلاميّة) وتحت إمرته تعمل جيوشها الجرّارة كافّة، والأكثرية الساحقة من رعايا دولته تصفّق له رغبة أو رهبة! متأمّلة باستمرار وصول (الأرزاق) إليها من خليفتها، ووجلها من أن يغضب فيقطع عنها (الأرزاق) فتموت جوعاً!).

ثمّ يضيف موضّحاً طبيعة يزيد بذكر بعض خصائصه وأفعاله، فيقول:

وأخرج الواقدي عن عبد الله بن حنظلة الغسيل، قال: (والله ما خرجنا على يزيد حتَّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنَّه رجل ينكح أُمّهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة)[(١)]، تجد ذلك في الصواعق المحرقة لابن حجر (ص ١٣٧).

وقال الذهبي: (ولمّا فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر، وإتيانه المنكرات اشتدَّ عليه الناس)[(٢)].

وجاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم: (إنَّ يزيد رجل يشرب الخمر، ويزني بالحرم!)[(٣)]، راجع: فضائل الخمسة (ج ٣/ ص ٣٩٠).

هذه طبيعة يزيد الذي قاد جيش الخلافة في كربلاء، وصنع مجزرتها الرهيبة، فذبح آل محمّد وأهل بيته ومن والاهم وأخذ بنات النبيّ سبايا، بعد أن مَثَّل بضحاياه شرَّ تمثيل!

---

(١) طبقات ابن سعد ٥: ٦٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٤٢٩؛ الصواعق المحرقة ٢: ٦٣٤.

(٢) أنظر: تاريخ الإسلام ٥: ٣٠.

(٣) أنظر: مستدرك الحاكم ٣: ٥٢٢.

وقد ولي الحكم ثلاث سنوات، ففي السنة الأولى من حكمه قتل أولاد النبيّ وأحفاده وبني عمومته ومَن والاهم بمذبحة كربلاء، وفي السنة الثانية، استباح المدينة، وفضَّ جيشهُ ألفَ عذراء وقتل عشرة آلاف مسلم بيوم واحد وهو (يوم الحَرّة)، وختم أعناق الصحابة وأخذ البيعة على أنَّهم خول وعبيد (لأمير المؤمنين) يتصرَّف بهم تصرُّف السيّد بعبيده، أمَّا في السنة الثالثة فقد هدَّم الكعبة وأحرقها. وهذه أمور قد أجمعت الأمّة على صحَّة وقوعها وتوثيقها!

موقف الإمام الحسين عليه السلام

في المقابل يوضّح الكاتب موقف الإمام الحسين عليه السلام من خلافة يزيد وأساس هذا الموقف، فيقول:

منذ اللحظة التي تأكَّد فيها الإمام الحسين من هلاك معاوية ومن استخلافه رسمياً لابنه يزيد من بعده قرَّر الإمام وصمَّم تصميماً نهائياً على عدم مبايعة يزيد بن معاوية مهما كانت النتائج.

أساس الموقف: عهد رسول الله للإمام الحسين بالإمامة والقيادة الشرعية للأمّة، كما عهد بها من قبل لأبيه علي ولأخيه الحسن، فهو موقن أنَّه:

١ - إمام زمانه بعهد من الله ورسوله، وباستخلاف معاوية لابنه وتجاهله للإمام الحسين يكون معاوية قد غصب حقّ الإمام الشرعي بقيادة الأمّة، تماماً كما فعل هو والذين من قبله بأبيه وأخيه، وهذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنَّ الأمّة هي أمّة محمّد رسول الله، فمحمّد هو الذي كوَّن الأمّة وأسَّس دولتها والإمام الحسين كأبيه وأخيه أولى المسلمين بمحمّد رسول الله، ومن جهة ثالثة فإنَّ آل محمّد وذوي قرباه هم الذين احتضنوا النبيّ ودينه، وضحّوا بأرواحهم لتكون الأمّة وتكون الدولة، بالوقت الذي

حاربه فيه الأمويون وناصبوه العداء. فهل من العدل أن يتقدَّم أعداء الله ورسوله على أولياء الله ورسوله، المؤهَّلين لقيادة الأمّة قيادة شرعية؟!

٢ ـ لَمَّا تمكَّن معاوية من هزيمة الأمّة، والاستيلاء على أمرها بالقوَّة والقهر والتغلّب، قطع على نفسه عهد الله أن يجعل الأمر من بعده شورى بين المسلمين ليختاروا بمحض إرادتهم من يريدون، واستخلاف معاوية ليزيد بهذه الحالة هو نقض لعهد الله.

٣ ـ الأمّة كلّها تعلم حال يزيد، فهو مستهتر، تارك للصلاة، شارب للخمر، وزانٍ، ثمّ إنَّه يجاهر بفجوره ويجاهر حتَّى بكفره! ومن غير الجائز شرعاً أن يتولّى أمر المسلمين من كانت هذه حاله! وفيهم ابن النبيّ المعهود إليه بالإمامة من الله ورسوله! ولا ميزة ليزيد بن معاوية سوى أنَّه قد ورث ملكاً مغصوباً حصل عليه وأبوه بالقوَّة والقهر والتغلّب!

٤ ـ إنَّ الأمّة كلّها تعرف الإمام الحسين، وتعرف قرابته القريبة من رسول الله، وأنَّه المعهود إليه بإمامة الأمّة وقيادتها، وتعرف الأمّة كلّها علمه، ودينه، ومكانته الدينية المميّزة، فعندما يضع الإمام الحسين يده المباركة بيد يزيد القذرة النجسة ويبايعه خليفة لرسول الله على المسلمين! فإنَّ الإمام الحسين يصدر فتوى ضمنية بصلاحية يزيد للخلافة، وبشرعية غصبه لأمر المسلمين، ويتنازل ضمنياً عن حقّه الشرعي بقيادة الأمّة! وفي ذلك مسّ بالدين والعقيدة.

٥ ـ إنَّ من واجب الإمام الحسين أن يرشد الأمّة إلى الطريق الشرعي، فإن سلكته الأمّة وأخذت به فقد اهتدت وإن تنكَّبت عنه فلا سلطان للحسين عليها ولا قدرة له، بل ولا ينبغي له إجبارها على الحقّ وجرّها إليه جرّاً فعاجلاً أو آجلاً ستدفع

الأمّة ضريبة تنكّبها عن الشرعية وتهاونها بأمر الله.

٦ - وبهذه الحالة فإنَّ أقصى ما يتمنّاه الإمام الحسين أن لا يجبر على البيعة، وأن يترك وشأنه حتَّى يستبين الصبح للأمّة!

أين كانت الأمّة؟

يتساءل الكاتب عن دور الأمّة الإسلامية ودور عقلائها بالخصوص، فيقول:

أين كانت الأمّة الإسلاميّة عندما وقعت مذبحة كربلاء؟! أين كان المسلمون؟! وأين كان عقلاء الأمّة ووجهاؤها؟! هل كانوا بالحجّ فشغلوا بمناسكه؟! أم كانوا غزاة يجاهدون في سبيل الله؟! أم كانوا نياماً وقد استغرقوا في نومهم فلم يسمعوا صرخات الاستغاثة، ولا قرقعة السيوف، ووقع سنابك جيش الخليفة؟!

الأدلَّة القاطعة تشير إلى أنَّهم لم يكونوا بالحجّ، ولا كانوا غُزّىً، ولا كانوا مستغرقين بالنوم، بل جرت أمامهم فصول المذبحة فصلاً فصلاً، وبالتصوير الفنّي البطيء، وأنَّهم تابعوا وشاهدوا وقائع المذبحة البشعة في كربلاء، بنظرات ساكنة، وأعصاب باردة، تماماً كما يشاهدون فلماً من أفلام الرعب على شاشة التلفاز، وكان دور الأكثرية الساحقة من الأمّة الإسلاميّة، ودور وجهائها وعقلائها مقتصراً على المتابعة والمشاهدة باستثناء بعض التعليقات أو الانفعالات الشخصية المحدودة التي أبداها بعضهم همساً وهو يتابع ويشاهد المذبحة!

كان بإمكان عقلاء الأمّة الإسلاميّة ووجهائها، وكان بإمكان أكثرية تلك الأمّة على الأقلّ أن يحجزوا بين الفئتين المتنازعتين قبل وقوع المذبحة! فالوجهاء والعقلاء الذين لا دين لهم يحجزون في مثل هذه الحالات!

موقف الأكثرية الساحقة

يوضّح الكاتب حالة الأمّة الإسلاميّة وموقف الأكثرية فيها، فيقول:

لم يقف يزيد بن معاوية وحده في وجه الإمام الحسين وأهل بيت النبوّة، إنَّما وقفت مع يزيد بن معاوية واستنكرت موقف الإمام الحسين وأهل بيت النبوّة مجموعة من القوى الكبرى التي كانت تكوِّن رعايا دولة الخلافة أو ما عرف باسم (الأمّة الإسلاميّة)، وهذه القوى هي:

١ - بطون قريش الـ(٢٣) وأحابيشها وموالوها وهي القوّة نفسها التي كذَّبت النبيّ وقاومته وتآمرت على قتله، وحاربته (٢١) عاماً حتَّى أحاط بها النبيّ فاستسلمت واضطرَّت مكرهة لإعلان إسلامها وهي تخفي في صدورها غير الإسلام، ويزيد بن معاوية ليس غريباً على البطون، فجدّه أبو سفيان هو الذي قاد البطون ووحَّدها للوقوف ضدّ محمّد، لمحاربة محمّد. ومعاوية والد يزيد هو الذي قاد البطون، ووحَّدها لحرب علي، ثمّ إنَّ يزيد موتور شأنه شأن كلّ واحد من أبناء البطون، وتشترك بطون قريش الـ(٢٣) بكراهية آل محمّد والحقد عليهم ورفضها المطلق لقيادهم وإمامتهم وخلافتهم.

٢ - ووقف المنافقون من أهل المدينة وممَّن حولها من الأعراب، ومن خَبُثَ من ذرّياهم، ومنافقو مكّة ومن حولها جميعاً مع يزيد بن معاوية، لا حبّاً بيزيد، ولا حبّاً ببطون قريش ولكن كراهيةً وحقداً على محمّد وآل محمّد وطمعاً بهدم أساسيات الدين بيد معتنقيه وقد اعتقدوا أنَّ الفرص قد لاحت لإبادة آل محمّد إبادة تامّة لذلك أيَّدوا يزيد بن معاوية.

٣ - ووقفت المرتزقة من الأعراب مع يزيد أيضاً، وقد وجدت ظاهرة الارتزاق جنباً إلى جنب مع ظاهرة النفاق، ومات النبيّ وبقيت الظاهرتان، والمرتزقة قوم لا

مبادئ لهم إلاَّ مصالحهم، مهنتهم اقتناص الفرص، وتأييد المواقف، وترجيح الكفّات والانقضاض على المغلوب، وهم على استعداد لمناصرة من يدفع لهم أكثر كائناً من كان، ولا فرق عندهم سواء أيَّدوا رسول الله أم أيَّدوا الشيطان، فهم يدورون مع النفع العاجل حيث دار، أنظر إلى قول سنان بن أنس، قاتل الإمام الحسين لعمر بن سعد بن أبي وقّاص عندما جاءه طالباً المكافأة على قتل الحسين:

املأ ركابي فضّة أو ذهبا إنّي قتلت السيّد المحجّبا

قتلت خير الناس اُمّاً وأبا وخيرهم من يذكرون النسبا[1]

فاللعين يعرف الإمام الحسين، ويعرف مكانته العلّية، ولكن ما يعني هذا التافه هو المال، اعطه المال وكلّفه بقتل نبيّ يقتله مع علمه بأنَّه نبيّ، أو كلّفه بقتل الشيطان يقتله إن رآه وبأعصاب باردة، لا فرق عنده بين الاثنين!

لقد أدركت المرتزقة أنَّ الإمام الحسين وأهل بيته سيغلبون وأنَّ يزيد سينتصر وسيعطيهم بعض المال لذلك أيَّدوا يزيد بن معاوية.

٤ ـ الأكثرية الساحقة من الأنصار، وقفت مع يزيد بن معاوية، فقد بايعته أو قبلت به، أو تظاهرت بقبوله، فليس وارداً على الإطلاق أن تقف مع الإمام الحسين، وليس وارداً أن تعصي أمر يزيد بن معاوية، فلو طلب منها يزيد أن تميل على الإمام الحسين وأهل بيت النبوّة فتحرق عليهم بيوتهم وهم أحياء لأجابته أكثرية الأنصار إلى ذلك، فللأنصار تاريخ بالطاعة، فالسرية التي أرسلها الخليفة الأوّل وقادها الخليفة الثاني لحرق بيت فاطمة بنت محمّد على من فيه ـ وفيه علي، والحسن، والحسين، وفاطمة بنت محمّد وآل محمّد ـ كانت من الأنصار[2] لذلك يمكنك القول وبكلّ ارتياح: إنَّ

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٤٧.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٥٦ ـ ٥٩، لتجد أسماء الأنصار الذين اشتركوا في عملية الإحراق.

أكثرية الأنصار كانت سيوفهم مع يزيد وتحت تصرّفه، وكانوا عملياً من حزبه ومن حزب خلفاء البطون أو على الأقلّ ليسوا من حزب أهل بيت النبوّة!

٥ - المسلمون الجدد الذين دخلوا في الإسلام على يد جيش الخلفاء الفاتح كانوا بأكثريتهم الساحقة مع يزيد بن معاوية، لأنَّهم فهموا الإسلام على طريقة قادة البطون وأبنائها، وتلقّوا تعليمهم في مدارس البطون وأكثريتهم لا يعرفون أهل بيت محمّد، ولا ذوي قرباه ويجهلون تاريخهم الحافل بالأمجاد، لأنَّ الخلفاء وأبناء بطون قريش الـ(٢٣) تعمَّدوا تجهيل الناس بذلك، بل وأبعد من ذلك فإنَّ أكثريتهم يعتقدون أنَّ علي بن أبي طالب قاتل ومجرم (حاشاه)، وأنَّه وأهل بيت النبوّة ينازعون الأمر أهله، وأنَّهم أعداء للدين، وإلاَّ فلماذا فرض (الخليفة معاوية) سَبَّه ولعنه على رعايا الدولة؟! ولماذا أصدر الخليفة معاوية أمراً بقتل كلّ من يوالي علياً وأهل بيته[(١)]؟! لذلك وقفت الأكثرية الساحقة من المسلمين الجدد مع يزيد بن معاوية.

٦ - ووقف مع يزيد بن معاوية أبناء الخمسة الذين عرفوا بـ(أهل الشورى) وبطونهم وشيعهم ويكفي أن تعلم أنَّ مذبحة كربلاء قد نُفّذت على يد عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وكان أبوه أحد الخمسة الذين اختارهم عمر بن الخطّاب لمنافسة علي بن أبي طالب صاحب الحقّ الشرعي بالإمامة من بعد النبيّ!

٧ - كذلك وقف مع يزيد بن معاوية أبناء الخلفاء الذين استولوا على مقاليد الأمور من بعد النبيّ، ووقفت معهم أيضاً بطون الخلفاء وشيعهم، ويكفي أن تعلم أنَّ عبد الله بن عمر بن الخطّاب كان من أكثر المتحمّسين لبيعة يزيد بن معاوية، ومن أكثر المشجّعين على هذه البيعة! وهو نفسه الذي امتنع عن مبايعة علي بن أبي طالب!

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٥ و٤٦.

الأقلّية التي أيَّدت ثورة الإمام الحسين

الأقلّية المؤمنة التي أيَّدت ثورة الإمام الحسين تنقسم على فئتين أيضاً:

الفئة الأولى: وهي الفئة التي خرجت مع الإمام الحسين، فرافقته دربه وشاطرته قناعاته وتحليلاته، وأيَّدت موقفه، ونالت شرف الدفاع عنه، وقاتلت بكلّ قواها حتَّى قتلت بين يديه، وهم بتعبير أدقّ شهداء مذبحة كربلاء ومن نجا منهم بعذر شرعي.

الفئة الثانية: وهم فئة مؤمنة، أحبّوا الإمام الحسين بالفعل وتفهَّموا شرعية موقفه وعدالته، ولكنَّهم قدَّروا أنَّ الحسين ومن معه لا طاقة لهم بمواجهة الخليفة وأركان دولته والأكثرية التي تؤيّده، وقد اكتفت هذه الفئة بالتعاطف القلبي مع الإمام الحسين، وتصعيد خالص الدعاء لله لحفظه وسلامته، وتابعت أنباءه بشغف بالغ، ولكنَّها فضَّلت حياتها على الوقوف معه ومناصرته، ولمَّا استشهد الإمام الحسين بكت هذه الفئة عليه بصدق وحرقة، وندمت على موقفها وتمنَّت لو ماتت دونه، بعد أن تيقَّنت أنَّ الإمام الشرعي قد قتل، وأنَّ قمر العزّ والأمل قد اختفى نهائياً من سماء العالم الإسلامي!

معقولية قرار الإمام الحسين عليه السلام بالتوجّه إلى الكوفة

اقترح بعض المشفقين على الإمام الحسين عليه السلام أن لا يذهب إلى العراق وأن يبقى في مكّة أو يعود إلى المدينة أو يذهب إلى اليمن، وقد أصغى الإمام لأصحاب المقترحات وشكرهم مِن دون الإفصاح عن رأيه، وهنا يحاول الكاتب أن يبيّن دواعي اختيار الإمام للكوفة، فيقول:

لقد سمعت جماعات الأمّة الإسلاميّة كلّها امتناع الإمام الحسين عن البيعة وخروجه من المدينة، واستقراره مؤقَّتاً في مكّة، وعرفت كذلك أنَّ الإمام الحسين يبحث عن مأوى ومكان آمن، وجماعة تحميه وتحمي أهل بيت النبوّة من الأمويين وأذنابهم،

فأغمضت كلّ تلك الجماعات عيونها، وأغلقت آذانها وتجاهلت بالكامل محنة الإمام الحسين وأهل بيت النبوّة، وأهل الكوفة هم وحدهم الذين كتبوا للإمام الحسين، وأرسلوا له رسلاً ودعوه لا ليحموه فحسب بل دعوه ليكون إماماً وقائداً لهم، وليس في ذلك غرابة، فالكوفة كانت عاصمة دولة الخلافة في زمن الإمام علي، والأكثرية الساحقة من أهل الكوفة عرفوا فضل علي خاصّة وأهل بيت النبوّة، وقارنوا بين حكم الإمام علي وسيرته وحكم الجبابرة وسيرهم، وأدركوا البون الشاسع بين هذين الخطّين من الحكم، فليس عجيباً بعد أن هلك معاوية أن يدركوا أنَّ الفرصة مؤاتية لإعادة الحقّ إلى أهله خاصّة بعد أن سمعوا امتناع الإمام الحسين عن البيعة وخروجه من المدينة وبحثه عن المأوى الآمن له ولأهل بيته. فالمعقول أن يصدّقهم الناس، والمعقول أيضاً أن يصدِّقهم الإمام الحسين، ثمّ إنَّه ليس أمام الحسين أيّ خيار آخر فإلى أين عساه أن يلجأ؟ وممَّن سيطلب الحماية والمنعة؟ والأهمّ أنَّ ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة قد بايعوه فإن كانوا صادقين بالفعل، فإنَّ قائداً مثل الإمام الحسين له القدرة على أن يفتح بهم العالم كلّه!

وفكرة المؤامرة بإرسال الرسل والكتب، وفكرة الاختراق الأموي لعملية إرسال الرسل والكتب، لم تكن ببال عاقل!

إذن فإنَّ اختيار الإمام الحسين للكوفة كان اختياراً معقولاً في مثل ظروف الحسين، وخياراته المحدودة.

الإمام يقيم الحجّة قبل بدء القتال

لم يبدأ الإمام عليه السلام جيش الخلافة بالقتال قبل إقامة الحجّة عليهم كاملة، وقد سنحت عدَّة فرص لأصحاب الإمام للنيل من أعداء الله لكن الإمام منعهم من

ذلك. وقد صوَّر الكاتب كيفية إقامة الحجّة وأهمّيتها، فقال:

أحاط (الجيش الإسلامي!) بمعسكر الإمام الحسين إحاطة تامّة، وأشرفوا عليه إشرافاً كاملاً، فما من حركة يتحرَّكها الإمام أو أحد في معسكره إلاَّ ويشاهدها جيش الخلافة كلّه بوضوح تامّ، وما من كلمة يتلفَّظ بها الإمام أو أحد من معسكره إلاَّ ويسمعها جيش الخلافة! إنَّها حالة من الإحاطة التامّة!

إنَّه وإن كان ذلك الوضع من الناحية العسكرية كارثة محقّقة على الإمام الحسين وأهل بيت النبوّة ومن والاهم وأقام في معسكرهم، إلاَّ أنَّه من ناحية ثانية هو الوضع الأمثل لإقامة الحجّة على القوم قبل القتال، فإذا تكلَّم الإمام الحسين بذلك الوضع، فإنَّ بإمكان جيش الخلافة كلّه أن يسمع كلامه، فالجيش يحيط به من كلّ جانب، ولا يبعدون عنه إلاَّ بضع عشرات من الأمتار. فكأنَّ الله سبحانه وتعالى قد جمعهم على هذه الصورة ليمكّن الإمام الحسين من إقامة الحجّة عليهم تمهيداً لإنزال العذاب بهم.

تجاوز حدّ التصوّر والتصديق

اعتاد الكثير من الذين يمسكون بالقلم أن يسوّغوا للسلطات جرائمها، وأن ينتقدوا إضافة إلى ذلك الثوّار والأحرار الذين يقاومون الظلم ويجعلوهم السبب في المآسي التي يرتكبها الطغاة، والكاتب هنا يفعل العكس فينتقد السلطات ويبيّن جرائمها وعدم إمكانية تسويغها، ويمتدح أبا الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ويبيّن خصائصه ومزاياه، وهذا هو الخطّ الصحيح لكلّ الكتّاب الذين يريدون أن يلتزموا الحياد والإنصاف في عرض الحقائق، يقول الكاتب:

عندما تستعرض بذهنك صور كثرة جيش الخلافة، وصور عدَّته واستعداداته وإمكانيات الدولة وطاقاتها التي تدعمه، ومكانتها في العالم السياسي المعاصر لها بوصفها

دولة عظمى، وتستعرض صورة الجمع الآخر الذي كان يضمّ الإمام الحسين وآل محمّد وذوي قرباه، والقلَّة القليلة التي أيَّدتهم ووقفت معهم، فإنَّك لا تستطيع أن تصدّق أنَّ مواجهة عسكرية يمكن أن تحدث بين هذين الجمعين! وإنَّ احتمال حدوث مواجهة عسكرية أمر يفوق حدّ التصوّر والتصديق، فجيش الخلافة بغنى عن هذه المواجهة، لأنَّه ليست له على الإطلاق ضرورة عسكرية وليست هنالك ضرورة لتعذيب الإمام الحسين وأهل بيت النبيّ وذوي قرباه وصحبه وأطفالهم ونسائهم وهم أحياء، والحيلولة بينهم وبين ماء الفرات الجاري، ومنعهم من الماء، حتَّى يموتوا عطشاً في صيف الصحراء الملتهب!

ثمّ إنَّ جيش الخلافة لو حاصرهم يومين آخرين فقط لماتوا من العطش من دون قتال، ولَمَا كانت هنالك ضرورة لتلك المواجهة العسكرية المخجلة!

إنَّ أي إنسان يعرف طبيعة الإمام الحسين، وطبيعة آل محمّد، وذوي قرباه يخرج بيقين كامل بأنَّهم أكبر وأعظم من أن يعطوا الدنيّة مخافة الموت، لأنَّ الموت بمفاهيمهم العلوية الخالدة أمنية، وخروج من الشقاء إلى السعادة المطلقة!

ثمّ لو أنَّ جدَّ الإمام الحسين كان رجل دين لأيّ ملّة من الملل لوجد الجيش - أيّ جيش - حتَّى جيوش المشركين حرجاً كبيراً لمجرَّد التفكير في قتله! ولكان وضعه الديني حاجزاً لذلك الجيش عن سفك دمه! فكيف بابن بنت رسول الله محمّد، وبإمام كالإمام الحسين!؟

ثمّ إنَّ قتل الرجل وأولاده وأهل بيته دفعة واحدة يُثير بالإنسان - أيّ إنسان - حتَّى إنسان العصور الحجرية شعوراً بالاشمئزاز والاستياء، لأنَّه عمل يعارض الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، فكيف برجل كالإمام وبأهل بيت كأهل بيت النبوّة!؟

ويظهر لنا أنَّ تصرّفات الخليفة وأعماله، وأعمال أركان دولته، ما هي في الحقيقة إلاَّ انعكاس لقلوب مملوءة بالحقد على النبيّ، وعلى آل محمّد، ومسكونة بشبح الوتر والثأر كما بيَّنا، وسيظهر بهذا التحليل أنَّ الذين وقفوا على أهبّة الاستعداد لقتال الإمام الحسين وقتله، وإبادة أهل بيت النبوّة لم يكونوا بشراً، إنَّما كانوا وحوشاً مفترسة ضارية ولكن على هيئة البشر! لم يعرف التاريخ البشري جيشاً بهذا الخلق والانحطاط، ولا حاكماً بتلك الجلافة، والفساد، والحقد، إنَّها نفوس مريضة نتنة، وتغطّي على مرضها ونتنها بالادّعاء الزائف بالإسلام، والإسلام بريء منهم، فلقد دخلوه مُكرَهين، وخرجوا منه طائعين، ألا بُعداً لهم كما بَعُدَت ثمود.



(٥)

أحمد راسم النفيس

(سُنّي/ مصر)

ولد عام (١٣٧٢هـ) في مدينة (المنصورة) بجمهورية مصر العربية، كـان أبـوه مـن رجال التعليم، وأمَّا جدّه فكان عالماً من علماء الأزهر الشريف يقوم بالخطابة في مسجد القرية، وكان له (منتدى) يجتمع فيه المثقَّفون من أبناء هذه القرية، يتعلَّمـون علـى يديـه العلوم الدينية والفقهية والأدبية.

الأجواء التي نشأ فيها

يقول الدكتور أحمد: (تفتَّحت عيناي على أسماء الكتب والمؤلَّفات الحديثة...، وكم دارت مساجلات في بيتنا حول الشعر والأدب بين أبي وأصدقائه من الشعراء والأدباء الذين حفلت بهم آنذاك مدينة المنصورة...، فتعلَّمت من أبي وجدّي حبّ القراءة والاطّلاع، وقرأت كلَّ ما وقع تحت يدي من كتب أثناء طفولتي إلاَّ كتاباً واحداً عجزت عن مواصلة القراءة فيه، وهو (أبناء الرسول في كربلاء) للكاتب المصري خالد محمّد خالد، حيث كنت أجهش بالبكاء في اللحظة التي أمسك فيها الكتاب وأعجز عن مواصلة قراءته...).

الأجواء الجامعية التي عاشها

توجَّه الدكتور أحمد بعد ذلك إلى الدراسة الأكاديمية حتَّى حصل عام (١٩٧٠هـ) على الثانوية العامّة بمجموع أهَّله للدخول في كلّية الطبّ بمدينة المنصورة، وفي الكلّية بادر الدكتور أحمد إلى الالتحاق باتّحاد الطلبة، لأنَّه وجده أفضل مكان يتيح له العمل في المجال الثقافي، ومن هذا المنطلق تفتَّحت ذهنيته على الصراعات الفكرية والسياسية التي امتلأت بها الساحة المصرية في أوائل السبعينيات.

فيصف الدكتور أحمد أوضاع تلك الحقبة الزمنية قائلاً: (كان التيّار الشيوعي ما يزال نشطاً من خلال المواقع التي احتلّها في الحقبة الناصرية. والواقع أنَّ الحجم الإعلامي لهذا التيّار تجاوز بكثير حجمه الحقيقي، وكان التيّار الديني يتحرَّك بصورة خجولة محاولاً اكتساب بعض المواقع، وكان من الطبيعي أن يحدث الصدام بين التيّارين المتناقضين، وخاصّة أنَّ التيّار اليساري كان يتحرَّك بصورة مستفِزّة للجميع).

ويضيف الدكتور أحمد: (في عام (١٩٧٥م) وبعد سلسلة من الاستفزازات اليسارية، خضنا الانتخابات الطلاّبية تحت راية التيّار الإسلامي في مواجهة التيّار اليساري، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة لليسار وانتصار باهر للتيّار الإسلامي، وتسلَّمت رئاسة الطلاّب بكلّية طبّ المنصورة لعامين متتالين).

أوّل التفاتة جادّة للتشيّع

انتصرت الثورة الإسلاميّة في إيران (١٩٧٩م)، فكان لهذا الحدث أكبر تأثير في إعجاب الدكتور أحمد بهذا الشعب المسلم الذى تلقّى الرصاص بصدره واستعذب الشهادة والتفَّ حول قائده بحماس حتَّى حقّق لنفسه النجاح والانتصار.

يقول الدكتور أحمد: (ضايقني أن يكون ذلك الشعب (منحرف العقيدة) كما

وصفه بعضهم من غير المنصفين...، وعندما حاولنا طباعة كتيّب لمناصرة الثورة الإسلاميّة في إيران، رفض ذلك بعض رفاقنا في العمل الثقافي، ولم يكن بوسعي يومها إلاّ السكوت، فليست هناك مصادر للمعرفة حول هذا الأمر).

التشنيع العامّ ضدّ التشيّع

بقي الدكتور أحمد متأنّياً في اتّخاذه الموقف إزاء الثورة الإسلاميّة في إيران، وبقي على هذه الحالة حتَّى وقعت الحرب العراقية الإيرانية.

فيقول الدكتور أحمد في هذا المجال: (في الآونة (١٩٨٢ ـ ١٩٨٥م) كانت هذه الحرب على أشدّها، وفجأة تحوَّل جزءاً من النفط عن مساره المعهود في تمويل آلة الحرب العراقية...، وفي هذه الآونة أمطرت الساحة المصرية بوابل من الكتب الصفراء التي تتهجَّم على المسلمين الشيعة، وانطلق التيّار السلفي ليقوم بالدور المرسوم له في مهاجمة المسلمين الشيعة وبيان بطلان عقائدهم. ومن الواضح تماماً أنَّ هؤلاء كانوا ينفّذون خطّاً مرسوماً ومدعوماً، بل ويحاولون الإيحاء بأنَّ وراء التشيّع في الجمهورية الإسلاميّة خطّاً عنصرياً فارسياً في مواجهة الإسلام العربي! وهذه مقولة تكشف بوضوح الرؤية البعثية العراقية التي امتطت ظهر السلفية).

دواعي اختياره مذهب أهل البيت عليهم السلام

يقول الدكتور أحمد حول أسباب تركه انتماءه السابق وتمسّكه بمذهب التشيّع: (كنت في سفرة عائلية في أحد أيّام صيف عام (١٩٨٤م)، فعثرت في إحدى المكتبات على كتاب عنوانه: (لماذا اخترت مذهب أهل البيت؟)، فاستأذنتُ في أخذه، ولم يكن أحد يعبأ به أو يعرف محتواه فأخذت الكتاب، وقرأته، فتعجَّبت، ثمّ تعجَّبت كيف يمكن لعالم أزهري هو الشيخ محمّد مرعي الأمين الأنطاكي مؤلّف الكتاب أن يتحوَّل إلى

مذهب أهل البيت عليهم السلام؟ فأرقتني هذه الفكرة آونة، وقلت في نفسي: هذا الرجل له وجهة نظر ينبغي احترامها، فلم أقرّر شيئاً آنئذٍ واحتفظت بالكتاب.

وبعد عام وفي التوقيت نفسه، وفي المكان نفسه، عثرت على الكتاب الثاني: (خلفاء الرسول الاثنا عشر) فقرأته وفهمته ولم أقرّر شيئاً، ولكنّني شعرت بأنّني أقترب بصورة تدريجية إلى فكر أهل البيت عليهم السلام).

ويضيف الدكتور أحمد: (مضت أيّام، وكان هناك معرض للكتاب في كلّية الطبّ بالمنصورة، فمررت به فوجدت كتاباً بعنوان (الإمام جعفر الصادق) تأليف المستشار عبد الحليم الجندي، طبعة مجمع البحوث الإسلاميّة/ ١٩٩٧م.

فقلت في نفسي: هذا كتاب عن الإمام جعفر الصادق من تأليف كاتب مصري سُنّي، وصادر من قبل مؤسسة رسمية قبل قيام الثورة الإسلاميّة في إيران، فأخذته وقرأته وتزلزل كياني لما فيه من معلومات عن أهل البيت عليهم السلام طمستها الأنظمة الجائرة وكتمها علماء السوء، فإنَّ القوم لا يطيقون أن يذكر آل محمّد بخير.

فعدتُ إلى الكتابين السابقين، وأخرجت ما فيهما من المعلومات، ووجدتها جميعها من مصادر سُنّية، فقلت في نفسي: لعلَّ المسلمين الشيعة كذَّبوا فأوردوا على الناس ما لم يقولوه! فلنعد إلى هذه المصادر بنفسها، فقمتُ بعملية جرد دقيق لجميع هذه الكتب، سواء منها ما كان في مكتبتي الخاصّة، أم كان في مكتبة جمعية الشبّان المسلمين، وتحقَّقت فعلاً من صحَّة هذه المعلومات).

مرحلة الانتماء إلى مذهب التشيّع

يقول الدكتور أحمد: (لم تمض إلاَّ أسابيع بعد البحث الجادّ والمقارنة بين المذهب السُنّي والمذهب الشيعي إلاَّ وكانت المسألة محسومة تماماً من الناحية العقائدية، ثمّ

التقيت بواحد من الأصدقاء القدماء الذي وجدته على هذا الأمر، وبدأنا في دراسة بعض الأحكام الفقهية اللازمة لتصحيح العبادات.

وكنت مشغولاً في هذا الوقت في إنهاء رسالة الدكتوراه، حتَّى أنَّني أقفلت عيادتي للتفرّغ للعمل بهذه الرسالة، وقبلت في نيسان عام (١٩٨٦م) وبدأت اتأهَّب لدخول امتحانات الدكتوراه في تخصص (الباطنية العامّة). فأقبلت على القراءة العلمية وكانت راحتي ومتعتي الوحيدة إذا أصابني الملل من القراءة في الطبّ، هي اللجوء إلى كتب أهل البيت عليهم السلام).

ردود الفعل الاجتماعية

لم تمض مدّة قصيرة من شيوع خبر استبصار الدكتور أحمد إلاَّ وبادر أصحاب العقليات المنغلقة بإلصاق تهمة الانحراف الفكري والخلل العقلي بشخصية الدكتور، ثمّ تصدّى البعض لتسقيط شخصيته والإطاحة بسمعته، بحيث أدّى هذا الأمر إلى مقاطعة من قبل جمع غفير من الناس.

فيقول الدكتور أحمد: (كنت أتساءل بيني وبين نفسي عن سرّ هذا العداء والشراسة في مواجهة كلّ من ينتمي إلى خطّ آل بيت النبوّة، وما هي الجريمة التي ارتكبها أولئك المنتمون؟).

ويضيف أيضاً: (ثمّ أخذ التآمر شكلاً آخر، وخطَّط البعض لإخراجي من عملي بالجامعة، فبذلوا أقصى جهدهم لذلك وحاولوا استعمال كلّ ما لديهم من وسائل، ومن هنا تمَّ تأخير حصولي على الدكتوراه من عام (١٩٨٧م) حتَّى (١٩٩٢م) ستّ سنوات كاملة من الضغوط الوظيفية والمعاشية كي يجبروني على تغيير عقيدتي لكنَّهم لم يستطيعوا أن يزعزعوا أنملة من التزامي بمذهب أهل البيت عليهم السلام).

مؤلّفاته

١ ـ **الطريق إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام**، صدر عن مركز الغدير/ بيروت سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢ ـ **على خطى الحسين**، صدر عن مركز الغدير/ سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

المقالات

فقه التغيير بين سيِّد قطب والسيِّد محمّد باقر الصدر، نشرته مجلّة المنهاج التي تصدر في بيروت/ العدد السابع عشر/ ١٤٢١هـ/ ربيع ٢٠٠٠م.

وقفة مع كتابه: على خطى الحسين

هذا الكتاب يمثّل إحدى محاولات استلهام ملحمة كربلاء التي أسَّست نهجاً في مقاومة الطغيان، وشقَّت درباً يسير على هديه الساعون إلى الحقّ، ومثَّلت الخطى التي سارها الإمام الحسين عليه السلام هجرة ثانية تعيد سيرة هجرة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من مكّة المكرَّمة إلى المدينة المنوَّرة.

ونبدأ مع الكتاب في عرضه للصراع الإسلامي الأموي في معركة صفّين:

شهدت (صفّين)، وهي مكان يقع بالقرب من شاطئ الفرات بين الشام والعراق. (واقعة صفّين) التي دارت بين جيش الإمام علي الذي يمثّل القيادة الشرعية للأمّة الإسلاميّة وجيش القاسطين الظالمين، بقيادة معاوية ابن آكلة الأكباد ووزيره الأوّل عمرو بن العاص. توشك النبوءة أن تتحقَّق، يوشك من حذَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم أن يتسنَّموا منبره. الصراع محتدم بين قيم الإسلام المحمّدي الأصيل، كما يمثّله إمام الحقّ علي بن أبي طالب عليه السلام والفئة الباغية بقيادة ابن آكلة الأكباد ووزيره

الأوّل ابن النابغة. وسنعرض نماذج متقابلة لخطاب كلّ فريق من الفريقين ولسلوكه، ثمّ نرى النهاية الفاجعة لهذا الصراع، أو نهاية البداية لفجر الإسلام المضيء، على يد هذه العصابة، وهو عين ما حاولوه يوم عقبة تبوك، فلم يحالفهم التوفيق.

خطاب روّاد الفتنة الخارجين على القيادة الشرعية

رفع معاوية بن أبي سفيان شعار الثأر لعثمان بن عفّان، فهل كان ابن آكلة الأكباد ووزيره الأوّل صادقَيْن في دعواهما؟ فلنقرأ سويّاً في صفحات التاريخ:

روى ابن جرير الطبري، في تاريخه: (لمَّا قتل عثمان قدم النعمان بن بشير على أهل الشام بقميص عثمان ووضع معاوية القميص على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد، وثاب إليه الناس، وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلّقة فيه - أصابع نائلة زوجة عثمان - وآلى الرجال من أهل الشام ألاَّ يأتوا النساء ولا يناموا على الفرش حتَّى يقتلوا قتلة عثمان، ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم، فمكثوا حول القميص سنة، والقميص يوضع كلّ يوم على المنبر ويجلّله أحياناً فيلبسه، وعلَّق في أرادنه أصابع نائلة. ثمّ مضى معاوية ينشر في الناس أنَّ علياً عليه السلام قتل عثمان)[1].

كان هذا هو الشعار المعلن، فهل كان هذا الشعار يمثّل الحقيقة؟ فلنقرأ أوّلاً في تاريخ عمرو بن العاص.

الشعار المعلن وحقيقته، الاستحواذ على السلطان

وروى الطبري، أيضاً: (لمَّا بلغ عمراً قتل عثمان...، قال: أنا أبو عبد الله قتلته - يعني عثمان - وأنا بوادي السباع، من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يَلِه طلحة فهو فتى العرب سيْبا، وإن يَلِه ابن أبي طالب فلا أراه إلاَّ سيستنطق الحقّ وهو أكره من يليه

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٦١.

إليَّ. قال: فبلغه أنَّ علياً قد بويع له، فاشتدَّ عليه وتربَّص أيّاماً ينظر ما يصنع الناس، فبلغه مسير طلحة والزبير وعائشة، وقال: أستأني وأنظر ما يصنعون، فأتاه الخبر أنَّ طلحة والزبير قد قتلا، فارتجَّ عليه أمره فقال له قائل: إنَّ معاوية بالشام لا يريد أن يبايع لعلي، فلو قاربت معاوية، فكان معاوية أحبّ إليه من علي بن أبي طالب. وقيل له: إنَّ معاوية يعظّم شأن قتل عثمان بن عفّان ويحرّض على الطلب بدمه، فقال عمرو: اُدعوا لي محمّداً وعبد الله فدُعيا له، فقال: قد كان ما قد بلغكما من قتل عثمان... وبيعة الناس لعلي وما يرصد معاوية من مخالفة علي، وقال: ما تريان؟ أمَّا علي فلا خير عنده وهو رجل يدل بسابقته، وهو غير مشركي في شيء من أمره.

فقال عبد الله بن عمرو: ... أرى أن تكفّ يدك وتجلس في بيتك حتَّى يجتمع الناس على إمام فتبايعه، وقال محمّد بن عمرو: أنت ناب من أنياب العرب، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر، قال عمرو: أمَّا أنت يا عبد الله، فأمرتني بالذي هو خير لي في آخرتي وأسلم في ديني، وأمَّا أنت يا محمّد، فأمرتني بالذي هو أنبه لي في دنياي وشرّ لي في آخرتي. ثمّ خرج عمرو بن العاص، ومعه ابناه، حتَّى قدم على معاوية، فوجد أهل الشام يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان.

فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحقّ، اُطلبوا بدم الخليفة المظلوم، ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو. فقال ابنا عمرو لعمرو: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك، انصرف إلى غيره، فدخل عمرو على معاوية فقال: والله لعجب لك إنّي أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عنّي، أمَا والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة، إنَّ في النفس من ذلك ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولكنّا إنَّما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاوية وعطف عليه)[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٩ و٥٦٠.

هذا هو حال الوزير الأوّل، فهو نفسه ممَّن ألَّبوا على عثمان وهو القائل: (أنا عبد الله، قتلته وأنا بوادي السباع)[١]، وهو المقرُّ بأنَّ انضمامه لابن آكلة الأكباد إنَّما هو من أجل الدنيا[٢].

أمَّا معاوية، صاحب القميص الذي صار مضرباً للمثل على الادّعاءات الكاذبة، فنورد فقرة من خطبته التي استهلَّ بها عهده المشؤوم:

روى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: (لَّما انتهى الأمر لمعاوية، وسار حتَّى نزل النُخَيْلة وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة...) وأورد بعض مقاطعها ومنها:

(ما اختلفت أمّة بعد نبيّها إلاَّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها... فندم فقال: إلاَّ هذه الأمّة فإنَّها وإنَّها...).

(ألا إنَّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدميَّ هاتين لا أفي به).

(إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنَّكم لَتَفْعَلُون ذلك. وإنَّما قاتلتكم لأتأمَّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)[٣].

هل كان ابن آكلة الأكباد ووزيره الأوّل عمرو بن العاص يطالبان بدم عثمان أو أنَّ السلطة كانت هدفهما؟ وهل يبقى شكّ بعد قراءتنا خطاب كلّ منهما في طبيعة الادّعاءات المرفوعة من قبل الفئة الباغية والصورة الحقيقية لحركة الردّة التي ما كان لها أن تحقّق هدفها لولا تخاذل بعض المسلمين ووهن بعضهم الآخر؟

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٩؛ الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥.

(٢) أنظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٢؛ تاريخ الطبري ٣: ٥٦٠؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٦: ١٦٨.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٥.

كانت هذه هي الأهداف الحقيقية: (الاستحواذ على السلطة) و(إذلال المؤمنين)، وهي تختلف عن الأهداف الدعائية: (الثأر من قتلة عثمان).

وسائل التأمّر على الناس

أمَّا عن الوسائل التي اتَّبعها ابن آكلة الأكباد من أجل تحقيق غاياته الشيطانية (وهي إقامة حكومة مَن بدوا في رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قردة)، في مواجهة حكومة العدل الإلهية) فهي في المستوى نفسه، ومن نماذجها نذكر:

أوّلاً: الرشوة والإغراء بالمناصب

وإليك الأنموذج الآتي:

حاول معاوية رشوة قيس بن سعد بن عبادة، والي الإمام علي على مصر، فكتب له: (... فإن استطعت، يا قيس، أن تكون ممَّن يطلب بدم عثمان فافعل. تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقَيْن، إذا ظهرت ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطاني. وسلني غير هذا ممَّا تحبّ فإنَّك لا تسألني شيئاً إلاَّ أوتيته)[1].

أمَّا ردّ قيس بن سعد بن عبادة رضوان الله عليه، على ابن آكلة الأكباد فكان ردّاً مخرساً فقد كتب إليه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان. أمَّا بعد، فإنَّ العجب من اغترارك بي وطمعك فيَّ، واستسقاطك رأيي، أتسومني الخروج من طاعة أولى الناس بالإمرة وأقولهم للحقّ وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتأمرني بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم للزور وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٢.

وسلم وسيلة، ولد ضالّين مضلّين، طاغوت من طواغيت إبليس؟ وأمَّا قولك: إنّي مالئ عليك مصر خيلاً ورجلاً، فوَالله إن لم أشغلك بنفسك حتَّى تكون نفسك أهمّ إليك، إنَّك لذو جدّ، والسلام)[١].

ثانياً: الاغتيال السياسي

جاء في تاريخ الطبري: (فبعث عليٌّ الأشتَر أميراً إلى مصر حتَّى إذا صار بالقلزم، شرب شربة عسل كان فيها حتفه، فبلغ حديثهم معاوية وعمراً، فقال عمرو: إنَّ لله جنوداً من عسل)[٢].

ثالثاً: الاختلاق والخداع

جاء في تاريخ الطبري: (ولَّما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره شقَّ عليه ذلك لما يعرف من حزمه وبأسه، وأظهر للناس قبله أنَّ قيس بن سعد قد تابعهم فادعوا الله وقرأ عليهم كتابه الذي لان له فيه وقاربه. قال: واختلق معاوية كتاباً من قيس، فقرأه على أهل الشام)[٣].

رابعاً: الإغارة على المدنيين وقتل النساء والأطفال

ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه:

١ - (وجَّه معاوية، في هذا العام، سفيان بن عوف في ستّة آلاف رجل وأمره أن يأتي (هيت)، فيقطعها، وأن يغير عليها ثمّ يمضي حتَّى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها)[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٢ و٥٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ١٠٣.

٢ - (وجَّه معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، وأمره أن يصدق - يأخذ صدقة المال - من مرَّ به من أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من إعطائه صدقة ماله. ثمّ يأتي مكّة والمدينة والحجاز ويفعل ذلك)(١).

٣ - (وجَّه معاوية الضحّاك بن قيس، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة، وأن يغير على كلّ من مرَّ به ممَّن هو في طاعة علي من الأعراب، ووجَّه معه ثلاثة آلاف رجل فسار، فأخذ أموال الناس وقتل من لقي من الأعراب، ومرَّ بالثعلبية فأغار على مسالح علي، وأخذ أمتعتهم ومضى حتَّى انتهى إلى القطقطانة فأتى عمرو بن عميس بن مسعود، وكان في خيل لعلي وأمامه أهله وهو يريد الحجّ، فأغار على من كان معه وحبسه عن المسير، فلمَّا بلغ ذلك علياً سرَّح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف وأعطاهم خمسين خمسين، فلحق الضحّاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجلان وحال بينهم الليل فهرب الضحّاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه)(٢).

٤ - في عام (٤٠ هـ)، أرسل معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز حتَّى قدموا المدينة، وعامل علي على المدينة يومئذٍ أبو أيّوب الأنصاري، ففرَّ منهم أبو أيّوب، وأتى بسر المدينة فصعد المنبر وقال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إليَّ معاوية ما تركت بها محتلماً إلاَّ قتلته. ثمّ مضى بسر إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عبّاس عاملاً لعلي، فلمَّا بلغه مسيره فرَّ إلى الكوفة حتَّى أتى علياً، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عبّاس وفيه ابنان له صغيران فذبحهما، وقد قال بعض الناس: إنَّه وجد ابني عبيد الله بن عبّاس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية، فلمَّا

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٠٤.

أراد قتلهما قال الكناني: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلني، قال: أفعل، فبدأ بالكناني فقتله ثمّ قتلهما، وقتل في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي باليمن. ولّما أرسل علي جارية بن قدامة في طلبه هرب[1].

تلك هي لمحات من أهداف الدولة الأموية وملامحها وأساليبها في الوصول إلى هذه الأهداف. لا فارق بين معاوية وصدّام حسين وهتلر. الغاية عند كلّ هؤلاء، تبرّر الوسيلة، بل ونزعم أنَّ ابن آكلة الأكباد، على قرب عهد بالنبوّة، أشدّ وزراً من صدّام حسين الذي قتل النساء والأطفال واستعمل السلاح الكيمياوي في قتل الأبرياء، فصدّام حسين لم يرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا سمع منه ولا ادّعى له بعض المؤرّخين أنَّه كان كاتباً للوحي، إلى آخر هذه الادّعاءات التي يمزج فيها الحقّ بالباطل.

خطاب قيادة الأمّة الشرعية

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾. سورة البقرة / ١٩٣.

على الجانب الآخر كان معسكر الحقّ، معسكر القيادة الشرعية للأمّة الإسلاميّة، قيادة أهل البيت، ورمزها يومئذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، يجاهد للحفاظ على الإسلام نقيّاً صافياً.

وكان هذا هو الهدف الحقيقي الذي تهون من أجله التضحيات كلّما.

كان الإمام علي عليه السلام ومن حوله كوكبة المؤمنين الخلّص من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

روى ابن أبي الحديد، في شرح نهج البلاغة، نقلاً عن (كتاب صفّين) لنصر بن مزاحم: خطب علي عليه السلام، في صفّين، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٤: ١٠٦ و١٠٧.

«أمّا بعد، فإنّ الخيلاء من التجبّر، وإن النخوة من التكبّر، وإنّ الشيطان عدوٌّ حاضر، يعدُكم الباطل. ألا إنّ المسلم أخو المسلم فلا تنابذوا ولا تجادلوا، ألا إنّ شرائع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لَحِق، ومن فارقها مُحِق، ومن تركها مَرَق، ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن، ولا بالمخلِف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق. نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق، وفعلنا الفضل، ومنّا خاتم النبيّين، وفينا قادة الإسلام، وفينا حملة الكتاب.

ألا إنّا ندعوكم إلى الله ورسوله، وإلى جهاد عدوّه والشدّة في أمره، وابتغاء مرضاته، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان، وتوفير الفيء على أهله. ألا وإنّ من أعجب العجائب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن العاص السهميّ يحرِّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد علمتم أنّي لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطّ، ولم أعصه في أمر، أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص، بنجدة أكرمني الله سبحانه بها، وله الحمد. ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ رأسه لفي حِجْري، ولقد وَلِّيتُ غسله بيدي وحدي، تقلّبه الملائكة المقرّبون معي. وأيم الله ما اختلفت أمّةٌ قطّ بعد نبيّها، إلاّ ظهر أهلُ باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله»[١].

لنسمع الكلمات المضيئة لأبي الهيثم بن التيهان وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بدرياً نقيباً عقبياً يسوّي صفوف أهل العراق، ويقول:

(١) شرح نهج البلاغة ٥ : ١٨١.

«يا معشر أهل العراق، إنَّه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل، والجنّة في الآجل، إلاَّ ساعة من النهار، فأرْسُوا أقدامَكم وسوُّوا صفوفكم، وأعيروا ربّكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدوَّ الله وعدوّكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم، واصبروا فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتَّقين»[1].

أمَّا عن مواقف عمّار بن ياسر رضوان الله عليه، في صفّ الإمام، فهي في المكانة العليا، ويمكن أن نتبيَّنها من خلال هذه الرواية:

عن أسماء بن حكيم الفزاري، قال: كنّا بصفّين مع علي، تحت راية عمّار بن ياسر، ارتفاع الضحى، وقد استظللنا برداء أحمر، إذ أقبل رجل يستقري الصفّ حتَّى انتهى إلينا، فقال: أيّكم عمّار بن ياسر؟ فقال عمّار: أنا عمّار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم، قال: إنَّ لي إليك حاجةً أفأنطقُ بها سرّاً أو علانيةً؟ قال: اختر لنفسك أيّهما شئت، قال: لا بل علانية، قال: فانطق، قال: إنّي خرجت من أهلي مستبصراً في الحقّ الذي نحن عليه، لا أشكُّ في ضلالة هؤلاء القوم، وأنَّهم على الباطل، فلم أزلْ على ذلك مستبصراً، حتَّى ليلتي هذه، فإنّي رأيتُ في منامي منادياً تقدَّم، فأذَّن وَشهِدَ أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونادى بالصلاة، ونادى مناديهم مثل ذلك، ثمّ أقيمت الصلاة، فصلَّينا صلاة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ودعونا دعوة واحدة، فأدركني الشكّ في ليلتي هذه، فبتُّ بليلة لا يعلمُها إلاَّ الله، حتَّى أصبحت، فأتيتُ أميرَ المؤمنين، فذكرت ذلك له فقال:

«هل لقيت عمّار بن ياسر؟»،

قلت: لا، قال:

«فالقه، فانظر ما يقول لك عمّار فاتَّبِعه».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٩٠.

فجئتك لذلك. فقال عمّار: تعرف صاحبَ الراية السوداء المقابلة لي، فإنَّها راية عمرو بن العاص، قاتلتُها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثلاث مرَّات وهذه الرابعة فما هي بخيرهنَّ ولا أبرّهنَّ، بل هي شرُّهنَّ وأفجرهُنَّ، أشهِدْت بدراً وأُحُداً ويوم حُنين، أو شهدها أب لك فيخبرك عنها؟

قال: لا.

قال: فإنَّ مراكِزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يوم بدر ويوم أُحُد ويوم حنين، وإنَّ مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، فهل ترى هذا العسكر ومَن فيه؟ والله لوددتُ أنَّ جميع مَن فيه ممَّن أقبلَ مع معاوية يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خَلْقاً واحداً، فقطَّعته وذبحته، والله لدماؤهم جميعاً أحلُّ من دم عصفور، أفترى دم عصفور حراماً؟ قال: لا بل حلال.

قال: فإنَّهم حلال كذلك، أتراني بيَّنت لك؟ قال: قد بيَّنتَ لي، قال: فاختر أيّ ذلك أحببت.

فانصرف الرجل، فدعاه عمّار ثمّ قال: أمَا إنَّهم سيضربونكم بأسيافكم حتَّى يرتابَ المبطلون منكم فيقولوا: لو لم يكونوا على حقّ ما ظهروا علينا، والله ما هم من الحقّ ما يقذى عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيافهم حتَّى يبلغونا سعفات هجر، لعلمنا أنّا على حقّ وأنَّهم على باطل[1].

وعمّار، إذ يقف هذا الموقف، إنَّما يصغي إلى صوت الله تعالى يدعوه:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٢٥٦ ـ ٢٥٨.

مسؤولية من أرادها أموية وكرهها إسلاميّة

قام ملك (بني فلان) الذين رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّهم ينزون على منبره نزو القردة، ولا نعفي أحداً من المسؤولية، لا الذين أضعفوا سلطان آل محمّد على قلوب الناس وجعلوا منهم مستشارين عند الضرورة، ولا الذين جعلوا الإمام علياً سادساً في ما أسموه بالشورى، وقد قال عليه السلام في ذلك:

«مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ، حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ»[1].

ولا الذين مهَّدوا لمعاوية سلطانه في الشام، ولَمَّا رأوا ما هو فيه من الأبّهة والسلطان قالوا: (لا نأمرك ولا ننهاك)، كأنَّ ابن آكلة الأكباد استثناء، ولا الذين حرصوا على سلب أهل البيت أموالهم التي أعطيت لهم من قبل السماء، فأخذوا فدكاً من الزهراء وحرموا آل محمّد حقّهم في الخمس، ولا الذين حرصوا على إعطاء بني أميّة ما يتقوّون به لإقامة دولتهم، فأعطوا مروان بن الحكم وابن أبي سرح خمس غنائم أفريقيا، ولا الذين أشعلوا نار الفتنة في موقعة الجمل... الخ، كلّهم مسؤولون وشركاء في هذه الكارثة.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ * مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (الصافّات: ٢٤ – ٢٦).

كلّهم أرادوها أموية وكرهوها إسلاميّة خالصة لله.

شريعة ملوك السوء

لا بأس بأن نورد نماذج من تطبيق الشريعة الإسلاميّة، على الطريقة الأموية، وهو ما يتمنّاه بعض المخدوعين في هذا الزمان:

(١) نهج البلاغة ١: ٣٤ و٣٥/ الخطبة ٣ المسمّاة بالشقشقية.

أوّلاً: النهج الأموي يبيح شرب الخمور

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش، ثمّ أتينا بالطعام، فأكلنا. ثمّ أتينا بالشراب، فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي، ثمّ قال: ما شربته منذ حرَّمه رسول الله[١].

ثانياً: النهج الأموي يبيح الربا

أخرج مالك والنسائي وغيرهما، من طريق عطاء بن يسار أنَّ معاويةَ باعَ سِقايَة من ذهب، أو ورق، بأكثر من وزنِها، فقال له أبو الدرداء: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَنْهى عن مِثْل هذا إلاَّ مثلاً بِمِثْل، فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً[٢].

ثالثاً: استلحاق زياد

وصّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنَّ الولد للفراش وللعاهر الحجر[٣]. متَّفق عليه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من ادّعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنَّه غير أبيه، فالجنّة عليه حرام». رواه

---

(١) مسند أحمد ٥: ٣٤٧.

(٢) الموطأ ٢: ٦٣٤/ ح ٣٣؛ سنن البيهقي ٥: ٢٨٠؛ الاستذكار لابن عبد البرّ ٦: ٣٤٧/ ح ١٢٨٠؛ سنن النسائي ٤: ٣٠/ ح ٦١٦٤، وقد حذف المقطع الأخير منه.

(٣) أنظر: الكافي ٥: ٤٩٢/ باب الرجل يكون له جارية.../ ح ٣؛ من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠/ ح ٥٨١٢؛ الاستبصار ٣: ٣٦٨/ ح (٢/١٣١٦)؛ تهذيب الأحكام ٨: ١٦٩/ ح (١٢/٥٨٨)؛ مسند أحمد ١: ٥٩؛ صحيح البخاري ٣: ٥؛ صحيح مسلم ٤: ١٧١؛ سنن ابن ماجة ١: ٦٤٧/ ح ٢٠٠٦؛ سنن أبي داود ١: ٥٠٧/ ح ٢٢٧٣؛ سنن الترمذي ٢: ٣١٣/ ح ١١٦٧؛ وغيرها من المصادر.

البخاري ومسلم وأبو داود[1].

أمَّا ابن آكلة الأكباد فجاء بزياد، وكان يدعى زياد ابن أبيه، وتارة زياد ابن أُمّه، وتارة زياد بن سمية، وأقام الشهادة أنَّ أباه أبا سفيان قد وضعه في رحم سمية، وكانت بغيّاً، وسمّاه زياد بن أبي سفيان ليستخدمه في قمع المسلمين الشيعة وقتلهم.

رابعاً: قتل الأحرار من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى:

﴿مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢).

روى الطبري في تاريخه: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة وأوصاه: لا تحجم عن شتم علي وذمّه والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي والاقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان... والإدناء لهم والاستماع منهم. وأقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً، وهو من أحسن شيء سيرة، وأشدّه حبّاً للعافية غير أنّه لا يدع ذمّ علي والوقوع فيه والعيب لقَتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، فكان حجر بن عدي، إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمَّم الله ولعن. ثمّ قام فقال: إنَّ الله عز وجل يقول:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: ١٣٥).

وأنا أشهد أنَّ من تذمّون وتعيّرون لأحقّ بالفضل، وإنَّ من تزكّون وتطرون أولى بالذمّ.

(١) صحيح البخاري ٨ : ١٢؛ صحيح مسلم ١ : ٥٧؛ سنن أبي داود ٢ : ٥٠١/ ح ٥١١٣.

واستمرَّت هذه الحالة حتَّى ولّي زياد الكوفة فقال مثلما كان يقول المغيرة، وردَّ عليه حجر رضوان الله عليه بمثل ما كان يردّ على المغيرة، فأرسل زياد إلى أميره معاوية فأمر باعتقاله (على وفق قانون طوارئ بني أميّة) وأُرسل إلى ابن آكلة الأكباد مشدوداً في الحديد فأمر بقتله، فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتَّى أُصلّي ركعتين، فقالوا: صلّ، فصلّى ركعتين خفَّف فيهما ثمّ قال: لولا أن تظنّوا بي غير الذي أنا عليه، لأحببت أن تكونا أطول ممَّا كانتا، ثمّ قال لمن حضره من أهله: لا تطلقوا عنّي حديداً ولا تغسّلوا عنّي دماً فإنّي ألاقي معاوية غداً على الجادّة، ثمّ قدّم فضربت عنقه[1].

لم يكن حجر بن عدي الأنموذج الوحيد الدالّ على ظلم هذه الدولة الجائرة التي يزعم جاهلو أمرها، وحدهم، أنَّها كانت تُحكم أو تَحكم بشريعة الإسلام. لقد كان بنو أميّة يدأبون ليل نهار لإطفاء نور الله، وفي الوقت نفسه كان خطّ الأئمّة عليهم السلام قد تحوَّل إلى مشروع تأسيس لإقامة دولة المهدي المنتظر وإن تأخَّر ذلك قروناً وقروناً. أمَّا بنو أميّة فيجهدون لإحداث أكبر قدر من الدمار بالأمّة الإسلاميّة وبرجالاتها وبقيمها. وفي الوقت نفسه كان خطّ آل بيت محمّد حريصاً على إبقاء قيم الإسلام الرسالي الأصيل حيّة ومتوهّجة، والتأكيد على أنَّ مرحلة التمهيد وتأسيس دولة الإمام المهدي ليست مرحلة هدنة سلبية، وليست إيثاراً للإبقاء على حياة مجموعة من البشر وإنَّما إبقاءً للقيم وإمدادها بكلّ ما يبقيها متألّقة وحيّة حتَّى زمن الظهور.

محاولة تحويل النهج الأموي إلى قدر أبدي

نفَّذ معاوية سياسة واضحة المعالم، من أبرز معالمها:

أ ـ لعن آل البيت عليهم السلام، ولاسيّما إمام الأئمّة علي بن أبي طالب عليه

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٤: ١٨٨ ـ ١٩٠.

السلام على منابر الأمّة، صباح مساء.

ب ـ العمل على رفع مكانة مناوئي أهل البيت ومنافسيهم باختلاق الروايات المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ج ـ القضاء على خطوط الدفاع بقتل رجال الشيعة واغتيالهم، مثل حجر وعمرو ابن الحمق كما أسلفنا، بل وحتَّى قتل أيّ معارض آخر له وزن وإن لم يكن من شيعة أهل البيت، ومثال ذلك سعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

د ـ استعمال سياسة الرشوة وإفساد الذمم لاستمالة من تبقّى.

وهذه السياسات نفسها هي التي بدأ بها تمدّده السرطاني في جسد الأمّة.

امتداد الملك، يزيد وليّ عهد

أراد ابن آكلة الأكباد أن يمهّد الأمر ليزيد ابنه ليمتدّ الملك في عقبه حتَّى قيام الساعة. ومن يتتبَّع أخبار الرواة، في هذا الصدد، يجد تبايناً، فمن قائل يقول: إنَّ هذا الأمر كان بمبادرة من المغيرة بن شعبة ليمدّ له معاوية في ولايته على الكوفة، ومن قائل يقول: إنَّ هذا كان بأمر من معاوية، واتّفاق مع الضحّاك بن قيس، وما اعتقده أنَّ هذه أمور واحدة... كلّ المنافقين يعلمون رغبة سيّدهم والكلّ يتبارى في اختيار الأسلوب الملائم للتنفيذ، ولا بأس بإيراد بعض النماذج التي توضّح طبيعة الملك الأموي وسياسته:

أوفد المغيرة بن شعبة عشرة من شيعة بني أميّة إلى معاوية، ليطالبوا ببيعة يزيد، وعليهم موسى بن المغيرة، فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا، وكونوا على رأيكم، ثمّ قال لموسى: بكم اشترى أبوك هؤلاء من دينهم، قال: بثلاثين ألفاً، قال: لقد هان عليهم دينهم[1].

---

(1) أنظر: الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٤.

لَمَّا اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق، بإحضار منه، دعا الضحّاك بن قيس، فقال له: إذا جلستُ على المنبر، وفرغتُ من بعض موعظتي وكلامي، فاستأذني للقيام، فإذا أذنت لك، فأحمد الله تعالى، واذكر يزيد، وقل فيه الذي يحقّ له عليك، من حسن الثناء عليه، ثمّ اُدعني إلى توليته من بعدي، فإنّي قد رأيتُ وأجمعتُ على توليته، فاسأل الله في ذلك، وفي غيره الخيرة وحسن القضاء. ثمّ دعا عدّة رجال فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحّاك، وأن يصدّقوا قوله، ويدعو إلى يزيد.

ثمّ خطب معاوية فتكلَّم القوم بعده على ما يروقه من الدعوة إلى يزيد فقال معاوية: أين الأحنف؟ فأجابه، قال: ألا تتكلَّم؟ فقام الأحنف، فحمد الله وأثنى عليه وقال بعد مقدّمة: إنَّ أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيّاً.

فغضب الضحّاك وردَّ غاضباً: ما للحسن وذوي الحسن في سلطان الله الذي استخلف به معاوية في أرضه؟ هيهاتَ ولا تورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة، فوطّنوا أنفسكم يا أهل العراق على المناصحة لإمامكم، وكاتب نبيّكم وصهره، يسلم لكم العاجل، وتربحوا من الآجل.

ثمّ قام الأحنف بن قيس فحمد الله وأثنى عليه فقال: قد علمت أنَّك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليها قصعاً، ولكنَّك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الأمر بعدك[1].

أمَّا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان من خواصّ أصحاب معاوية فقد لقي حتفه مسموماً حيث حدَّثته نفسه بالسلطة والإمارة بدلاً من يزيد.

---

(١) أنظر: الإمامة والسياسة ١: ١٤٣ ـ ١٤٧.

جاء في تاريخ الطبري: أنَّ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام، أو مال إليه أهلها كما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه حتَّى خافه معاوية، وخشي على نفسه منه لميل الناس إليه فأمر ابن آثال أن يحتال في قتله وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش وأن يولّيه جباية خراج حمص. فلمَّا قدم عبد الرحمن بن خالد لحمص منصرفاً من بلاد الروم دسَّ إليه ابن آثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها، فمات بحمص[١].

ويحكي لنا التاريخ صورة أخرى من مشاورات معاوية في خلافة يزيد، ومن بينها كلمات ذلك الأحمق الذي قام فقال:

هذا أمير المؤمنين – وأشار إلى معاوية – فإن هلك فهذا – وأشار إلى يزيد – ومن أبى فهذا – وأشار إلى سيفه –. قال معاوية: اجلس فأنت سيّد الخطباء[٢].

لم يكن عبد الرحمن بن خالد وحده هو الذي طمع في الخلافة بعد معاوية، فهناك سعيد بن عثمان بن عفّان الذي وجد له أنصاراً من أهل المدينة يقولون: والله لا ينالها يزيد حتَّى يعض هامه الحديد، إن الأمير بعده سعيد، ولكن كان أمره هيّناً، حيث خرج من حلبة المنافسة راضياً بولاية خراسان[٣].

من الواضح أنَّ الصراع السياسي كان دائراً على أشدّه حول قضيّة خلافة معاوية، وقد هدَّدت هذه القضيّة الصفّ الأموي بالتفكّك والانهيار، وأنَّ الخلافة اليزيدية لم تكن أمراً مستقرّاً حتَّى في داخل البيت الأموي نفسه، حتَّى أنَّ معاوية اضطرَّ لتأجيل إعلان هذا الأمر إلى ما بعد هلاك زياد، وأنَّ مروان بن الحكم، والي معاوية

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٧١.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٨.

(٣) أنظر: تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٢٢٤.

على المدينة، عارض هذا الأمر بشدّة ما اضطرَّ معاوية إلى اعفائه من منصبه، ويمكننا أن نُرجع هذه المعارضة الداخلية لعدَّة أسباب منها:

أ ـ إنَّ انتقال السلطة إلى يزيد، من طريق ولاية العهد، كان اقتباساً من النظام السياسي البيزنطي الذي لم يعرفه العرب في سابق تاريخهم، ولعلَّ قرب موقع معاوية من دولة الروم كان مصدر معرفته بهذا النظام الملكي الامبراطوري الذي صار هو النظام السياسي في الأمّة الإسلاميّة في ما بعد.

ب ـ إنَّ هذا الأسلوب كان إهداراً لنظام الشورى الذي توهَّم المسلمون أنَّه القانون الأساسي للمسلمين. والواقع أنَّ الشورى لم تكن قد مورست بصورة جيّدة في الحِقَب السابقة ممَّا يسمح باستقرار معالمها وأساليب ممارستها. فأن يأتي معاوية لينقل المداراة إلى ديكتاتورية صريحة كان هذا أمراً ثقيلاً على كثيرين، وخاصّة على أولئك الذين توهَّموا أنَّهم أهل الحلّ والعقد، ولم يكن معاوية ليبقي على نفوذهم ولا على وجودهم نفسه، إذا تعارض ذلك مع رغباته السلطوية الجامحة.

ج ـ صفات يزيد الشخصية وافتقاده الحدّ الأدنى من المقوّمات جعلت زياداً، وهو من هو في بغيه وعدوانه ونسبه، كارهاً لبيعته وإمارته قائلاً: (ويزيد صاحب رَسْلَة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد)[1] وكتب إلى معاوية يأمره بالتؤدة وألاَّ يعجل.

لم تستعص الأغلبية على معاوية ولا على أساليبه، فهناك المتطوّعون السابقون إلى مرضاة الطواغيت، مثل الضحّاك بن قيس والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب، ولا بأس هنا بأن نورد بعضاً من منجزات سمرة، هذا (الصحابي) الذي استخلفه زياد على الكوفة ثمّ عاد إليه فوجده قد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له: هل تخاف أن تكون

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٢٤ و٢٢٥.

قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت ـ أو كما قال ـ، وعن أبي سوار العدوي قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً كلّهم قد جمع القرآن[1]. ثمّ عزله ـ معاوية ـ فقال سمرة: لعن الله معاوية، والله لو أطعتُ الله كما أطعتُ معاوية ما عذَّبني أبداً[2].

لقد أجاد معاوية سياسة (فرِّق تسد)، فلمَّا أحسَّ أنَّ رجالات المدينة يمتنعون من بيعة يزيد، راسلهم أوّلاً ثمّ ذهب إليهم نفسه، في عام خمسين للهجرة، مستعملاً سياسة المخادعة عازفاً على أوتار النفوس ومكامن الأهواء، عالماً أنَّ الأمّة التي أسلمت علياً والحسن لن تجتمع كلمتها خلف الحسين عليه السلام، ومن ثَمَّ فإنَّ المطلوب هو كسب الوقت وتفتيت المعارضة وضرب الناس بعضهم ببعض حتَّى يصل الملك إلى يزيد غنيمة باردة.

نهج الثورة الحسينية

ما أحوج الأمّة، وسط هذا الظلام الأموي وهذه الفتنة العمياء إلى موقف حسيني يبدّد الظلمات، موقف حسيني لا يتحدَّث عن الحقّ وإنَّما يفعله، ولا يفعله فعلاً يراه بعض الناس ويغفل عنه بعضهم الآخر، وإنَّما يفعله فعلاً يبقى مسطوراً ومحفوراً في عمق الأرض وفي عمق الوجدان البشري. ما أحوج الأمّة الإسلاميّة والبشرية كلّها إلى هذا النور المتوهّج لتبقى شمس الحسين تهدي الحائرين وتدلّ السائلين على الحدود الفاصلة بين الحقّ والباطل، بين مرضاة الله وسخطه.

هكذا كانت ثورة الحسين. لم تكن حالة انفعالية نشأت عن حالة الحصار التي

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٧٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢١٧.

تعرَّض لها أبو عبد الله الحسين ولا كانت حركة إلى المجهول أملتها أجواء رسائل البيعة المشكوك في صدقها، منذ البدء كانت فعلاً مدروساً وخططاً منذ لحظة ولادته وبدأت خطوات تنفيذها في اللحظة التي تخيَّل فيها ابن آكلة الأكباد أنَّه لا إسلام حقيقياً بعد اليوم، وليبقَ الدين لعقٌ على ألسنة بعض القادة يصعدون به على أعناق الناس يطلبون الدنيا بادّعاء النسك والزهادة على أن يدعوا ما لقيصر لقيصر، وما تبقّى إن تبقّى شيء فهو لله.

اكتمال عناصر التحرّك

كتب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام يقولون: ليس علينا إمام، فأقبل لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ[1]. وتوالت الكتب تحمل التوقيعات تدعوه إلى المجيء لاستلام البيعة وقيادة الأمّة في حركتها في مواجهة طواغيت بني أميّة، وهكذا اكتملت العناصر الأساسية للحركة الحسينية، وهي:

أ - وجود قيادة شرعية تمثّل التصوّر الحقيقي للإسلام، وهي قيادة أبي عبد الله الحسين.

ب - وجود الظروف الداعية إلى حمل لواء التغيير، وتتمثَّل في تمادي الفساد الأموي ورغبته في مصادرة إرادة الأمّة مرَّة واحدة وإلى الأبد في شكل مبايعة يزيد (القرود).

ج - وجود إرادة جماهيرية تطلب التغيير وتستحثّ الإمام الحسين للمبادرة إلى قيادة الحركة وكان موقع هذه الإرادة في الكوفة، تمثَّلت في رسائل البيعة القادمة من أهلها.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٦؛ تاريخ الطبري ٤: ٢٦٢.

وهكذا لم يكن بوسع أبي عبد الله الحسين أن يقف من هذه الأمور كلّها موقف المتفرّج الهارب بنفسه من ساحة الوغى أو (الفار بدينه) إلى ساحات الاعتزال والانعزال، وهي جميعها أشكال مختلفة من الهروب والتهرّب من تحمّل المسؤولية، وهو مسلكٌ فضلاً عن ضرره البليغ على الواقع الراهن في تلك اللحظة يعطي المسوّغ لكلّ من تعرَّض لهذه الظروف أو ما شابهها أن يهرب بنفسه وينجو بشحمه ولحمه حتَّى يستوفي الأجل المحتوم، ويبقى في وجدان الأمّة رمزاً من رموز الكهنوت الهارب من مواجهة الشيطان في أرض الواقع واللائذ بالنصوص والمسوّغات.

كان بوسع الحسين عليه السلام أن يفعل مثلما فعل ابن عمر فيبايع بيعة المضطر ليزيد، ونضيف إلى لائحة الروايات التسويغة التي رواها الرجل على لسانه أو على لسان النبيّ الأكرم عدَّة نصوص أخرى ربَّما كانت تحتلّ مكاناً أبرز من نصوص ابن عمرو كان البخاري ومسلم سيحتفلان بها، فها هو ابن الرسول وعلي وفاطمة يوجب السمع والطاعة ليزيد القرود ويدعو إلى توحيد الجماعة صفّاً واحداً خلف حفيد آكلة الأكباد وحفيد أبي سفيان عدوّ الله ورسوله حتَّى آخر نفس.

ولو كان فعل هذا ـ وحاشاه ـ لاستشهد به الأفاكون والمنافقون والمخادعون في كلّ موقف يرون فيه ضرورة إسناد حزب الشيطان ومنعه من الانهيار، ولما قال أحد: ثار الحسين رافضاً الظلم واستشهد في سبيل الله، ولماتت هذه الأمّة إلى نهاية الدهر.

إقامة الحجّة وبيان الحقيقة

ثمّ جاء صباح عاشوراء، ووقف الحسين عليه السلام يدعو ربّه:

«اللّهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدَّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدَّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد وتقلُّ فيه الحيلة ويخذل

فيه الصديق ويشمت فيه العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك رغبةً منّي إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته فأنت وليّ كلّ نعمة وصاحب كلّ حسنة ومنتهى كلّ رغبة»[١].

ثمّ إنَّ الحسين أضرم ناراً وراء البيوت لئلاَّ يأتيه أعداء الله من الخلف، فجاءه شمر بن ذي الجوشن وقال: يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين: «من هذا؟ كأنَّه شمر بن ذي الجوشن»، فقالوا: نعم أصلحك الله، هو هو. فقال: «يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً». فقال مسلم بن عَوْسَجَة: يا ابن رسول الله جُعلتُ فداك ألا أرميه بسهم. فإنَّه قد أمكنني وليس يسقط سهم، فالفاسق من أعظم الجبّارين. فقال له الحسين:

«لا ترمِه فإنّي أكره أن أبدأهم»[٢].

سلام الله عليك يا أبا عبد الله، ها أنت، وأنت في قمَّة المواجهة مع أعداء الله من بني أميّة محافظاً على موقف فقهي، وأخلاقي، وعقائدي راسخ.

سلام الله عليك يا من أنت من نور أبيك وأُمّك، ومن نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالإمام علي عليه السلام لم يبدأ أعداءه، أعداء الله يوماً بقتال لا أصحاب الجمل، ولا الخوارج، ولا بني أميّة يوم صفّين، فالقوم أدعياء إسلام دخلوا هذا الدين من بوّابة النبوّة، ولسنا بصدد تكفيرهم ولا استباحة دمائهم.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤)، ﴿فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣).

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢١.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢٢.

هذا هو المبدأ الراسخ في العلاقة بين أبناء الأمّة المنتمين إليها حتَّى ولو كان ذلك بمجرَّد الاسم والادّعاء. وإن فتح باب التكفير وقتل المسلمين، حتَّى الأدعياء منهم، فإنَّ ذلك يعني فتح باب فتنة لا يُغلَق.

معاني خروج حرائر آل البيت

بقي أن نسجّل ما كشفته الأحداث عن معاني خروج حرائر أهل البيت عليهم السلام مع الحسين. لقد قتل الحسين عليه السلام ولم يشهد أحد من المؤمنين هذه الجريمة إلاَّ حرائر أهل بيت النبوّة، من ينعاك إذن يا أبا عبد الله إلاَّ بنات علي وفاطمة؟ ها هي زينب عليها السلام حتَّى تمرُّ بالحسين عليه السلام صريعاً فتبكيه، وتقول:

(يا محمّداه يا محمّداه صلّى عليك ملائكة السماء هذا الحسين بالعرا مرمَّل بالدما مقطع الأعضا، يا محمّداه وبناتك سبايا وذرّيتك مقتلة تسفي عليها الصبا). فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق[1].

ثمّ ها هي أسيرة في مجلس ابن زياد، فيسأل: من هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال ذلك ثلاثاً كلّ ذلك لا تكلّمه، فقال بعضُ إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة. فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت:

(الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وطهَّرنا تطهيراً لا كما تقول أنت، إنَّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر).

قال: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت:

(كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتخاصمون عنده).

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨ و٣٤٩.

قال: فغضب ابن زياد واستشاط. قال له عمر بن حريث: أصلح الله الأمير إنَّما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها؟ فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة والمردة من أهل بيتك. فبكت ثمّ قالت:

(لعمري لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت)[1].

محاولات إخفاء الحقيقة، ابن كثير يناقض نفسه

كلمات واضحة يفهمها من يقرأها، تستعصي على التزوير، لكن يد الغشّ والخيانة أخفت كلّ شيء وزوَّرت كلّ شيء، ونشأت أجيال وأجيال لا تعرف من ذكرى الحسين إلاَّ أنَّه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنَّه خرج يطلب الملك والإمارة فخذله المسلمون الشيعة، وقتله بنو أميّة وهم أصحاب الدولة الشرعية، وأمَّا الشيعة فهم يضربون أنفسهم ويسيلون دماءهم لأنَّهم قتلوه، قليل أولئك الذين يعرفون الحقيقة بتفصيلاتها حتَّى (ابن كثير) يكتب فصلاً، في البداية والنهاية، بعنوان: (صفة مقتل الحسين بن علي عليه السلام مأخوذة من كلام أئمّة هذا الشأن لا كما يزعمه أهل التشيّع من الكذب الصريح والبهتان).

ولا يلام ابن كثير الدمشقي على حبّ قومه من بني أميّة، ولا على سبابه للمسلمين الشيعة واتّهامه لهم بالكذب الصريح والبهتان.

ولكن العجب كلّ العجب أنَّه لم يخالف حرفاً واحداً ممَّا رواه أئمّة التشيّع في كتبهم عن مقتل الحسين عليه السلام، ويكذّب عدَّة روايات وردت في هذا الشأن ليست محورية ولا أساسية في القضيّة وهو يتناقض مع نفسه فيقول: (ولقد بالغ الشيعة

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٩ و٣٥٠.

في يوم عاشوراء فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذٍ حتَّى بدت النجوم...)[1].

ثمّ يقول ناقضاً ما ذهب إليه: (وأمَّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح! فإنَّه قلَّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة أو عاهة في الدنيا فلم يخرج منها حتَّى أصيب بمرض وأكثرهم أصابهم الجنون)[2].

ثمّ يناقض نفسه، ويتخبَّط ويواصل الشتم والسبّ، ويقول: (للشيعة والروافض في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة وفي ما ذكرناه كفاية، وفي بعض ما أوردناه نظر، ولولا أنَّ ابن جرير وغيره من الحفّاظ ذكروا ما سقته وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعياً وهو ضعيف الحديث عند الأئمّة، ولكنَّه إخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره...)، ثمّ يقول: (وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه... فكانت الدبادب تضرب بغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء...) الخ.

(وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام فكانوا يوم عاشوراء يطبخون ويغتسلون ويتطيَّبون ويلبسون أفخر ثيابهم، ويتَّخذون ذلك اليوم عيداً يصنعون فيه أنواع الأطعمة ويظهرون السرور والفرح يريدون بذلك عناد الروافض ومعاكستهم)[3].

إذن الشيخ ابن كثير يقرُّ ويعترف أنَّ أجهزة الدعاية الأموية قلبت الحقائق وحوَّلت يوم الكارثة إلى عيد وسرور، وهو الذي ما زال متداولاً إلى يومنا هذا.

(1) البداية والنهاية 8 : 219.

(2) البداية والنهاية 8 : 220.

(3) المصدر السابق.

ويمضي الرجل يكشف على استحياء دخيلة نفسه فيقول:

(وقد تأوَّل عليه من قتله أنَّه جاء ليفرّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، فقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك والتحذير منه والتوعيد عليه)[1].

عفواً، أيّها الشيخ، يبدو أنَّ (خطأ) الإمام الحسين عليه السلام أنَّه ولد واستشهد قبل مجيء (مسلم) وكتابه، فلم يدر بالحديث المزعوم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعلم أنَّ الأمّة بعد قرنين ستعرف (صحيح مسلم) وتجعل (صحيح الحسين).

عفواً، أيّها الشيخ، فقد جهلت الأمّة (حديث الثقلين): «إنّي تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به بعدي لن تضلّوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض»[2]، وهو حديث رواه (مسلم) في صحيحه بعد الحسين بقرنين، لقد جهلت الأمّة هذا الحديث يوم كان عليها أن تذكره ثمّ روته بعد ذلك ولم تفهمه هذه الأمّة التي نسيت وتناست ما صحَّ نصّاً وما جسَّده الإمام الحسين، مارست الدين على الطريقة الأموية ومن حاول المقاومة كان مصيره القتل كما أسلفنا من قبل.

ثمّ يمضي الشيخ في منطقه ويقول بعدما عدَّد القتلى ممَّن عدَّهم أفضل من الحسين وأبيه: (ولم يتَّخذ أحدٌ يومَ موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين)[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث متواتر روته الخاصّة والعامّة بألفاظ مختلفة، راجع: بصائر الدرجات: ٤٣٢/ باب في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تارك فيكم الثقلين...»؛ أمالي الصدوق: ٥٠٠/ ح (١٥/٦٨٦)؛ دلائل الإمامة: ١٢٤/ ح (٣٦/٣٦)؛ مسند أحمد ٣: ١٤؛ سنن الدارمي ٢: ٤٣٢؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩.

(٣) البداية والنهاية ٨ : ٢٢١.

ثمّ يناقض نفسه كعادته: (وأحسن ما يقال، عند ذكر هذه المصائب وأمثالها، ما رواه علي بن الحسين، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال:

«ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكَّرها وإن تقادم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلاَّ أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها»)[1].

إنَّنا نستعرض كلمات (ابن كثير) لأنَّها أنموذج لحالة التناقض والارتباك التي وقع فيه الكثيرون ممَّن أذهلهم الحدث وعجزوا عن متابعته وقول كلمة الحقّ فيه، ومن أولئك الذين أرادوا استتباب الأمر لبني أميّة وظنّوا أنَّ قضيّة آل البيت قد طويت وانتهت فلمَّا أعلن الحسين ثورته وخطَّ كلمة الحقّ بدمائه على الأرض، وفي السماء بل وفي الكون كلّه، لجأوا مرَّة أخرى إلى الكتمان والتزييف لعلَّ الناس ينسون، ولكن هيهاتَ هيهاتَ.

من يُقيل عثرة الأمّة المنكوبة؟

وهكذا انقضت هذه الجولة ونال كلّ طرف ما يستحقّه، نال الحسين وآل بيته الشهادة التي أرادوها واستحقّوها، فيما نال بنو أميّة ومن والاهم اللعنة الدائمة، والخسران المبين.

أمَّا هذه الأمّة المنكوبة فلا نجد من يصف حالها ومآلها إلاَّ هذه الرواية التي يذكرها الطبري في (تاريخ الأمم والملوك) فيقول ما نصّه:

لمَّا وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد أخذ ينكت بين ثنيتيه ساعة، فلمَّا رآه زيد بن أرقم لا ينجِمُ عن نكته بالقضيب قال له: أعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فهو الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هاتين الشفتين يقبّلهما. ثمّ انفضخ الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى

(١) المصدر السابق.

الله عينيك، فوَالله لولا أنَّك شيخ قد خرفتَ وذهب عقلك لضربت عنقك. قال: فنهض فخرج. فلمَّا خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله، فقلت: ما قال؟ قالوا: مرَّ بنا وهو يقول: ملك عبد عبداً، فاتَّخذهم تُلداً. أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمَّرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذلّ فبُعداً لمن رضي بالذلّ[1].

أي والله، أيّها الشيخ، إنَّها لشهادة حقّ ولكن بعد فوات الأوان، ولكنَّها تحكي الواقع الذي احتار الناس في تفسيره، لماذا وكيف صرنا لما نحن عليه الآن عبيد في ديارنا لا نملك من الظالمين دفعاً ولا نفعاً، هذا يحكي لنا عن الحرّية في أوروبا! وذاك يحكي لنا عن طبيعة هذا الشعب أو ذاك الذي يحبّ العبودية ولم يحاول أحد أن يصل إلى الحقيقة.

إنَّ ما جرى علينا هو استجابة لدعوة دعاها أبو عبد الله على من قتله أو رضي بذلك أو سمع فلم ينكر. فها هو أبو عبد الله الحسين يدعو عليهم وقد أثخنته الجراح: «اللّهمّ أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللّهمّ فإن متعتَّهم إلى حين ففرّقهم فِرَقاً واجعلهم طرائقَ قِدداً ولا تُرْض عنهم الولاة أبداً فإنَّهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا»[2].

ثمّ هو عليه السلام يقول قبل قتله مباشرة – وهو يقاتل على رجليه قتالَ الفارس الشجاع يتَّقي الرمية ويفترص العورة ويشدّ على الخيل –: «أعلى قتلي تحاثون؟ أمَا والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله منّي، وأيم الله إنّي لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أمَا والله أن لو قد قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثمّ لا يرضى لكم حتَّى

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٤ و٣٤٥.

يضاعف لكم العذاب الأليم»[1].

وهكذا ضاعت الفرصة تلو الفرصة من هذه الأمّة من دون أن تستفيد منها وكان أمر الله قدراً مقدوراً. والفرص لا تمنح للأمم مائة مرَّة، ولا عشرين مرَّة، ولا عشر مرَّات، إنَّ الفرص التاريخية لإصلاح الأحوال والسير على نهج مستقيم لا تأتي إلاَّ قليلاً.

وهكذا ضاعت من هذه الأمّة فرصة السير على نهج نبيّها ثلاث مرَّات، فرصة الإمام علي، ثمّ فرصة الإمام الحسن، ثمّ كانت فرصة الإمام الحسين هي القاصمة التي ما بعدها قاصمة، وكان لا بدَّ من انتظار طويل. وأسدل ستار الليل في سماء هذه الأمّة وهو ليل لن يجلوه إلاَّ ظهور قائم أهل البيت عليهم السلام، الإمام الثاني عشر محمّد المهدي المنتظر عليه السلام.

وهكذا قُدِّر لنا أن ننتظر ذلك الانتظار الطويل وأن نعيش ذلك الصراع المرير بين قوى الحقّ والباطل داخل هذه الأمّة، وأن نرى كلّ هذه المصاعب والويلات من سفك دماء وطاقات تهدر في صراعات داخلية ورؤوس تطير وسجون تملأ وغزوات خارجية تترية وصليبية وأخيراً صهيونية وقبلها أوروبية وحكومات من الأنواع والأشكال كافّة مملوكية وعبّاسية وأموية وعثمانية، وهل هناك أسوأ من أن يحكم المماليك العبيدُ أمّة وهم لا يملكون حقّ التصرّف في ذواتهم؟ كلّ هذه الحكومات أكثرت من الظلم، وقلَّلت من العدل وادّعى الجميع أنَّهم يطبّقون الإسلام، والكلّ يقتل بالظنّة، والكلّ يستبيح الخمور، وانتهاك الأعراض. وأخيراً جاءت إلينا الحكومات العلمانية والقومية والاشتراكية والملكية والشيوعية، جرَّبوا فينا كلّ شيء إلاَّ العدل، ذلك الممنوع علينا من يوم جاء بنو أميّة.

وهكذا قُدّر لنا أن نعيش الصراع والانتظار.

(1) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: 197 - 200؛ تاريخ الطبري 4: 346 و347.

(٦)

إدريس الحسيني

(مالكي/ المغرب)

ولد عام (١٩٦٧م) بمدينة (مولاي إدريس) المغربية، وترعرع في مدن المغرب: القصر الكبير، مكناس، الرباط، وذلك نتيجة الظروف التي كانت تحدّدها وظيفة والده في وزارة الفلاحة.

الأجواء التي ترعرع فيها

نشأ السيّد إدريس في أوساط عائلية وبيئة اجتماعية منحته منذ البداية الثقة بالنفس والعقلية المنفتحة والواعية نتيجة هيمنة قانون حرّية الرأي وحرّية الفكر فيها، فكان متحرّراً من كلّ فكر عقائدي في بيئته ولم يواجه أيّ لون من ألوان الأزمة في الحرّية.

فيقول السيّد إدريس في هذا المجال: (إنّني لم أنشأ في أسرة تضرب أبناءها إطلاقاً، لأنَّ المغاربة لا يعرفون كيف يضربون أبناءهم. وهذه الحرّية العقائدية في بيتي ساعدتني على أن أدخل في معترك الاختيارات الفكرية من دون مسبقات).

كما أنَّ دولة المغرب بنحو عامّ كما يصفها السيّد إدريس بلد يتمتَّع بمجتمع مدني، وفيه أن تختار فكراً لا يعني أنَّ المسألة أصبح لها مدلولاً طائفياً، كما هو الوضع في بلدان أخرى، بل الكلّ حرّ في أن يختار طريقته من دون أن يذهب به ذلك إلى الإخلال بالأمن العامّ.

وفي هكذا أجواء ترعرع السيّد إدريس متَّسماً بالعقلية المتفتّحة والناقدة، فنما لديه طموح البحث في الفكر الإنساني على نحو عام والفكر الإسلامي على نحو خاص، وهذا هو الطموح الذي ظلَّ يراوده منذ الصبا والذي دفعه ليجتاز العقبات كلّها التي اعترته من أجل تحقّقه.

بداية الرحلة الجادّة في البحث

أدرك السيّد إدريس في بداية توجّهه للبحث أن ليس ثمَّة شيء في الدين إلاَّ وله علاقة بالتاريخ، وأنَّ ما تملكه اليوم الأمّة الإسلاميّة من عقائد وأحكام وثقافات كلّها جاءت عن طريق الرواية، فلهذا ينبغي أن يكون التاريخ هو أحد المصادر العلمية المهمّة. فتوجَّه السيّد إدريس إلى الأبحاث التاريخية بصورة موضوعية ومن دون تحيّز أو تعصّب لاتّجاه معيَّن.

مرحلة اجتياز العقبات

أوّل عقبة واجهها السيّد إدريس في مسيرته تحذير بعض العلماء له من البحث في القضايا التاريخية القديمة، محتجّين لذلك بأنَّ هذا الأمر باعث على الفتنة وأنَّه يورث الباحث شبهات توجب تزلزل بنيته العقائدية.

لكن السيّد إدريس سرعان ما تمكَّن من اجتياز هذه العقبة، فلم يتقبَّل هذه

الفكرة، فيقول في هذا المجال: (لقد تحوَّل البحث عن الحقيقة، فتنة في قاموس هذا الصنف من الناس، وكأنَّهم يرون البقاء على التمزّق الباطني، حيث تتشوَّش الحقيقة وتغيب، أفضل من الافصاح عن الحقّ الذي من أجله أنزل الوحي، وكأنَّ مهمّة الدين هو أن يأتي بالغموض، وكأنَّ الله عز وجل أراد أن يبلبل الحقائق).

وكانت العقبة التالية أمامه هي قداسة بعض الشخصيات، لكن بعد عزمه على معرفة الحقّ أدرك أنَّ الحقيقة أغلى وأنفس من الرجال من دون استثناء، وأنَّه لا بدَّ أن يوطّن نفسه ويهيّئها للطوارئ في معترك التنقيب عن الحقائق الضائعة. فلهذا لم يفسح المجال لأيّ قداسة مزعومة أن تجمّد فكره في مجال البحث عن الحقيقة.

وبهذه العقلية خاض السيّد إدريس غمار البحث، واستغرقت رحلة بحثه مدّة طويلة عاشها بين أنقاض التاريخ المدفون.

ويقول السيّد إدريس: (لقد قمت بكلّ ما يمكن أن يفعله باحث عن الحقيقة، ومصرّ على المضي في دربها المضني والوعر).

بداية تعرّفه على التشيّع

يقول السيّد إدريس: (وقع في يدي كتابان يتحدَّثان عن فاجعة كربلاء وسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكنت لأوّل مرَّة أجد كتاباً يحمل لهجة من نوع خاصّ مناقضة تماماً لتلك الكتب التي عكفت على قراءتها، لم أكن أعرف أنَّ صاحب الكتاب رجل شيعي، لأنَّني ما كنت أتصوَّر أنَّ الشيعة مسلمون! فكانت تختلط عندي المسألة الشيعية بالمسألة البوذية أو السيخية!).

ومن هنا تفتَّحت ذهنية السيّد إدريس فتعرَّف على بعض ورؤى التشيّع أفكاره فتبادر إلى ذهنه: لماذا هؤلاء شيعة ونحن سُنّة؟

ويقول السيّد إدريس: (تحوَّل هذا السؤال في ذهني إلى شبح، يطاردني في كلّ مكان، فتجاهلت الأمر في البداية وتناسيته حتَّى أخفِّف عن نفسي مضاضة البحث، بيد أنَّ ثقل البحث كان أخفّ عليَّ من ثقل السؤال وأقلُّ ضغطاً من الحيرة والشكّ المريب).

ومن هذا المنطلق قرَّر السيّد إدريس ولأجل التخلّص من هذا الضغط النفسي أن يزوّد فكره بالجديد حتَّى يحسم مسلّماته الموروثة، لأنَّه أدرك عدم قيمة أفكار تتراكم في ذهنه من دون أن تبلور عنده أساس عقائدي متين.

فلهذا قرَّر السيّد إدريس أن يتوجَّه إلى معرفة الفكر الشيعي من أجل الإلمام بالفوارق بينه وبين الفكر السُنّي.

ثمار الانغماس في التراث الشيعي

لم تمض مدة قصيرة من دراسة السيّد إدريس للتراث الشيعي إلاَّ وأدرك أموراً خطيرة قلبت عنده الموازين، وكان منها وعيه بأنَّ الوضع السُنّي لا يجد حرجاً في أن يملي على أتباعه صورة مشوّهة عن معارضيه وأنَّه لا يستحي من الله ولا من التاريخ في تغذيته نزعة التجهيل والتمويه لمنتميه.

ويقول السيّد إدريس: (وفجأة وجدت نفسي مخدوعاً).

وانتفض ضميره قائلاً: (لماذا هؤلاء لا يكشفون الحقائق للناس كما هي في الواقع؟ لماذا يتعمَّدون إبقاءنا على وعينا السخيف؟).

فقرَّر السيّد إدريس أن يبحث عن الحقّ الضائع في منعطفات التاريخ الإسلامي، وكان من أكبر الأحداث التاريخية التي تركت الأثر العميق في وجدانه هي فاجعة الطفّ الدامية، ومنها عرف أنَّ هذا الظلم الذي يشكو منه اليوم ليس جديداً على الأمّة، وأنَّ

الظالمين اليوم يسلكون طريقاً أسَّسه أفراد كانوا يشكّلون حجر عثرة أمام مسيرة الأئمّة من آل البيت عليهم السلام.

عقبة أحقّية الأكثرية

يقول السيّد إدريس: (كنت كلَّما طرحت سؤالاً على نفسي، رأيت شيطاناً يعتريني ويقول لي: دع عنك هذا السؤال، فهل أنت أعظم من ملايين المسلمين الذين وجدوا قبلك، وهل أنت أعلم من هؤلاء الموجودين حتَّى تحسم في هذه المسألة؟).

ويضيف: (كنت أعلم أنَّ هؤلاء الملايين لم يطرحوا هذا السؤال على أنفسهم بهذه القوَّة والإلحاح).

وعلى كلّ حال لم تكن هذه الاعتراضات بذلك المستوى الذي تردع السيّد إدريس عن اندفاعه إلى كشف الحجاب عن الحقيقة المستورة.

ولقد حزَّ في نفسه هذه الكثرة الغالبة، حيث إنَّها كبرت في عينه وصعب عليه مخالفتها، بيد أنَّ شيئاً واحداً جعله ينتصر عليها وذلك بإيمانه بأنَّ الأكثرية فقط لا يمكنها أن تمثّل الحقيقة، ولا يسع في البحث الموضوعي عدّ الأكثرية ملاكاً لمعرفة الحقّ، وهذا ما جعله يتمكَّن من الصمود أمام الأمواج البشرية الهائلة التي ليس لها منطق في عالم الحقائق سوى كثرتها.

ويقول السيّد إدريس: (كنت أطرح دائماً على أصدقائي قضيّة الحسين عليه السلام المظلوم، وآل البيت عليهم السلام... فأنا ظمآن إلى تفسير شافٍ لهذه المآسي... كيف يستطيع هؤلاء السلف (الصالح) أن يقتلوا آل البيت عليهم السلام تقتيلاً!؟ لكن أصحابي، ضاقوا منّي وعزَّ عليهم أن يروا فكري يسير حيث لا تشتهي سفينة الجماعة).

ويضيف السيّد إدريس: (من هنا بدأت قصَّة ـ الحركة نحو الاستبصار ـ وجدت

نفسي أمام موجة عارمة من التساؤلات التي جعلتني حتماً أقف على قاعدة اعتقادية صلبة. أنَّني لست من أولئك الذين يحبّون أن يخدعوا أو أن ينوّموا، لا، أبداً، لا أرتاح حتَّى أجدّد منطلقاتي، وأعالج مسلّماتي، فلتقف حركتي في المواقف، ما دامت حركتي في الفكر صائبة).

ومن هنا شدَّ السيّد إدريس عزمه لمواصلة طريق البحث مهما كانت النتائج، كما أنَّه أدرك بأنَّ هذا الطريق وعر، تتجلّى فيه أقوى معاني التضحية، وفيه يكون الاستقرار والهناء بدعاً. لأنَّ أئمّة هذا الطريق ما ارتاح لهم بال ولا قرَّ لهم جنان، حتَّى يُتّموا، وذُبحوا، وحُوربوا عبر الأجيال!

فأدرك السيّد إدريس مدى قيمة الحقيقة في حسبان الباحثين عنها، وأدرك مدى الجهد الذي ينبغي بذله لخلع جبّة التقليد عن نفسه، واختراق الجدار السميك من الضلالات والأعراف والتقاليد.

فعدَّ لنفسه العدّة المطلوبة لهذه الرحلة الفكرية، فكانت نتيجة هذا الجهد الذي بذله في البحث هو انجلاء تلك الصورة التي ورثها عن الشيعة، وحلَّ محلّها المفهوم الموضوعي الذي يتأسَّس على العمق العلمي المتوفّر في الكتابات التأريخية. كما تبيَّن له أنَّ مذهب أهل البيت عليهم السلام هو أوّل مذهب في الإسلام، وهذا لا يعني أنَّ الشيعة انفردوا عن غيرهم بطريقة ابتدعوها، ولكنَّهم احتفظوا بموقعهم الأصيل الذي عُرفوا به، هذا في الوقت الذي شردت فيه جميع الملل والنحل، وتفرَّقت تبتغي الحقّ عند غير أهله.

اتّخاذ الموقف النهائي

يقول السيّد إدريس: (في اللحظات التي ظهرت لي الأحداث على حقيقتها،

قامت - فوراً - حرب بين عقلي ونفسي، فالنفس عزَّ عليها اقتلاع (ضرس) العقيدة السابقة، والعقل عزَّ عليه أن يتغاضى عن الحقائق الواضحة القطعية، فإمَّا أن أتَّبع طريقاً موروثاً، وإمَّا أن أسلك سبيل القناعة ونور العقل).

ويضيف: (كان هذا أخطر قرار اتَّخذته في حياتي، لكي أنتقل بعدها إلى رحاب التحدّيات الفكرية والاجتماعية).

ومن هنا استقرَّ المقام بالسيّد إدريس في هدى الأئمّة الأطهار، فأعلن تشيّعه في المغرب ثمّ هاجر إلى سوريا من أجل الالتحاق بالحوزة العلمية في دمشق. فتلقّى دراسته الحوزوية على يد جملة من المشايخ والعلماء، وما يزال متابعاً لدراسته إلى جانب مزاولة التدريس بالحوزة العلمية، إضافة إلى عمل الصحافة والكتابة الأخرى.

وقد تبلور عند الأستاذ اتّجاهين في رحاب العلم والمعرفة:

الأوّل: الاهتمام بالمباحث المعاصرة والجديدة والحديثة التي تطرح بكثافة في ساحة المغرب، الثاني: هو الاهتمام بالمباحث الدينية والمذهبية التي بدأ يتلقّاها على أيدي أساتذة الحوزة العلمية التي انتسب إليها.

وقد أبدع الأستاذ في نتاجاته في كلا الاتّجاهين، فألَّف بعض الكتب فيما يخصّ المباحث الدينية مثل كتاب (لقد شيَّعني الحسين)، وكتاب (الخلافة المغتصبة)، وألَّف جملة من الكتب تدور حول الأفكار والرؤى المعاصرة ككتاب (محنة التراث الآخر).

مؤلّفاته

١ - **لقد شيَّعني الحسين عليه السلام** (الانتقال الصعب في رحاب المعتقد والمذهب)، صدرت الطبعة الأولى عام (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) عن دار النخيل للطباعة والنشر/ بيروت، ترجمه مالك محمودي إلى اللغة الفارسية تحت عنوان (راه دشوار از

مذهب به مذهب) وصدرت الترجمة عام (١٤١٦هـ) عن دار القرآن الكريم/ قم.

٢ ـ **الخلافة المغتصبة** (أزمة تاريخ أم أزمة مؤرّخ)، صدرت الطبعة الأولى عن دار الخليج، والطبعة الثانية عام (١٤١٦هـ) عن دار النخيل العربي للطباعة والنشر/ بيروت.

٣ ـ **هكذا عرفت الشيعة** (توضيحات وردود)، صدر عام (١٤١٨هـ) عن دار النخيل العربي للطباعة والنشر/ بيروت.

٤ ـ **محنة التراث الآخر** (النزعات العقلانية في الموروث الإمامي)، صدر عن دار الغدير/ بيروت سنة (١٤١٩هـ).

٥ ـ **حوار الحضارات،** صدر عن المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء/ المغرب/ الطبعة الأولى/ عام (٢٠٠٠م).

٦ ـ **المفارقة والمعانقة** (سؤال المقابسة في قرن جديد، رؤية نقدية في مسارات العولمة وحوار الحضارات)، صدر عن المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء/ المغرب/ الطبعة الأولى/ عام (٢٠٠١م).

المقالات

١ ـ **في نقد الأسطورة السبئية،** نشرتها مجلّة المنهاج التي تصدر عن مركز الغدير/ بيروت/ العدد الثالث/ خريف (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

٢ ـ **الجابري.. واللامعقول الشيعي،** نشرته مجلّة المنهاج/ العدد الثامن/ شتاء ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣ ـ **الأنطولوجيا المشّائية في أفق انفتاحها،** ومقاربة لنظرية الوجود عند صدر

المتألّهين الشيرازي، نشرته مجلّة المنهاج/ العدد التاسع/ ربيع ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤ - **مع ابن تيمية في ردوده على المنطقيين،** نشرتها مجلّة المنهاج/ العدد الرابع عشر/ صيف (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٦م).

٥ - **آفاق النهضة في الفكر العربي المعاصر وجدلية العلاقة مع الغرب من منظار نقدي،** نشرتها مجلّة البصائر/ بيروت/ العدد ١٠/ ربيع (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

٦ - **المقبول واللامقبول في (أصوليات) روجيه غارودي،** نشرته مجلّة البصائر/ العدد ١٠/ ربيع (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

وقفة مع كتابه: لقد شيَّعني الحسين

يُعدّ هذا الكتاب، تدوين تجربة خاضها الأستاذ إدريس الحسيني في دائرة الفكر والاعتقاد، ليختار لنفسه المعتقد الذي يفرض نفسه بالدليل والبرهان، فكانت النتيجة أنَّه وجد الحقّ في غير ما ورثه من أسلافه.

وفي هذا الكتاب يسجّل المؤلّف تجربته في التحوّل من المذهب السُنّي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام فيقول في المقدّمة:

(في تجربتي هذه، ليس مهمّاً أن أعرّف الناس بشخصيتي، فقيمة الموضوع الذي يتبنّاه هذا الكتاب، أهمّ بكثير، هذه تجربتي في خطّ العقيدة وأنا مسؤول عنها، لذلك أتوخّى لها أن تكون حرّة، طليقة بلا قيود!).

الفصل الأوّل: كيف كان تصوري للتاريخ الإسلامي؟

يرى المؤلّف أنَّ الأجواء التي عاش فيها، تركت أسمى التأثير في صياغة إطاره الفكري الذي ينظر من خلاله إلى التاريخ، فيقول:

(فمنذ البداية كانوا قد زرقوني بهذا التاريخ... ونكفّ إذا رأينا الدم والفسق والكفر، ليس لنا الحقّ سوى أن نغمض الأعين، ونكفّ الألسن - حين قراءة التاريخ الإسلامي - ثمّ نقول: تلك أمّة قد خلت لها ما كسبت...).

ويصف المؤلّف هذه الحالة أنَّها عملية لجم مبرمجة وقيود توضع على عقل الإنسان، قبل أن يدخل إلى محراب التاريخ المقدَّس:

(لقد علَّمونا، أن نرفض عقولنا، لنكون كائنات (روبوت)، توجّهنا كمبيوترات مجهولة، وغلبت السياسة على التاريخ، وحوَّلته إلى بؤس حقيقي).

ولكن ما إن سما وعي الأستاذ إدريس تحوَّل إلى صاحب عقلية ناقدة لا تقبل شيئاً إلاَّ بعد البحث والتنقيب ومن هنا كانت الأزمة التي يصفها بقوله: (ما أثقلها من أزمة على طلاّب الحقيقة!).

الفصل الثاني: مرحلة التحوّل والانتقال

يذكر المؤلّف في هذا الفصل قصَّة استبصاره، ويرى أنَّ من أهمّ الموانع التي كان يضعها أبناء مجتمعه حين مبادرته إلى البحث العقائدي ودراسة أحداث صدر الإسلام أنَّهم كانوا يقولون له: (تلك فتنة طهَّرنا الله منها، وليس لنا مصلحة في استحضارها والخوض فيها).

لكن الأستاذ إدريس يذكر أنَّه كان يقول:

(كيف طهَّرنا الله منها، وهي ما زالت حاضرة فينا، بعيوبها ومسوخاتها؟).

وكان يطرح الأستاذ إدريس دائماً على أصدقائه قضيّة مظلومية الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وكان يبحث عن تفسير شافٍ لهذه المأساة، ومن هنا بدأت قصَّة استبصاره! لأنَّه خلال التفكير حول هذه القضيّة وجد نفسه أمام موجة عارمة من

التساؤلات التي جعلته أن يقف حتماً على قاعدة اعتقادية صلبة، فاندفع ليجدّد منطلقاته ويعالج مسلّماته!

فيقول الأستاذ:

(لم تكن عندي يومها المراجع الكافية لاستقصاء المذهب الشيعي... ويعلم الله، أنَّني رسَّخت قناعاتي الشيعية، من خلال مستندات أهل السُنّة والجماعة أنفسهم. ومن خلال ما رزحت به من تناقضات).

الفصل الثالث: وسقطت ورقة التوت

يحاول المؤلّف في هذا الفصل أن يعيد تحليل التاريخ، فيتناول المسألة (الشيعية) من وجهة نظر تاريخية، وليس من وجهة نظر مذهبية، ثمّ يبحث حول أصل نشوء الشيعة.

فيقول حول ادّعاء انتساب التشيّع إلى عبد الله بن سبأ:

(ليس هذه أوّل خرافة، تلقى بهذا الشكل (التهريجي على التشيّع)، بل أخريات من تلكم الشبهات المحبوكة بالأصابع المأجورة والمسيئة، بالترغيب والترهيب الأموي، لا بدَّ من الوقوف على هزالها!).

ثمّ يذكر تهمة فارسية التشيّع ويقول:

(لم يكن التشيّع من إبداع الفرس إلاَّ عند مهرّجي التاريخ، والعرب سبّاقون إلى التشيّع، وهم الذين أدخلوه إلى فارس، والدليل على ذلك، أنَّ معظم علماء السُنّة الكبار في التفسير والحديث والأدب واللغة... هم من فارس، وبقيت إيران - لمدّة - على السُنّة الأموية في سبّ علي عليه السلام ولعنه في المساجد وعلى المنابر).

الفصل الرابع: من بؤس التاريخ إلى تاريخ البؤس!

يدعو المؤلّف في هذا الفصل إلى الحكم بالوجدان حين قراءة التاريخ، ثمّ يبيّن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع التركيز على المحطّات الحسّاسة التي يعدّها مفتاحاً لفهم الظاهرات التي شهدها التاريخ الإسلامي فيما بعد.

ثمّ يوضّح أنَّ المؤامرة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد بدأت بعد الفتح، حيث حاول المنافقون الذين كانوا يشكّلون جزءاً من المجتمع الإسلامي أن يغتالوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اللحظات التي توافَرت لديهم فيها الفرصة.

ويطرح المؤلّف مسألة الوصاية والخلافة، فيقول:

(إنَّ المشروع الرسالي في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقتضي الاهتمام، ولفت الأنظار لذلك الامتداد القيادي لرسالة الإسلام، حتَّى لا يطرأ على التصوّر المناوئ أنَّ المشروع النبوي، مشروع وقتي ينتهي بانتهاء صاحبه.

ولم يكن من منطق الرسالات السابقة أن تغيب هذه المسألة المتَّصلة بواقع الرسالة الإسلاميّة ومستقبلها المصيري).

ويخرج المؤلّف في نهاية المطاف بهذه النتيجة:

(إنَّ الأصل في القيادة، هي الوصيّة، ولم تكن الشورى، سوى تبرير تاريخي لما وقع في سقيفة بني ساعدة. إذ أنَّ التاريخ يفضح حقيقة الشورى التي اعتمدوها في السقيفة. بل إنَّها - أي الشورى - أثبت (بؤسها) في انتخاب صيغة الحكم، وفي خلق الممانعة الشرعية والمطامع النفسية والقبلية التي كانت سائدة يومها وليس من السهولة التغاضي عمَّا وقع حول الخلافة من خلاف وتضارب!).

ثمّ يثبت المؤلّف بأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أقام علياً عليه السلام

بوصفه مؤازراً ووزيراً ووصيّاً، ثمّ يستنطق التاريخ ليكشف عن أعماقه فيذكر عدَّة مواقف نصَّب فيها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علياً بوصفه وصيّاً وخليفة من بعده، منها: حديث الدار، والمؤاخاة، وحديث غدير خُمّ و...

ثمّ يقول: (إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ـ حاشاه ـ غافلاً عن قيمة الخلافة والاستخلاف، وكانت خطبة الوداع، برنامجاً لهم، يقيهم عثرات المستقبل، وأكَّد فيها على آل بيته عليهم السلام وولّى فيها الإمام علياً عليه السلام... وحذَّرهم من مغبّة التجاوز للنصّ ابتغاء الرأي والباطل، كما حذَّرهم من مغبّة التضليل والردّة والافتتان.

ذكر اليعقوبي في تاريخه: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً مضلّين يملك بعضكم رقاب بعض إنّي خلَّفت فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي...»، ثمّ أمر الناس بالالتزام بما أعلنه وأودعه فيهم قائلاً: «إنَّكم مسؤولون فليبلّغ الشاهد الغائب»[(١)]).

بيعة الإمام علي عليه السلام

يرى المؤلّف أنَّ المؤامرة ضدّ الإمام علي عليه السلام اصطدمت مع التاريخ، ولم يبقَ أمام الناس سوى الرجوع إليه، وكان لابدَّ مِن أن يكون للمؤامرة سقف تقف عنده، وكان هذا السقف هو يقظة الجماهير المسلمة على أثر مقتل عثمان.

ولكن الإمام علي عليه السلام واجه في حكومته بيئة تحكمها الامتيازات الطبقية، فتقدَّم ليرفع صخوراً ثقال، إلى سماء الروح ليعطي للجميع حقّه، فلهذا سخط عليه من الذين اعتادوا على الاستئثار، فانحاز هؤلاء في النهاية إلى معسكر الآخر: معسكر بني أميّة، حيث يجدون فيه تحقيقاً لأطماعهم.

---

(١) أنظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ١١١ و١١٢.

ولذلك دخل الإمام علي عليه السلام في معركة تاريخية مع فئتين إحداهما إقطاعية والأخرى فقيرة انتهازية.

ومن هذا المنطلق وقعت حرب الجمل وهي الحرب التي كانت تلقائية، تخطّطها عقول ارتجالية وتقودهم امرأة ضعيفة العقل، ثمّ تلتها حرب صفّين نتيجة محاولة الإمام علي عليه السلام لعزل معاوية من الحكم مهما كانت مضاعفات هذا الإجراء، ثمّ وقعت حرب النهروان نتيجة سذاجة البعض ومخالفتهم لما ارتآه الإمام علي عليه السلام من موقف إزاء معاوية في الظروف الحرجة التي كانت تحيطه والتي دفعته للتمسّك بجعل الحكمين فيما بين جماعته وفئة معاوية.

ثمّ يستمرّ المؤلّف بسرد أهمّ الأحداث التاريخية التي صاغتها أيدي المخالفين للوقوف بوجه الحقّ، فيذكر ما حدث في خلافة الحسن عليه السلام والمؤامرة الكبرى لقتله عليه السلام، ثمّ مبادرة معاوية لتغيير الخلافة إلى ملك، ثمّ دخول يزيد إلى معمعة السلطة ممَّا أدّى إلى وقوع ملحمة كربلاء، ويذكر المؤلّف عموميات مختصرة حول المشهد الدراماتيكي لملحة كربلاء كما اتَّفقت عليها تواريخ المسلمين، ثمّ يبيّن استنتاجاته التي أدَّت به إلى التشيّع والانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

الفصل الخامس: مفاهيم كُشف عنها الغطاء

يختار المؤلّف في هذا الفصل مفهومي الصحابي والإمامة، فيكشف في الأوّل عن السلوك السياسي والأخلاقي للجماعة التي سُمّيت بالصحابة، فيذكر نماذج منهم، فيجعلهم في الميزان.

ثمّ يخرج بهذه النتيجة:

ليس كلّ الصحابة عدول، ويبيّن أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذكر أنَّ

بعض الصحابة سيرتدّون على أعقابهم.

وأمَّا بالنسبة إلى مفهوم الإمامة، فيورد بحثاً كاملاً حوله وحول ضرورته وصفات الإمام وأفضليته وعصمته و...

الفصل السادس: في عقائد الإمامية

يبيّن المؤلّف في هذا الفصل كيفية ظهور علم الكلام، فيقول:

(لقد ظهر علم الكلام على أثر الأحداث التي تلت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ أنَّ أمواجاً من التحدّيات الفكرية والفلسفية التي وردت على المسلمين من البلدان المفتوحة، كانت تفرض على المسلمين الاهتمام بالكلام، لإثبات عقيدتهم إثباتاً عقلياً يلزم حتَّى الخارجين عن الإسلام).

ثمّ يركّز الأستاذ إدريس على بعض مباحث علم الكلام، منها: التوحيد والصفات، العدل الإلهي، الرؤية والتجسيم، في كلام الله والبداء، فيستعرض في كلّ من هذه الخصائص بإيجاز وجهة نظر كلّ من الفِرَق الثلاثة: الشيعة، المعتزلة، الأشاعرة، ويذكر الأدلّة التي دفعته للاقتناع بآراء مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ويلخّص الأستاذ إدريس الحسيني في نهاية الكتاب رحلته السريعة في رحاب المعتقد قائلاً:

(نعلن أهمّية الرجوع إلى أصل المعتقدات لإعادة بناء القناعة، على أسس علمية دقيقه، بعيداً عن ذوي التقليد).

ثمّ يضيف: (إنّي لم أتذوَّق حلاوة العقيدة إلاَّ في ظلّ هذه الجولة وفي ضوء تلك الرحلة).

* * *

(٧)

أمّ عبد الرحمن الجزائرية

(مالكيّة / الجزائر)

أُمّ عبد الرحمن تروي قصَّة استبصارها:

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

حصلت على بكالوريوس التعليم الثانوي في مادّة الكيمياء في المعهد العالي للأساتذة، وانشغلت بتدريس مادّتي الفيزياء والكيمياء لمدَّة تسع سنوات، والآن ومنذ خمس سنوات أشرف على الإدارة الداخلية لمعهد السيّدة خديجة عليها السلام للعلوم الإسلاميّة في قم المقدَّسة تحت نظر اللجنة الإدارية الموقَّرة، وأدرّس علوم أهل البيت عليهم السلام.

منذ أيّام الجامعة كان أمل أبي عبد الرحمن أن يلتحق بقم المقدَّسة لطلب علم أهل البيت، وقد تعرَّف على المذهب ومنجزات الثورة الإسلاميّة عن طريق شاب إيراني، كان يدرس معنا في الجامعة، وأضحى هدفه الوحيد منذ ذلك الوقت هو الهجرة وطلب العلم ولم يتحقَّق هدفه إلاَّ بعد مرور اثنتي عشرة سنة، في أيّام الجامعة تقريباً.

أمَّا أنا فقد كنت منغمسة في التدريس ومسؤوليّاته، ولم يكن لدينا أدنى توجّه في المعارف الإسلاميّة، بل كان تديّني تقليدياً كأغلب الناس، فلم أكن أناقشه في مسائل المذهب الجديد، ولم أكن أهتمّ بمطالعة الكتب الشيعية القليلة التي كان يحصل عليها عن طريق السفارة الإيرانية، وهكذا بقيت طول هذه المدّة على مذهبي إلى أن جئت إلى إيران.

قدم أبو عبد الرحمن إلى إيران سنة قبل سفري حيث استطاع أن يهيّئ لنا المسكن وغيره، ثُمّ أرسل إلينا على أن نلتحق به أنا والأطفال، فنزلنا إلى سوريا في محرَّم سنة (١٤١٤هـ) وهناك التقينا به.

في سوريا أوّل ما فعله هو أنَّه أخذنا إلى زيارة مقام السيّدة زينب سلام الله عليها.

طبعاً، معلوم أنَّ المشرق أرض الأنبياء والمغرب أرض الأولياء، فمقامات أولياء الله الصالحين منتشرة في كلّ المغرب العربي، حيث يرد عليهما الناس فيرفعون حاجاتهم إلى الله تعالى، ويتوسَّلون بهم. وكثيراً ما كان يستجاب دعاءهم وتقضى حاجاتهم، إلاَّ أنَّه وبعد ظهور بعض الفِرَق الإسلاميّة التي تعتقد بأنَّ زيارة المراقد شرك، قلَّت زيارة الناس وتردّدهم على هذه المقامات.

فلمَّا دخلنا إلى مقام السيّدة زينب عليها السلام، لم أتعجَّب ممَّا رأيته من توسّل الناس، وتبرّكهم بمرقدها الشريف، وبكائهم ودعائهم، إلاَّ أنَّه بهرني جماله وإتقان صنعه، واحترام الزوّار له، لم أكن أتردَّد على مراقد الأولياء الصالحين في بلدي (خاصّة أنَّ عقيدتي بهم كانت ضعيفة جدّاً لأنَّني كنت أجهل دور وساطة الأولياء والصالحين ومكانتهم عند الله تعالى، وكان يرتابني الشكّ والخوف من السقوط في الشرك بجهلنا

بالدين والعقيدة).

عندها ناولني أبو عبد الرحمن التربة وزيارة السيّدة زينب عليها السلام قائلاً: صلّي ركعتين، ثُمّ اقرأي هذه الزيارة.

فصلَّيت ركعتين ثُمّ بدأت في قراءة الزيارة وكنت كلَّما أقرأ ما فيها من وصف حال أبناء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تأخذني رعشة، ولم أكن أدري ما حصل في يوم عاشوراء للحسين عليه السلام وأهله وأصحابه، ولم أكن أعلم ما حدث بالسيّدة زينب وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك، فكانت هذه الحقائق تدمي القلوب وتذيبها، هل يمكن أن يفعل هكذا بأحفاد الرسول ؟ وإذا كان الأمر كذلك لماذا نجهل هذه الأمور؟ لماذا لا ندرسها في دروس التربية الإسلاميّة والتاريخ؟ ألا تستحقّ هذه الفجيعة أن تعرف من طرف كلّ مسلم؟ أم أنَّها أخفيت لهدف معيَّن وعمداً؟ تساؤلات لا أجد لها أجوبة، لأنَّ الحقيقة حجبت علينا، والتاريخ محرَّف مزيَّف، فما وجدت حيلة ولا وسيلة إلاَّ البكاء والنحيب، وفي تلك اللحظات الحاسمة الحزينة التي يجد فيها الإنسان نفسه أمام حقائق خطيرة تمسّ بعقيدته وتاريخ دينه أصاب شعاع من أشعة الرحمة واللطف والعناية الإلهية التي كانت تعمّ تلك الحضرة الشريفة قلبي فحرَّك الفطرة الدفينة والحبّ العميق الذي أودعه الله تعالى في قلب الإنسان اتّجاه أهل بيت الرسول، وبحمد الله وعونه صارت نقطة التحوّل في حياتي وحياة أسرتي كلّها منذ تلك اللحظة. وقد كانت هذه الهبة الإلهية أجمل وأفضل نعمة أنعمها الله علينا إلى جانب نعمه وفضله الدائم، فالحمد لله ربّ العالمين.

بعد أسبوع تركنا سوريا وتوجَّهنا إلى إيران، هناك بدأت أطالع كتب التاريخ والسيرة وأتعرَّف على سرّ الإمامة والخلاف بين السُنّة والشيعة في هذه المسألة

بالخصوص، فاستغربت كيف حجبت الحقيقة عن الناس، وقد ورد في القرآن الكريم آيات، وفي السيرة روايات عديدة تنصّ على تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة من ولده منصب الخلافة والإمامة، فأُوّلت الآيات وأُخفيت الروايات أو أُتلفت ولم يمض على رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أيّام معدودة.

وجهل الأمّة الإسلاميّة بالتاريخ في اعتقادي يرجع إلى أمرين:

الأمر الأوّل: هو تواطؤ العلماء مع الحكومات والحكّام على إخفائها.

الأمر الثاني: أنَّ البلدان العربية والإسلاميّة تعرَّضت في القرنين الأخيرين إلى الاستعمار الغربي.

وكان هذا عامل في بعد الناس عن البحث في الدين والعلم، فأضحى الدين تقليدياً من دون علم ولا بحث أو تحقيق، لذا نجد أغلب السُنّة جاهلين للتاريخ والسيرة، ففي المغرب العربي مثلاً الجهل هو عامل بعد الناس وجهلهم بأهل البيت عليهم السلام وليس بعدهم عنهم ناتج عن عداء أو بغضاء أو نصب.

وكلّ من يتعرَّف على المذهب ولاسيّما على فضائل أهل البيت ومناقبهم، فإنَّه يعثر على إيجابيّات يفتقدها المذهب السُنيّ بكلّ فرقه، وهي تتلخَّص - في اعتقادي - في هذه النقاط الآتية:

١ - أنَّ المذهب عقلي، فهو يوافق الأحكام العقلية سواء على مستوى المعتقدات أو على مستوى الفروع، فكلَّما تعمَّق الإنسان في معرفة المذهب وفهمه ازداد اقتناعه به، وأنَّه المذهب الحقّ، وهو يمتاز بهذه الميزة لسببين:

السبب الأوّل: إنَّ كلّ الديانات السماوية نزلت لتنظيم حياة الإنسان وإيصاله إلى كماله المنشود، لينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة، والدين جعله الله تعالى الطريق

الذي يوصل إلى الحقّ والكمال، ويجعل الإنسان يعيش لهدف سام وعال وهو الخلود بعد الموت.

القياس: فإن كان الدين محرَّفاً أو مشوَّهاً بالبدع والخرافات - التي يرفضها كلّ عقل سليم - فإنَّه لا يؤدّي الدور المطلوب منه، لأنَّ العقل البشري حينئذٍ يرى أنَّ هذا الدين لا يؤدّي به إلى كماله، ولا يرفع نقائصه، بل بالعكس هو يبعده عن هدفه ومراده، فيتركه ويتَّبع طرائق أُخَر ومعتقدات يتوهَّم أنَّها توصله إلى ذلك الهدف المنشود.

فباختياره الطريق الخاطئ (المادّي، العلماني، الحيواني، إلى غيره) فهدفه يتحوَّل وينحرف أيضاً فيحصل على كمالات دنيوية، فانية، اعتبارية، ويترك الكمال الحقيقي، وهو التأسّي بالإنسان الكامل الذي لا يحصل إلاَّ عن طريق الدين والالتزام به.

السبب الثاني: إنَّ المذهب الشيعي (أو الدين الإسلامي الحقّ) انتقل من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، صاحب الوحي والرسالة إلى الناس كافّة بعد ارتحاله عن طريق فئة مختارة من طرف الله تعالى، تمتاز عن باقي البريّة بكونها من أهل بيت النبوّة، كبرت وترعرعت في أحضان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أخذت من فضائله، وقيمه، وأخلاقه، وعلمه، والأهمّ من ذلك تمتاز هذه الفئة بصفة لا يتَّصف بها إلاَّ نبيّ منزل أو رسول مرسل وهي العصمة.

فللعصمة الدور الأساسي للحفاظ على الدين وصونه من التحريف والبدع والخرافات، فبقي دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على حاله ينتقل من إمام معصوم إلى وصيّ معصوم إلى يومنا هذا، لذا يستحيل أن يخالف المذهب أحكام العقل.

٢ ـ إنَّ الإنسان في حياته اليومية قد يتعرَّض إلى مشاكل ومصائب فيسعى إلى حلّها بكلّ الوسائل، لكنَّه يفشل أو قد تكون لديه حاجات معنوية لا يقدر على تحقيقها، أو قد يشعر أحياناً بنعم خالقه ولطفه ورعايته، فلا يعرف كيف يشكره ويحمده، وقد يشعر أحياناً بشغف وشوق وحبّ عميق لله تعالى فيريد أن يبرزه فلا يجد السبيل إلى ذلك...

أمَّا من عرف أهل البيت عليهم السلام فإنَّه ينال مناله بكلّ سهولة ومن دون عناء وتعب، فهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض، لا يضيع من تمسَّك به، ولا يشقي ولا يخيب، فقد تركوا لشيعتهم ومحبّيهم ومواليهم الأدعية والأوراد والمناجاة يعيش في خلالها المؤمن مع خالقه، في كلّ آنٍ وحين، يبرز له العبودية والفقر والحبّ والاشتياق، يطلب حاجات فيجاب، يستغفر فيجاب، يتوسَّل فيجاب، يشفع فيجاب، هذا الأمر مفتقد لدى المذاهب الإسلاميّة الأخرى، فلولا كذا أدعية، وكذا أوراد، وكذا أحراز لما تخلَّفوا عنها، لأنَّها حقيقة زاد معنوي ثمين يُجلي الصدى عن القلوب، ويوثّق العلاقة والرابطة بين العبد وخالقه، فلا يزيده ذلك إلاَّ إيماناً بالله وقربة منه.

٣ ـ لا شكَّ في أنَّ المسلمين كافّة مجمعين على ظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام وإن اختلفوا في جزئيات المسألة، والجانب الإيجابي المفقود عند السُنّة في مسألة الظهور هو: أنَّ الشيعة يعيشون الظهور بعلمائهم وعوامّهم ويحضّرون له، فيصبح للإنسان هدف مقدَّس يعيش من أجله، وهو الاستعداد ليوم الظهور، والعمل على تعجيل ذلك اليوم كلّ بحسب مرتبته، فهم يعيشون مع إمام زمانهم أرواحنا له الفداء في غيبته، وهذا أمر مهمٌّ جدّاً ؛ لأنَّه يعيش ضابطاً يمشي على وفقه المسلم وتترتَّب بذلك آثار إيجابية جدّاً على حياته وسلوكه ومعتقداته.

٤ ـ النقطة الرابعة التي يمتاز بها المذهب عن باقي المذاهب أو الفِرَق الإسلاميّة هو وجود مرجع التقليد فإذا احتار المكلَّف أمام مسألة فقهية تواجهه أو في تحديد وظيفته الشرعية إزاءها، فلا يلجأ للرأي أو القياس الذي يؤدّي بالإنسان إلى الانحراف عن الشرع، بل يتَّبع فتوى العلماء الذين بذلوا حياتهم في العلم والاجتهاد على وفق ما ورد عن الأئمّة عليهم السلام وعن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

فوجود المرجع يحفظ المذهب ويحميه من الانحراف ودخول البدع والأوهام فيه، كما أنَّ له دوراً أساسياً في الحفاظ على اتّحاد الأمّة واتّفاقها.

٥ ـ ما وجدت أيديولوجية أو مذهب أو فرقة تحثُّ على العلم والتعلّم كمذهب أهل البيت عليهم السلام.

فالعلم هو الذي ينوّر العقل، والعقل هو السراج الذي يضيء الطريق، والطريق هو الشريعة السمحة التي سطّرها الحقّ تعالى للإنسان، فلو اتَّبع المسلمون نصائح أهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم وعملوا بما أوصوا به لما شقي مسلم على الأرض ولما تخلَّف عن الحقّ، ولما ركن إلى رؤى كونية ومعتقدات غير المعتقدات الإسلاميّة، فالعقل إذا تحرَّك وصل إلى كشف الحقائق وتشخيص المصلحة من المفسدة، وفي هذا العصر مع تطوّر وسائل الإعلام والاتّصال، لم يبقَ لأحد حجّة، فعلى كلّ واحد منّا أن يبحث وينقّب في التاريخ، فليبحث كلّ واحد منّا في كتب الشيعة أو السُنّة عن حديث المنزلة، عن حديث الدار، عن حديث الثقلين، عن حديث الغدير، حتَّى يطَّلع على محتواها، وقد تواترت هذه الأحاديث بأسانيد صحيحة ومعتبرة القول على وصيّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في كلّ فرصة يُري الناس أنَّ له نائباً ووصيّاً وخليفةً، ولم يكن إلاَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فهل يعقل أن تحمل كلّ هذه

الروايات على محامل مختلفة، ما عدا الولاية والخلافة؟ هل يعقل أن يؤوَّل حديث الغدير بالمحبّة والقربى، والتاريخ يروي في أيّ ظروف ورد هذا الحديث؟ فلنتمعَّن أنَّ الله تعالى لَّما جعل الدين الإسلامي خالداً صالحاً لكلّ الأزمنة والعصور فقد جعل له أيضاً رجاله، فلو لم يرسل الله تعالى الأئمّة لإكمال الرسالة المحمّدية لاضمحلَّت هذه الرسالة ولما كان الدين الإسلامي خالداً إلى قيام الساعة، فلنبحث ولنصبر ونغتنم، والله وليّ التوفيق، والحمد لله ربّ العالمين.

حوار مع المستبصرة أُمّ عبد الرحمن الجزائرية[1]

مقدّمة الموقع: الأخت الفاضلة أُمّ عبد الرحمن هي الشخصية الأولى على صعيد العلمي والفكري من النساء المواليات في المغرب العربي.

وقد أجرت شبكة «والفجر» هذا اللقاء معها، وإليكم مجريات الحوار بعد التعرّف على شخصيتها.

أُمّ عبد الرحمن الجزائرية من مواليد (١٩٦٠) ميلادي بالجزائر العاصمة، نشأت في أسرة لم تكن متشدّدة في تطبيق تعاليم الدين الإسلامي كما هو الحال بالنسبة للكثير من العوائل الجزائرية، والسبب الرئيس في ذلك، هو أنَّ الاستعمار الفرنسي الذي دام احتلاله للجزائر أكثر من مائة وثلاثين سنة، حاول بكلّ الوسائل طمس الهوية الجزائرية، فحارب الدين الإسلامي واللغة العربية، وضعَّف الحوزات الدينية التي كانت معقل التصوّف والعرفان وحاول إرساء ثقافته، وبطبيعة الحال بعد هذه المدّة الطويلة والجهود المتواصلة لا بدَّ من أن يتأثَّر المجتمع بهذه الأفعال، وخاصّة المدن الكبيرة، فنشأ جيل تتلمذ على أيدي الفرنسيين، وتخرَّج من مدارسهم حاملاً ثقافتهم ممتزجة بالروح

(١) شبكة والفجر الثقافية (٢٦/ ٧/ ٢٠٠٥م).

الإسلاميّة والتقاليد العربية المستمدّة من الدين الإسلامي، فمنحتها تلك التربية الأخلاق الحميدة والفطرة النقيّة السليمة ممَّا ساعدها على الاستبصار وقبول مذهب أهل البيت عليهم السلام بسهولة ومن دون تعصّب.

تقول أُمّ عبد الرحمن:

زاولت الدراسات العليا في المدرسة العليا للأساتذة، حيث حصلت على ليسانس التعليم الثانوي واشتغلت بتدريس مادّتي الكيمياء والفيزياء لمدَّة تسع سنوات انقطعت بالهجرة إلى الجمهورية الإسلاميّة في سنة (١٩٩٣) ميلادي. بهذا السفر بدأت صفحة جديدة من حياتي حيث اعتنقت مذهب أهل البيت عليهم السلام وكان هذا الأمر بداية لوعيٍ جديد وأهداف جديدة، بل كان مولداً جديداً بالنسبة إليّ حيث إنَّني لم أكن أشعر بوجودي، ولم أكن أشعر بمعنى الحياة والموت، والهدف من الخلقة إلاَّ في هذه الحقبة من الزمن، ففي قم المقدَّسة توجَّهت إلى العلوم الدينية، حيث درست عند أستاذتنا الفاضلة الحاجّة أُمّ عبّاس حفظها الله تعالى دروساً في الفقه والأصول، وعند الأستاذ الشيخ أبو عبد الرحمن درست المنطق والفلسفة والكلام والعقائد، وكلَّما تبحَّر الإنسان في علوم أهل البيت عليهم السلام كلَّما أدرك عظمتهم وسؤددهم وأدرك جهله وقصوره.

سؤال: ما هي المثل التي يختصُّ بها أهل البيت عليهم السلام؟

جواب: للإجابة عن هذا السؤال انطلق من حديث الثقلين حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهي بيتي، ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»(١).

(١) حديث متواتر روته الخاصّة والعامّة بألفاظ مختلفة، قد مرَّ تخريجاته.

في ضوء هذا الحديث الصحيح والمستفيض عند الفريقين يشير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثلاث نقاط مهمّة وهي:

الأولى: أنَّ أهل البيت عليهم السلام والقرآن قرينان لن يفترقا ولا يمكن لغيرهم أن ينالوا هذه المرتبة الرفيعة، وهذا دليل صريح جاء على لسان الرسول الأكرم على أنَّه كما أنَّ القرآن حجّة على الناس، فإنَّ أهل البيت حجج كذلك على الناس.

الثاني: الدعوة إلى التمسّك بهم عليهم السلام والحثّ على اتّباعهم في كلّ أمورنا.

الثالث: من اتَّبعهم فإنَّه لن يضلّ أبداً، حيث نفى صلى الله عليه وآله وسلم الضلال والظلام على كلّ من اتَّبعهم إلى الأبد.

والذي أريد أن أبيّنه هو أنَّ ما انطوى عليه هذا الحديث الشريف من نكات قد شعرنا به في أوّل استبصارنا، ونحن نجهل الحديث من أصله، وهذا خير دليل على أنَّ كلام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إنَّما جاء لإثارة دفائن العقول وإحيائها، وأنَّ الولاء لأهل البيت عليهم السلام مرتكز في النفوس والقلوب، وابتعادنا عنهم إنَّما كان نتيجة جهلنا بهم لا غير.

سؤال: هل وجدت أسوتك في مذهب أهل البيت عليهم السلام؟

جواب: إنَّ الإنسان، مهما كانت طبيعته، يميل بطبعه إلى المحسوسات، ولهذا السبب نجده يبحث دائماً عن أنموذج حيّ يتأثّر ويقتدي به، وديننا الحنيف وجّهنا إلى الأنموذج الأسمى والأعلى حيث يقول تعالى في كتابه الكريم:

﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

ويقول رسول الله:

«أهل بيتي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»[١].

ومن بين أهل البيت عليهم السلام بل الحجّة العظمى هي فاطمة الزهراء عليها السلام حيث يقول الإمام العسكري عليه السلام في حقّها:

«نحن حجج الله على خلقه وجدّتي فاطمة حجّة علينا»[٢].

وهذا يعني أنَّها عليها السلام قدوة الرجال والنساء.

سؤال: والاقتداء هو ممارسة عملية تقتضي الوعي والمعرفة التامّة بالمقتدى به، فأوّل سؤال يتبادر إلى الذهن هو لماذا بنت رسول الله هي الأنموذج الحيّ الذي يجب اتّباعه؟

جواب: للإجابة عن هذا السؤال نحاول عرض بعض جوانب حياتها الشريفة ولنجعلها دستوراً لممارساتنا اليومية:

الذي يتأمَّل في حياتها الشريفة يلاحظ أنَّ حياتها عليها السلام تنقسم على مرحلتين: الأولى في مكّة المكرَّمة، والثانية في المدينة المنوَّرة.

أمَّا المرحلة الأولى: فتبدأ بولادتها الشريفة، حيث انعقدت نطفتها من ثمار الجنّة وهذا الشرف العظيم لم ينله غيرها. وكانت في صباها تكابد مع رسول الله المتاعب والآلام التي كانت تلحقه من طرف الكفّار في بداية الدعوة الإسلاميّة، وعمرها لم يتجاوز الخامسة، فكانت تمرّض أباها وتمسح عن وجهه الكريم الدم، وتزيح عنه التراب، حتَّى ناداها بـ(أُمّ أبيها). وهذا يدلُّ على وعيها وصلابة جأشها على الرغم من صغر سنّها عليها السلام.

(١) ميزان الاعتدال ١ : ٨٢/ الرقم ٢٩٦؛ لسان الميزان ١ : ١٣٦/ الرقم ٤٢٥.

(٢) أنظر: مقامات فاطمة الزهراء للشيخ محمّد السند: ٢٠، نقلاً عن تفسير أطيب البيان ١٣ : ٢٣٥.

أمَّا المرحلة الثانية: فبدورها تنقسم على مرحلتين:

١ ـ ما قبل رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ ـ وما بعد رحلته.

أمَّا المدّة الأولى من هذه المرحلة، فأوّل منقبة لها عليها السلام هي أنَّها جعلت مهرها شفاعة للمؤمنين، وهذا أيضاً دليل على مدى عنايتها بأمر الأمّة والرسالة المحمّدية. وكان المسلمون في المدينة يعيشون استقراراً تحت حكومة الرسول الأعظم، فانشغلت الزهراء عليها السلام حينها بالتعلّم وتعليم النساء أحكام الشريعة وفي هذه المرحلة من حياتها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يترك مناسبة إلاَّ ويشيد بمكانتها ومناقبها وأفضليتها، فأثبت يوم المباهلة أنَّه لا يعادلها أحد من النساء مطلقاً حيث قارن الحسن بالحسين في قوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْناءَنا﴾، وقارن ذاته المقدَّسة بأمير المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنا﴾، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَنِساءَنا﴾ فكانت عليها السلام مصداقه الفريد، فكانت سيّدة نساء العالمين.

وأمَّا الآيات الشريفة التي نزلت في أهل البيت ومنهم الزهراء عليها السلام، فآية التطهير وآية الكوثر وآية الإطعام وآية النور وغيرها من الآيات، وكلّ هذا الاهتمام بشخصها الشريف يوحي بأنَّ لها دوراً عظيماً، بل كان دورها مصيرياً في حياة البشرية لا يقلُّ عن دور النبيّ والأمير نفسهما.

وقد أبرزت هذا الدور فعلاً في المدّة الثانية من هذه المرحلة، فبعد رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خرجت إلى الصحابة مدافعة عن الولاية وتحجّهم بغدير خُمّ، فما كان جزاءها من الأمّة إلاَّ الأذية والنكران. وفي هذه المدّة تجلَّت فيها منقبة لم تتجلَّ إلاَّ في الأنبياء العظام وهي نزول أمين الوحي جبرائيل عليه السلام لمدَّة

أربعة وسبعين يوماً، يواسيها ويخفّف عنها آلامها إلى أن فارقت الدنيا الدنية.

هذه أسوتنا وأسوة كلّ من أراد الوصول إلى الحقّ تعالى. وهي وإن رحلت عنّا منذ قرون وأخفت قبرها فلا يزورها في هذه الأيّام ـ وهي أيّام ولادتها ـ إلاَّ ابنها بقيّة الله الأعظم أرواحنا له الفداء، فإنَّها أنموذج ربّاني حيّ لا يموت.

وقد قامت عليها السلام بتربية نماذج نسويّة فذّة، أمثال أُمّ كلثوم والسيّدة زينب عليهما السلام، التي عادت من كربلاء وقد فقدت إمام زمانها وأخاها الإمام الحسين عليه السلام وأبناءها، بل فقدت كلّ أهل بيتها وبطريقة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، ومع ذلك لم تنهار ولم تتراجع، بل كانت سفيرة الحسين عليه السلام تدافع عن الحقّ تماماً كأُمّها.

ومن سلالتها الشريفة أيضاً السيّدة رقيّة بنت الحسين وفاطمة الصغرى وغيرهما ممَّن حضرن واقعة كربلاء. ومنها السيّدة فاطمة بنت موسى الكاظم عليهما السلام الملقَّبة بالسيّدة المعصومة، حيث عرفت بالتقوى والعلم والكرم والعزّة، وقد ورثت هذه الخصال الحميدة من جدَّتها فاطمة الكبرى عليها السلام.

والخلاصة

يكفينا فخراً وعزَّة أن تكون الزهراء عليها السلام المثل الأعلى والأنموذج الأسمى الذي يجب علينا اتّباعه. جعلنا الله تعالى في مستوى هذه الوظيفة المقدَّسة ويسَّر لنا طريقنا وأمورنا.

* * *

(٨)

باسم تركي الفهداوي

(حنفي/ العراق)

المولد والنشأة

ولد الأخ (باسم) في محافظة الأنبار عام (١٩٦٥م) في العراق.

نشأ في أوساط عائلة سُنّية تعتنق المذهب الحنفي، وهذا شأن معظم أهل السُنّة العرب في العراق، إذ أنَّ أكثرهم أحناف.

نقطة التحوّل

شاءت الأقدار الإلهية أن يغادر الأخ (باسم) محافظة الأنبار ويستقرّ في العاصمة بغداد ـ وفيها كثير من الشيعة كما أنَّ فيها مرقدي الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام ـ، وقد وفَّرت له هذه الفرصة أن يتعرّف على الشيعة بشكل أكثر.

وتمضي الأيّام ويلتقي بعدد من الإخوة الشيعة ويبدأ معهم حواراً حول الفوارق بين السُنّة والشيعة، وقد استغرقت هذه الحوارات أربع سنوات طالع خلالها العديد من الكتب (المراجعات، ثمّ اهتديت، معرفة الإمامة، لماذا اخترت مذهب الشيعة)، وبقي يناقش ويجادل للوصول إلى الحقيقة، ولكن عندما يراجع مصادر السُنّة يجد ما قاله أصدقاؤه الشيعة مذكوراً ومثبتاً.

وبدأت فكرة الاستبصار تتبلور في ذهنه إلاَّ أنَّه ما زال متردّداً، وفي إحدى الليالي رأى في منامه الإمام الحسين عليه السلام في حرمه المقدَّس بكربلاء، وكان يسمح للبعض بالدخول في حين يمنع آخرين، وكان الأخ (باسم) يرى نفسه من جملة الممنوعين وسبب المنع كان عدم امتلاك هؤلاء لبطاقة تؤكّد ارتباطهم بالإمام الحسين عليه السلام. استيقظ من نومه وتأمَّل في هذه الرؤيا فعلم أنَّ هذه الهوية هي هوية التشيّع ومن لا يملكها محروم من هذه الأماكن المقدَّسة وأصحابها البررة.

فترك المذهب الحنفي وتحوَّل إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام وتمسَّك بعروتهم الوثقى ليفوز بالنجاة.

* * *

(٩)

بنيامين فارمر (عبد الكريم)

(مسيحي/ أمريكا)

ولد في أمريكا، وهو الآن إمام مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مدينة (واتس) بـ(لوس أنجلوس)، عمره يناهز الستّين، وأسلم في الثلاثينات من عمره، ثمّ بعد ذلك آمن بولاية آل محمّد عليهم السلام.

وفيما يأتي بعض المقتطفات من اللقاء الذي أجرته معه مجلَّة المنبر:

وفيما يأتي العناوين الرئيسة في هذا اللقاء:

- لو كان المسلمون قد التزموا بولاية أهل البيت عليهم السلام لكان الإسلام هو من يحكم العالم.

- أصبحت مسلماً، ولكنّي كنت أحسّ بأنَّ هناك ما ينقصني.. فوجدت التشيّع.

- ليس في التسنّن شيء.. أمَّا التشيّع ففيه جواهر اسمها أهل البيت عليهم السلام.

- نصيحتي هي أن يتوحَّد المسلمون على ولاية أهل البيت عليهم السلام.

- عرض وقائع عاشوراء كفيل بأن يجعل العالم كلّه شيعيّاً.

ـ أكثر من أحبّه الإمام علي عليه السلام.

ـ لدينا الآن أكثر من مائة شخص أمريكي من السُنّة الأميركيّين تشيَّعوا.

ـ لقد سحرتني شخصية الحسين عليه السلام، وجذبتني فاندفعت إليها اندفاعاً عجيباً.

ـ (٩٠%) من مناظراتي كانت مع المسيحيّين وتحقَّق نتائج طيّبة.

ـ شعوري أنَّ الإمام المهدي عليه السلام هو في الواقع الحاكم غير المرئي، ولا شكّ أنَّه سيظهر وسيقودنا جميعاً إلى الأمان.

سؤال: نفهم من كلامك أنَّك أصبحت في بادئ الأمر مسلماً سُنّياً ثمّ تحوَّلت إلى مذهب التشيّع، فهل كنت تشعر في ذلك الوقت بأنَّك ما زلت تفتقد لشيء أو ينقصك شيء في دينك؟

جواب: كنت في بداية اعتناقي للإسلام سعيداً جدّاً، وقد غمرتني الفرحة عند التفكير بشيء آخر، كنت أظنّ أنَّ هذا هو الطريق الصحيح، فذهبت في جولات متعدّدة إلى الأقطار الإسلاميّة، وقابلت كثيراً من المسلمين من الأمريكيّين وغيرهم، بالرغم من أنَّ هذه المقابلات نفعتني كثيراً، لكنَّها كانت من جانب آخر تعرّفني على حقيقة أنَّ هناك اختلافات داخل المسلمين أيضاً حول كيفية فهمهم وتطبيقهم للإسلام، ومع أنَّني بعد هذه الجولات وخلالها كنت واثقاً من أنَّ خطوتي بدخول الإسلام كانت صحيحة تماماً، إلاَّ أنَّني كنت أشعر أيضاً بنوع من الاستياء الداخلي، لأنَّني كنت أتساءل: هل أنا على الحقّ أم ما زالت أمامي مهمّة البحث من جديد على الحقّ الكامل؟

في بعض المقابلات تعرَّفت على بعض الشيعة من المسلمين، فأعطوني كتاباً باللغة الإنجليزية عن قصَّة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، كان اسم الكتاب (الحسين.. قصَّة

الإسلام) لمؤلّفه أمير علي، قرأت هذه القصَّة الحزينة والمفجعة، ولم أتمالك نفسي من البكاء الشديد في تلك الليلة التي قرأت فيها الكتاب، لم أكن أتصوَّر أنَّ هناك جريمة بهذه البشاعة في التاريخ، خاصّة وأنَّ هذه الجريمة وقعت على ابن أعظم الأنبياء النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي هو آخر الأنبياء. كنت أتساءل:

لماذا فعلوا كلّ هذا بالإمام الحسين؟

ما الذي آذاهم به حتَّى يقتلوه ويقتلوا أطفاله وأصحابه بهذا الشكل المروّع؟

ألم تكن - على الأقلّ - عندهم ذرَّة إنسانية تجعلهم يمتنعون عن ذبح رضيع على صدر أبيه؟!

كان بكائي مُرّاً، وتأثّري بهذه القصَّة المفجعة كبيراً جدّاً. فصمَّمت على أن أعرف تفاصيل كلّ ما جرى بالنسبة إلى الأئمّة من أبناء رسول الإسلام عليهم السلام، وقادني ذلك إلى قراءة مزيد من كتب الشيعة، واطَّلعت على (نهج البلاغة) للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى كثير من الكتب الشيعية الأخرى، كما التقيت ببعض الإخوة المؤمنين الشيعة، وبعد كلّ هذا أعلنت ولايتي لأهل البيت عليهم السلام، وتمسّكي بالتشيّع، وكان عمري في ذلك الوقت أربعاً وثلاثين سنة، حيث عرفت بعد سنتين من دخولي في الإسلام أنّي كنت أتَّبع مذهباً باطلاً وطريقاً غير الذي ارتضاه الله سبحانه لنا.

سؤال: هلاَّ حدَّثتنا عن المناظرات التي أجريتها مع غيرك حول الدين والمذهب؟

جواب: إنَّ (٩٠%) من مناظراتي كانت مع المسيحيّين، والحمد لله فإنَّها تحقّق نتائج طيّبة، وتدفعهم إلى الإسلام والتشيّع، وأنا أعمل أيضاً على الإصلاح الاجتماعي، فالجريمة متفشّية هنا كما تعلمون، خصوصاً في (لوس أنجلوس)، ولنا نحن بوصفنا مجموعة نشاطات غطَّتها الصحافة الأمريكية في التخفيف من العنف والجريمة،

وهي تحظى أيضاً بتقدير حكومة الولاية، لأنَّنا نعمل على التقاط الشباب الضائع، وملء الفراغ الروحي الذي يشعر به بالإسلام وأهل البيت عليهم السلام، ونركّز كثيراً على أنَّ الإسلام هو دين السلام، واسمه مشتقّ من هذه الكلمة، وإنَّني بثقة أقول: إنَّ الإسلام يحظى هنا وبفعل الجهود التي نبذلها في الإصلاح الاجتماعي باحترام معظم الناس في الولاية، بما فيهم المسيحيّون، فقد رأوا كم نحن طيّبون ونريد الخير للمجتمع. دمتم موفقين.



(١٠)

جونتر هيرمان (حسين إيماني)

(مسيحي/ ألمانيا)

ولد في ألمانيا، ونشأ في أسرة أملت عليه الديانة المسيحية، فبقي على انتمائه العقائدي الموروث من دون الاهتمام بالبحث عن صحَّة هذه المعتقدات أو خطئها، ثمّ عمل في مجال الهندسة واقتصرت اهتماماته الفكرية بالدراسات الأكاديمية فحسب.

الاهتمام بالدين

نشأ اهتمام (جونتر هيرمان) بالأمور الدينية بدءاً من التقائه بأحد علماء الشيعة، ومن ذلك الحين بدأ (جونتر) يعي ما للدين من أهمّية في البناء النفسي والأخلاقي للإنسان وما له من دور أساسي في صيانة صاحبه من أزمات التوتّرات النفسية الناشئة من الفراغ العقائدي والفكري الذي يعاني منه.

ومن هنا أدرك (جونتر هيرمان) بأنَّ الفكر المادّي على الرغم من وصوله إلى الدرجات العليا في التطوّر المادّي والإشباع الغريزي لكنَّه لم يستطع أن يمنح السعادة للبشرية، ولهذا يبقى أتباع هذا التيّار في الفراغ نتيجة عدم إشباع فطرتهم الروحية، ولهذا يبحث هؤلاء في دائرتهم المادّية عن الحقيقة، ولكنَّهم لا يهتدون إليها، فيبقون في حالة التخبّط والشعور بالمعاناة والألم النفسي، على الرغم من انهماكهم في الملذّات الدنيوية.

وبمـرور الزمـان أدرك (جـونتر هيرمـان) بـأنَّ الـدين هـو الـذي يـضمن للإنـسان السعادة، وهو الذي يفتح آفاق رؤية الإنسان على عوالم فوق المادّة بحيث يدرك الإنسان أنَّه فوق الأمور المادّية، وأنَّه مخلوق لم يخلق ليعيش في أسر الأمور المادّية فحسب.

في رحاب الدين الإلهي

تغيَّرت منهجيّة تفكير (جونتر هيرمان) وذلـك نتيجـة انفتـاح عقلـه علـى الـساحة الدينية، فاستنارت بصيرته بنور المعارف الإلهية، لكنَّه مع ذلك أدرك بأنَّ هـذا الطريـق لا يخلو من أناس يحاولون جعل الدين مطيّة للوصـول إلى مـآربهم الدنيويـة، فـأملى عليـه ذلك توخّي الحذر في البحـث عـن الـدين الإلهـي الـذي يمثّـل إرادة الله تعـالى، ويعكـس الصورة الحقيقية لما ابتغاه الله تعالى لفلاح البشرية.

فواصل (جونتر هيرمان) بحثه حتَّى أدرك في نهاية المطاف بأنَّ الدين الإسلامي هو الدين الذي أنزله البارئ تعالى على رسوله محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسـلم لينقذ البشرية من الضلال.

ثمّ تبيَّن له خلال دراسته للتاريخ الإسلامي ما واجه عترة الرسول عليهم السلام من ظلم واضطهاد وتشريد من قبـل الـسلطات الجـائرة الـتي اسـتولت علـى منـصَّة الحكـم بعـد اغتصابها للحكم الإسلامي، وكان من أشدّ هذه المظلوميّات التي تأثّر بهـا (جـونتر هيرمـان) هي مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فاستاء لذلك وعـرف الـسرّ الكـامن وراء هجـران أهل السُنّة والجماعة لأهل البيت عليهم السلام، وعرف الدور السلبي الذي لعبه حكّام بـني أميّة وبني العبّاس لتحريف الدين وإبعاد الناس عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن هذا المنطلق استبصر (جـونتر هيرمـان) واعتنـق مـذهب أهـل البيـت علـيهم السلام، ثمّ غيَّر اسمه، وسمّى نفسه باسم سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

(١١)

حافظ سيف الله حفيظ الله

(ديوبندي/ الهند)

ولد حافظ سيف الله ببلدة (لُدهيانة) بولاية البنجاب عام (١٩٢٥م) في الهند[١]، ترعرع في أحضان عائلة علمية عريقة، وكان والده من أتباع مسلك (ديوبند)[٢] المعروف بالتعصّب ضدّ الشيعة.

كان تشرّفه باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام (١٩٥٢م) في (باكستان).

حضور أبناء العامّة في المجالس الحسينية

يقول الأخ حافظ: (جعلني والدي في المدارس العالية - بعد أن أكملت الدراسة الابتدائية وحفظت القرآن الكريم - فوجدت أنَّ الأجواء الدراسية هناك لا تلائمني، فشددت الرحال إلى باكستان كي أتمّ دراستي فيها.

(١) الهند: تقع في شبه القارّة الهندية وتطلّ على خليج البنغال وبحر العرب والمحيط الهندي، يبلغ عدد سكّانها حوالي المليار نسمة، أغلبهم من الهندوس مع (٢%) من المسيح ومثلهم من السيخ، أمَّا المسلمون فيشكّلون نسبة تقارب (٢٠%) ينتمي معظمهم للمذهب الحنفي، أمَّا الشيعة فيشكّلون نسبة (٣٥%) من المسلمين.

(٢) نما هذا المسلك في أكبر مدارس الوهّابيين في مدينة (سهارنبور) الهندية.

ولقـد سـاعد التـاريخ العلمـي العريـق لأسـرتي، وقـوَّة اسـتعدادي في الـدروس العقلية، وحفظي للقرآن الكريم على استلامي منصب إمامـة الجمعـة والجماعـة في بلـدة (نوشهره وركان).

كان الملحوظ في أوساط الناس ـ بمختلف انتماءاتهم القومية والعقائدية ـ في شبه القارّة الهندية عند مباشرتي لعملي التبليغي، أنَّهم يتفـاعلون مـع الـشيعة في إحيـاء ذكـرى عاشـوراء! فامتعـضت مـن حـضور الحـشود الـضخمة في هـذه المجالس، لا لأنّي أبغض الإمام الحسين عليـه الـسلام، بـل لنفـوري مـن الـشيعة وكراهيتي لهم.

وممَّا زاد في حنقي عليهم حضور أهل العامّـة ومـشاركتهم في هـذه المـآتم! فكنـت اعترض عليهم وأحاول إبعادهم عن ذلك، وأدخل معهم في نقاشات حادّة.

فسألوني مرَّة، وقالوا: هل تحرّم محبّة أهل البيت؟! فقلت: لا، فقالوا: إنَّ سبب حضورنا هذه المجالس التي تنهانا عنها هو التعرّف على فضائلهم وسيرهم ومواساتهم في ما جرى عليهم من مصائب وآلام. فلم أحر جواباً!

ومنذ ذلك الحين قرَّرت تولّي هذا الأمر لمـلء الفـراغ الموجـود في مجالـسنا ـ أبنـاء العامّة ـ من ناحية التعريف بأهل البيت عليهم السلام وذكر مصائبهم، فحملـت علـى عاتقي مهمّة ذكر مصيبة الحسين عليـه الـسلام وقـراءة مجلـس التعزيـة في المسجد الـذي كنت إماماً فيه، وغيَّرت منهج خطب الجمعة، فبدأت أتكلَّم عن مزايا أهل بيـت النبـوّة عليهم السلام، وفي أيّام عاشوراء كنت أقرأ وقائع كربلاء!

فدفعني ذلك إلى الإكثار من مطالعاتي حـول هـذه المواضـيع، فرأيـت في أحـداث الطفّ لأهل البيت عليهم السلام صبراً وإيثاراً وإيماناً لا نظير له!).

أسباب خلود المجالس الحسينية

في الحقيقة أنَّ سبب خلود إقامة هذه المجالس في أوساط الشيعة، هو أنَّ المُثل العليا والقيم السامية التي جسَّدها أهل البيت عليهم السلام عموماً والإمام الحسين عليه السلام في كربلاء خصوصاً، جعلت السائرين على نهجهم والمرتبطين بهم روحياً، يحيون ذكراهم وينشرون مآثرهم لترسخ في النفوس، ولتكون تلك المواقف أسوة وقدوة تقتدي بها الأجيال تلو الأجيال.

كما أنَّ إحياء المناسبات التي تمثّل منعطفاً بارزاً وتحوّلاً نوعياً في حياة الأمم أمر طبيعي ومتعارف بين الناس، لأنَّه نابع من ذات الطبيعة البشرية وفطرتها، فيقوم به الناس من دون تكلّف، وذلك لأنَّه يمثّل تعبيراً عن أحاسيسهم وعواطفهم الجيّاشة.

وأيّ حادثة أعظم فداحة وأسى من يوم عاشوراء؟! حيث بقيت معلماً شاخصاً في التاريخ، لما فيها من مآسي وفجائع من جهة، ومواقف مشرّفة من جهة أخرى.

أسباب إقامة المجالس الحسينية

إنَّما يقيم الشيعة هذه المآتم وذلك تعبيراً عن حزنهم السرمدي لهذه الكارثة، التي أبقت جرحاً في قلب كلّ مؤمن لا يندمل إلاَّ أن ينتقم الباري ويأخذ بهذا الثأر من الظلمة، كما أنَّ هذه المجالس تُعدّ تخليداً لهذه الذكرى وتأسّياً بأهل البيت عليهم السلام، فقد احتضن الأئمّة عليهم السلام هذه المجالس ورعوها بعناية فائقة وحثّوا على إقامتها والمشاركة فيها.

فقد ذكر الأزدي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال للفضيل:

«تجلسون وتحدّثون؟».

قال: نعم جُعلت فداك، قال:

«إنَّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل، من ذكرنا - أو ذُكرنا عنده - فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»(١).

فهذه المآتم نشأت في أجواء أحياها أهل البيت عليهم السلام، وحقيقتها هو التعبير عن اللوعة والأسى المختزن في قلب المؤمن، وهي تقام من دون تكلّف لأنَّها تمثّل حالة طبيعية لكلّ مفجوع ومصاب، وحيث إنَّ أهل البيت عليهم السلام يمثّلون عقيدة في قلوب المؤمنين، يكون مصابهم خالداً في التاريخ ما دام هناك قلب ينبض بحبّهم، فإنَّه يتألَّم ويحزن لمظلوميتهم ومصائبهم.

ولذلك نجد لهذه المجالس حضوراً فعّالاً في كلّ زمان ومكان، وأثراً بالغاً في النفوس، فهي إضافة إلى عرض الجانب المأساوي تتميَّز بالبعد التربوي ورفع المستوى الفكري الذي يحدّد معالم شخصية الإنسان المسلم.

الفوائد المتوخّاة في إحياء المجالس الحسينية

إنَّ المجالس الحسينيّة التي يعقدها الشيعة تعدّ امتداداً لمنهجية مدرسة أهل البيت عليهم السلام الزاخرة بالفوائد الكثيرة على الصعيدين الدنيوي والأخروي، فإنَّها:

١ - امتثال لأمر الله تعالى، حيث أمر بمودَّة العترة الطاهرة عليهم السلام بقوله عز وجل:

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ (الشورى: ٢٣).

فمواساة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المصاب الجلل من أظهر مصاديق المودَّة.

(١) قرب الإسناد: ٣٦/ ح ١١٧؛ ثواب الأعمال: ١٨٧.

وقد روى عروة عن عائشة أنَّها قالت: ... خرج - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أصحابه - والتربة في يده - وفيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار وأبو ذر وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟! فقال: «أخبرني جبرئيل أنَّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أنَّ فيها مضجعه»[1].

فالحضور في هذه المآتم فيه ثواب المودَّة وأجر المواساة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام وناهيك بها من فائدة.

٢ - نصرة الحقّ والدعوة إليه، وخذلان الباطل وإماتته، وهي الفائدة التي من أجلها أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ - ومن الفوائد المهمّة الأخرى، الحثّ على وجوب معرفة الفضل والسمات السامية لأهلها، للاقتداء بهم، كما أنَّ فيها إدانة للظلم والجور، وكشف قبح صورهما، والحثّ على تجنّبهما والتباعد عنهما.

٤ - إنَّ عقد مثل هذه المجالس المأساوية هو حفظ لها من الضياع، وصيانة لمبادئها وآثارها وثمارها ونتائجها التي استهدفها الإمام الحسين عليه السلام لإحياء الدين والحفاظ عليه من التزييف والتحريف، ولولا ذلك لاضمحلَّت هذه الواقعة وسلك المخالفون شتّى السبل لإنكارها - كما أنكروا غيرها - أو أنَّهم كانوا يقلّلون من شأنها ومن فضاعة ما جرى فيها من تعدّي وانتهاك لحرمة آل الرسول عليهم السلام.

٥ - رقّة القلوب وبعث النفوس على الرأفة والرحمة، وفيها عزاء عن كلّ مصيبة، وسلوة عن كلّ رزيّة، لأنَّ هذه الفضائع جرت على سادة الخلق وأكرم الناس

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٧/ ح ٢٨١٤؛ مجمع الزوائد ٩: ١٨٨.

عند الله تعالى! فما وزن ما يجري على غيرهم من مصائب؟ وما قيمته؟

٦ ـ غرس حبّ الفضيلة والإباء، والمقاومة في النفوس، وحثّ المؤمنين لاستهداف غايات سامية تشدّهم نحو الآخرة.

٧ ـ إنَّها مدرسة لجميع الفئات ومختلف الطبقات، إذ فيها يُعرض التفسير والتاريخ والأخلاق والفقه والشعر و...، فهي بمنزلة مؤتمرات دينيّة ترفع المستوى العلمي للحضور، وتعرّفهم بمختلف العلوم والمعارف الدينية.

٨ ـ إنَّها أفضل وأيسر وأنجح وسيلة إعلام لنشر الإسلام الأصيل، لأنَّها تطرح بصورة حيّة، ولذلك كانت وما زالت أشدّ تأثيراً في النفوس.

٩ ـ تعدّ هذه المجالس أماكن للوعظ والإرشاد، وحلقات لذكر الله تعالى وذكر أوليائه، فهي ترفع المستوى الديني وتصرف الناس عن تضييع أوقاتهم بما لا ينفعهم، وتجمعهم على الخير والصلاح، فهي بنّاءة للمجتمع وهدّامة للآفات التي قد تستشري فيه.

١٠ ـ إنَّها مظانّ للبرّ والتواصل والتآزر، ففيها يتسنّى للمجتمعين تقصّي أحوال بعضهم للبعض الآخر، من دون كلفة أو مشقّة.

١١ ـ إنَّها خير ميدان لبروز الطاقات الكامنة وظهور الكفاءات القادرة على توظيف مواهبها لخدمة الدين الحنيف.

فمآتم سيّد الشهداء عليه السلام ومجالس ذكره فيض لا ينضب، لأنَّها مدرسة متنوّعة المناهج وواسعة البحث وسامية الهدف، وهي محكمة عادلة وسليمة تدين الباطل وأهله، وتُعضد الحقّ وأهله، وهي ميدان يؤوب فيه الإنسان إلى ربّه، فكم من ضالّ قد اهتدى ومنحرف قد استقام فيها، كما أنَّ هذه المآتم توجب عزّ المسلمين لأنَّها ترفع مستوى الإنسان في الأصعدة كافّة (الدينية والعلمية والثقافية)، وتغرس الفضائل في

النفس لتطفح في السلوك، وإضافة إلى ذلك أنَّها ترسم أنجح السبل وأيسرها لنيل سعادة الدارين.

تأثير المجالس الحسينية في الجمهور

لقد أدرك الكثير من العلماء فاعلية هذه المجالس وسرعة تأثيرها في النفوس، فحرصوا على عزل جمهورهم ومنعهم من ارتيادها، وخافوا على افتقاد أنصارهم وانضمامهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام!

وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف الألماني (ماربين)[1]:

(كلَّما ازدادت قوَّة أتباع علي عليه السلام ازداد إعلانهم بذكر مصائب الحسين عليه السلام، وكلَّما سعوا وراء هذا الأمر ازدادت قوَّتهم وترقيهم، وجعل العارفون بمقتضيات الوقت يغيّرون شكل مصائب الحسين قليلاً قليلاً، فجعلت تزداد كلّ يوم بسبب تحسينهم وتنميقهم لها حتَّى آل الأمر إلى أن صار لها اليوم مظهر عظيم في كلّ مكان يوجد فيه مسلمون، حتَّى أنَّها سرت شيئاً فشيئاً بين الأقوام وأهل الملل الأخرى...

[إنَّ] الحسّ السياسي والثوران والهيجان المذهبي الذي ظهر في هذه الفرقة من إقامة هذه المآتم لم يُرَ مثلها في قوم من الأقوام. إنَّ من يسبر غور الترقيات التي حصلت في مدَّة مائة سنة لأتباع علي عليه السلام في الهند، الذين اتَّخذوا إقامة هذه المآتم شعاراً لهم، يجزم بأنَّهم متبعون أعظم وسيلة للترقّي.

---

(١) في رسالته المسمّاة (السياسة الإسلاميّة المبنية على فلسفة الإسلام) وتحت عنوان: (الثورة الكبرى أو السياسة الحسينية). وقد نشرت هذه الرسالة في صحيفة الحبل المتين الإيرانية العدد ٢٨/ السنة الثامنة (٧ محرَّم/ ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م). أنظر: كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم لمحمّد حسين الأمين: ٣٢٩ ـ ٣٤٧.

كان أتباع علي والحسين في جميع بلاد الهند يعدّون على الأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند من حيث العدد...

إنَّ هذا القسم من الدماغ السياسي والحسّ الثوري - الذي هو عدم الاستسلام للضيم والظلم، وهو عند حكماء السياسة أشرف شعار وأعظم سعادة وأفضل صفة ممدوحة لكلّ إنسان - قد ظهر في هؤلاء القوم بواسطة إقامتهم مآتم الحسين عليه السلام، وما دام هذا العمل ملكة لهم، لا يقبلون الذلّ والضيم).

ويضيف (ماربين) بعد أن حضر عدداً من مجالس العزاء في إسلامبول مع مترجم خاصّ:

(... إنَّهم في الحقيقة يعلّم بعضهم بعضاً علناً... هذه هي نكتة التمدّن الحقيقي للأمم اليوم، هذا هو تعليم معرفة الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة...

وليس لواحدة من الروابط الروحانية التي بين المسلمين اليوم تأثيراً في نفوسهم كتأثير إقامة مأتم الحسين عليه السلام، فإذا دام انتشار إقامة هذه المآتم وتعميمها بين المسلمين مدَّة قرنين، لابدَّ أن تظهر فيهم حياة سياسية جديدة...).

وهذه حقيقة لا تنكر، ولذلك سجَّل المؤرّخ الفرنسي (جوزيف) في كتابه (الإسلام والمسلمين) شهادة مماثلة لا تقلّ من حيث الأهمية التاريخية والتحليلة والواقعية عن شهادة الفيلسوف (ماربين)، حيث قال:

(لا يمضي قرن أو قرنان حتَّى يزيد عددها - أي الشيعة - على عدد سائر فِرَق المسلمين، والعلَّة في ذلك: هي إقامة هذه المآتم التي جعلت كلّ فرد من أفرادها داعية إلى مذهبه.

اليوم لا توجد نقطة من نقاط العالم يكون فيها شخصان من الشيعة إلاَّ ويقيمان

فيها المآتم، ويبذلان المال والطعام... ويمكن القول: إنَّ جميع فِرَق المسلمين منضمّة بعضها إلى بعض لا تبذل في سبيل مذهبها ما تبذله هذه الطائفة. وموقوفات هذه الفرقة هي ضعف أوقاف سائر المسلمين أو ثلاثة أضعافها.

كلّ واحد من هذه الفرقة بلا استثناء سائر في طريق الدعوة إلى مذهبه وهذه النكتة مستورة عن جميع المسلمين - حتَّى الشيعة أنفسهم - فإنَّهم لا يتصوَّرون هذه الفائدة من عملهم هذا، بل قصدهم الثواب الأخروي، ولكن بما أنَّ كلّ عمل في هذا العالم لا بدَّ أن يظهر له بطبيعته أثر، فهذا العمل أيضاً يؤثر ثمرات للشيعة... إنَّهم حصلوا ويحصلون على فوائد كلّية من هذا الطريق، فهم يحافظون على إقامة هذه المآتم ويتحمَّلون المشاقّ ليتمكّنوا من ذكر فضائل كبراء دينهم والمصائب التي أصابت أهل هذا البيت بأحسن وجه وأقوى تقرير على رؤوس المنابر وفي المجالس العامّة.

وبسبب هذه المشاقّ التي اختارها هذه الجماعة في هذا الفنّ تفوَّق خطباء هذه الفرقة على جميع الطوائف الإسلاميّة، وحيث إنَّ تكرار المطلب الواحد يورث اشمئزاز القلوب وعدم التأثير، فهؤلاء الجماعة يتحمَّلون المشاقّ فيذكرون جميع المسائل الإسلاميّة العائدة لمذهبهم في هذه الطريقة على المنابر، حتَّى آل الأمر إلى أن أصبح الأُمّيون من الشيعة أعرف في مسائل مذهبهم ممَّن يقرأون ويفهمون من الفِرَق الإسلاميّة الأخرى من كثرة ما سمعوا من عرفائهم.

اليوم إذا نظرنا في كلّ نقطة من نقاط العالم من حيث العدد والنفوس، نرى أنَّ أليق المسلمين بالمعرفة والعلم والحرفة والثروة هي فرقة الشيعة!

دعوة هذه الفرقة غير محصورة في أهل مذهبهم أو في سائر الفِرَق الإسلاميّة، بل أيّ قوم وضع أفراد هذه الطائفة أقدامهم بينهم يسري في قلوب أهل تلك الملَّة هذا الأثر...

وقفت هذه الفرقة على مقتضيات العصر أكثر من سائر الفِرَق الإسلاميّة...

وإضافة إلى ذلك، أنَّهم بواسطة الأعمال يحتاج الناس إليهم، ومحبَّتهم ومعاشرتهم لسائر الفِرَق موجبة لاختلاط الآخرين معهم عند مشاركتهم لهم في مجالسهم ومحافلهم، وحينما يصغي المباشرون لهم إلى سماع أصول مذهبهم وأحاديثهم مرَّة بعد مرَّة لا محالة يألفون مشربهم، وهذا هو عمل الدعاة، والأثر الذي يترتَّب على هذه الوضعية هو الأثر الذي توخَّته عرفاء دول الغرب في ترقية دين المسيح مع بذل أموال تحيّر العقول(١).

بداية التحوّل

يقول حافظ سيف الله: (عندما كثرت خطاباتي ومحاضراتي حول أهل البيت عليهم السلام ولاسيّما الإمام الحسين عليه السلام، بدأ أهل العامّة يشيرون إليَّ بأصابع الاتّهام، فرموني بالتشيّع! مع أنَّني كنت منهم ومعهم في كلّ المعتقدات، لكنّي كنت أنقل الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام - على وفق قناعاتي الحاصلة من كتب علماء العامّة - كي لا يحضر أهل مذهبي في مجالس الشيعة ولا يشاركوهم في مثل هذه الاجتماعات).

نتائج محبّة أهل البيت عليهم السلام

ويضيف الأستاذ حافظ: (في عام (١٩٤٩م) دعيت إلى بلدة (نوشهره وركان) لتولّي مهامّ الإمامة في جامعها المحلّي، وكانت هذه المدينة أحد مراكز الوهابيين، وكانوا قد سمعوا من قبل أنَّني أقرأ مجالس التعزية وأقيم المآتم على النمط الشيعي.

---

(١) أنظر: كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم لمحمّد حسين الأمين: ٣٥١ - ٣٥٦.

فبدأت أمارس عملي التبليغي إضافة إلى التدريس وإقامة الجمعة والجماعة، ولكن أسلوبي الخاصّ في تعريف أهل البيت عليهم السلام سبَّب نشوء حساسية بيني وبين الوهابية، وأدّى ذلك إلى وقوع مناظرات ونقاشات عديدة فيما بيننا، وفي إحدى المناظرات اشتدَّ الحوار حتَّى انحصر في واقعة كربلاء وما جرى فيها على عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فسألتهم عن واقعة الطف، فأدانوا فعل يزيد.

فقلت لهم: من نصَّب يزيد للخلافة؟

قالوا: معاوية.

قلت: من الذي جعل معاوية والياً على الشام؟ فسكتوا!

فقلت لهم: إنَّ ما وقع في كربلاء هو نتيجة عدم وقوع الخلافة بيد أهلها، وإنَّ العترة هم أولى بالأمر من غيرهم، ولو كانت الخلافة بأيديهم ما كانت الساحة الإسلاميّة تشهد هذه الفتن والانحرافات، فدار الحوار حول السقيفة وما جرى فيها وبعدها من احتجاجات.

فأخذت أسرد فضائله عليه السلام ومناقبه التي امتاز بها من غيره، وكنت أرويها لهم من كتبهم لا من كتب الشيعة، فلم يقتنعوا بكلامي، بل زاد غضبهم عليَّ!

جلاء الحقّ ووضوحه

وبعد تلك المناظرة الحادّة دعيت إلى بلدة (سركودها) الباكستانية لألقي محاضرة دينية، وكانت المحاضرة التي ألقيتها على الحاضرين متعلّقة بألقاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فرويت أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المتعلّقة بكلّ لقب من هذه الألقاب، وكانت مصادر أهل العامّة بمعيَّتي أستشهد بها أثناء ذلك.

وهكذا كان دأبي في بقيّة المحاضرات حتَّى وجدت نفسي أمام حقائق لا يسعني

إنكارها، وعرفت أنَّ الإمام علياً عليه السلام هو أوّل القوم إسلاماً، وأغزرهم علماً، وأكثرهم جهاداً، لا يسبق في رحم ولا يلحق في إيمان... وأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم الذين طهَّرهم الله تعالى وأذهب عنهم الرجس، واصطفاهم للخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جاء ذلك في أحاديث ومواقف عديدة له صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلمت أنَّ هنالك أسباباً انتهزها البعض فأزاح العترة عليهم السلام عن مواقعهم، فجرى ما جرى عليهم من النكبات، التي كانت واقعة الطفّ من أبرزها وأمضّها.

وبهذا كانت إقامة المآتم على الحسين عليه السلام شعلة الهداية التي أنارت لي الطريق الحقيقي الموصل إلى رضوان الله تعالى.

وببركة الحسين عليه السلام أعلنت تشيّعي في الجامع الذي كنت أؤمّ المصلّين فيه في مدينة (نوشهره وركان) عام (١٩٥٢م)، وقدَّمت استقالتي وتركت جميع المهامّ الموكلة إليَّ من قبل أهل العامّة).

❊ ❊ ❊

(١٢)

حسن بن شعيب

(شافعي/ إندونيسيا)

ولد في مدينة (فروا كرتا) بإندونيسيا، ونشأ في أسرة شافعية المذهب.

اعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد سماعه بمذهبهم على لسان علماء الدين ومنهم خطباء المنبر الحسيني المهتمّين بنشر معارف أهل البيت عليهم السلام.

كما أنَّه طالع العديد من كتب الشيعة ومصادرهم وقارنها بما كان قد قرأه من كتب أهل السُنّة، فعرف أنَّ الحقّ مع أهل البيت عليهم السلام وهم أدرى بالذي فيه، فما كان منه إلاَّ أن يتَّبع الحقّ ويهتدي إلى الصراط المستقيم.

ويسعى (حسن بن شعيب) حالياً في هداية أبناء قومه إلى التمسّك بتعاليم الدين الحقّة إذ فتح باب بيته لإقامة المجالس العلمية وأداء المراسم المذهبية وخاصّة العزاء الحسيني ممَّا أكسبه احترام الكثيرين من أبناء الشيعة والسُنّة.

العزاء الحسيني وانفتاح آفاق جديدة أمام المسلمين

إنَّ كلّ من يحضر مشاهد العزاء الحسيني أو يسمع بها من فِرَق المسلمين كافّة يتعاطف مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام - ولا يختصُّ هذا الأمر بالشيعة فقط - ويشدّه هذا التعاطف إلى معرفة واقع قضيّة كربلاء الدامية ممَّا يؤدّي إلى انفتاح الآفاق أمام الأذهان، وزوال الظلمات المتراكمة في كتب التاريخ التي حاول بعضها تضييع وقائع الحقيقة، وتشويش قضايا الحقّ، وهذا ما حدث لكثير من المسلمين من الفِرَق الأخرى غير الشيعة عندما سمعوا أو قرأوا أو حضروا مراسم العزاء الحسيني.

❊ ❊ ❊

(١٣)

حسن عبد القادر

(شافعي/ إثيوبيا)

ولد في العاصمة (أديس أبابا)، ونشأ في أسرة تلقَّت من أسلافها المذهب الشافعي منهجاً وطريقةً لمعرفة الشريعة الإسلاميّة.

اليقظة

نشأ (حسن) في أسرته المنتمية إلى المذهب الشافعي، وبقي متمسّكاً بهذا الانتماء حتَّى وصلت إلى يده مجموعة أشرطة صوتية لجملة من خطباء المنبر الحسيني، فبلغت مسامعه صرخة الإمام الحسين عليه السلام، وبلغه النداء الحسيني فتساقطت أمامه الأقنعة عن الوجوه الماكرة التي تربَّصت بالإسلام، وسحقت مبادئه من أجل نيل مصالحها الدنيوية ومآربها المادّية، ومن هنا بدأت انطلاقته نحو البحث في الصعيد العقائدي.

البحث عن الحقائق

توجَّه (حسن) بعد ذلك إلى توسيع آفاق رؤيته الدينية عن طريق مطالعة الكتب العقائدية والدينية لشتّى المذاهب الإسلاميّة، وحاول أن يحيط علماً بمجموع ما يقال عن الأسس المذهبية، ليتمكَّن بعد غربلتها وتنقيحها من الوصول إلى حقيقة الأمر.

وبالفعل فقد تعرَّف (حسن) بمرور الزمان على حقائق قلبت عنده الموازين، وأثارت في نفسه الاستغراب.

اكتشاف الحقيقة

إنَّ النتائج التي حصل عليها (حسن) كانت على خلاف ما كان يتوقَّعه، لأنَّه كان يظنّ بأنَّ البحث سيرفع مستواه العقائدي فيما كان يعتقد به، وسيمنحه الأدلّة والبراهين التي تجعله قادراً على الدفاع عن عقائد مذهب أهل السُنّة.

ولكنَّ النتيجة جاءت عكسية، فتبيَّن له: أنَّ مذهب أهل السُنّة مذهب ترعرع في أحضان الحكومات، وتبلورت عقائده عن طريق وعّاظ السلاطين على وفق ميول أرباب السلطات الجائرة وأهوائها.

ثمّ تبيَّن له أنَّ الشورى التي يدَّعيها أهل السُنّة، لتثبيت دعائم الخلافة الإسلاميّة في صدر الإسلام، ليست إلاَّ سراباً لا حقيقة له في واقع الأمر.

تغيير الانتماء العقائدي

ومن هنا بدأ (حسن) يفكّر في شأن تغيير الانتماء المذهبي الذي كان عليه، فخطر على باله ما سيواجهه من مشاكل نتيجة انفصاله عن الدائرة الاجتماعية التي هو فيها، ولكنَّ قوّة إيمانه وقوّة الأدلّة العقائدية التي غيَّرت مرتكزاته الفكرية لم تسمح له أن يتردَّد في شأن الاستبصار، فاعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام سنة (١٩٩٧م)، وبدأ صفحة جديدة من حياته، وحاول بعد ذلك أن يتأسّى في تعامله وسلوكه وتصرّفاته بأخلاق أهل البيت عليهم السلام.

* * *

(١٤)

حياة ياسين

(سُنّية/ تونس)

ولدت عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) في عاصمة تونس، وترعرعت في أسرة تنتمي إلى المذهب السُنّي، لكنَّها لم تكن ملتزمة به، ولم تعرف - بحسب قولها - من الإسلام سوى الصوم والشهادتين.

تزوَّجت عام (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) من زوج لبناني شيعي، لكنَّها لم تقتنع باعتقاداته الدينية، ثمّ واجهت عام (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) قضايا مؤثّرة دفعتها إلى الاستبصار.

حوَّلتني واقعة عاشوراء

تقول (حياة): (كانت بداية استبصاري عند زيارتي للبنان عام (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ومنها ذهبت إلى سوريا، زرت هناك - مع زوجي - مرقد السيّدة زينب عليها السلام ولم تكن زيارتي للثواب، بل كانت لمجرَّد حبّ الاستطلاع، ثمّ ذهبنا إلى الجامع الأموي بدمشق، وما لم أكن أتوقَّع رؤيته هناك مشاهدتي لمجموعة من النساء الإيرانيات وهنَّ يبكين في جانب الجامع يقال: إنَّه مدفن رأس الحسين عليه السلام[1]،

(١) اختلفت الروايات والأقوال في مكان دفن الرأس الشريف بعد استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام: والقول ←

فاستهزئت بهنَّ في قلبي ودفعني الفضول إلى التقرّب منهنَّ لمعرفة ما في داخل الشباك، فتقرَّبت حتَّى مسكت الشباك ونظرت في داخله فاندهشت كثيراً عندما رأيت فيه صورة لرأس مقطوع، فصرخت من أعماق وجودي وطلبت الاستغاثة من زوجي الذي كان خارج الجامع، فجاء وأخرجني من الجامع.

ثمّ عدنا إلى لبنان فكنت أقضي يومي ليلاً ونهاراً بالبكاء وأحسّ بحزن عميق في داخلي، ولكنّي لم أكن أعرف سببه، استمرَّت هذه الحالة يومين حتَّى أوّل ليلة من محرَّم الحرام، حيث رأيت رؤيا عجيبة، رأيت نفسي في مقبرة والقبور سوداء وكانت هناك دائرة ماء تمشي وأنا أتبعها، فرأيت نفسي بعدها قرب صخرة بيضاء وفيها خطوط من الدم وناس يبكون وأنا أبكي معهم، فأفقت، وبكيت بشدَّة وسألني زوجي عن سبب بكائي فقلت له: إنَّه مجرَّد كابوس.

وفي الليلة الثانية كنت نائمة في فراشي فصحوت على صورة شيخ لابس سواد وعمامة سوداء وحامل في يده أطباق سوداء، وقال لي: اختاري طبق من هذه الأطباق، وطلب منّي أن أسحب الطبق إلى النصف ثمّ أخبره برقم الطبق الذي يسبق الطبق الذي سحبته، فقلت: خمسة فصار الطبق أبيض وكتب عليه (زين العابدين)، فكلّمني الشيخ

→
المشهور بين علماء الشيعة أنَّه مدفون مع الجسد المقدَّس، حيث إنَّه أعيد إلى كربلاء بعد أن طيف به في البلاد، أو أنَّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام ردَّه إلى المضجع الشريف.

وهناك أقوال أخرى تقول بعضها: إنَّه دفن عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، وبعضها تؤيّد دفنه عند قبر أُمّه الزهراء عليها السلام في المدينة المنوَّرة.

والأقوال عند أهل السُنّة تختلف أيضاً، يقول سبط بن الجوزي: حكى ابن أبي الدنيا قال: وجد رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد في دمشق، فكفَّنوه ودفنوه بباب الفراديس - والظاهر أنَّه هو الموضع المعروف الآن في مقام رأس الحسين عليه السلام بجانب المسجد الأموي بدمشق -. وقيل: إنَّ الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ثُمّ إلى القاهرة بمصر ودفنوه هناك، وشيَّدوا له مشهداً عظيماً. وقيل أيضاً: إنَّه دفن في مسجد الرقّة في المدينة المنوَّرة.

بكلام لا أفهمه وانصرف. وبقيت أبكي للصباح وأخبرت زوجي أنّي رأيت كابوساً في هذه الليلة أيضاً، لأنّي لم أكن أسمع قبل ذلك هذه الأسماء.

وفي الليلة الثالثة كنت نائمة ثمّ صحوت وجلست فرأيت نفسي في عالم ثانٍ وكان زوجي بجانبي وأنا أوزّع الماء وأسقي أناساً كثيرين، وفجأة رأيت جسداً واقفاً بجانبي ولم أرَ مثله في حياتي، طويل القامة، عريض الأكتاف، ومجلّل بالسواد، وجاء منه صوت رخيم وقال: «أنا عطشان»، فرفعت رأسي ودهشت لما رأيت و النور يجلّل وجهه وبيده طفل رضيع، فقلت له: من أنت؟ وهو الشخص الوحيد الذي كلّمني عند توزيعي الماء، فقال: «أنا الحسين بن علي ابن أبي طالب»، فأحسست بالفرح وأعطيته الماء لكنّه لم يشرب وناوله شخصاً آخر لم أرَه، وعندما ناولته الماء كان يقول لي: «أمانة – ثلاثاً – أن توزّعي الماء (١٢) يوم من محرَّم كلّ عام ما دمتِ حيّة».

ثمّ أخرجت من جيبي تمرة فأعطيته إيّاها، وسبقني زوجي وأعطاه تمرة أخرى فغضبت، فقال الحسين عليه السلام – بعدما وضع يديه على رأسي –: «كلي نصفها واعطني النصف الآخر ولا تغضبي لأنَّ هناك من هو أحقّ منّي بأكلها – وكان يشير إلى الطفل الرضيع –»، فقلت: كيف تعطيه تمرة وهو رضيع؟ فقال: «هو رضيع لكن لو شئتِ أن تحكي معه فهو يكلّمك»، وكلَّمني الرضيع ولكنّي لم أذكر كلامه، وصحوت من النوم.

فأخبرت زوجي بما رأيت فأخذني صباح اليوم التالي إلى سيّدة تقيم المجالس الحسينية فأخذتني إلى الشيخ (محمّد حسين عبيد) ورويت له الرؤيا، فبكى الشيخ، ثمّ فسَّر لي تلك الرؤيا، وبعدها أعطاني كتباً عن أهل البيت عليهم السلام وعاشوراء).

الاعتصام بأهل البيت عليهم السلام

ونظراً للنتائج المقنعة التي وصلت إليها (حياة ياسين) نتيجة تأثّرها الروحي في مشهد رأس الحسين عليه السلام والقناعة الاستدلالية التي حصلت بالتمعّن والنظر في الآيات والروايات، أعلنت استبصارها عام (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) وتمسَّكت بمنهج الحقّ وتحجَّبت، وبذلك فتحت صفحة جديدة من حياتها، حيث قامت بتعديل أفكارها ومعتقداتها على وفق المذهب الشيعي الاثني عشري.

❋ ❋ ❋

(١٥)

رامي عبد الغني اليوزبكي

(حنفي/ العراق)

ولد عام (١٩٥٩م) بمدينة (الموصل) في العراق[1]، من أسرة تنتمي إلى المذهب الحنفي، وكعادة باقي أقرانه واصل الدراسة الأكاديمية حتّى حصل على شهادة البكالوريوس في كلّية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة الموصل.

تشرَّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام (١٩٨٧م) في (إيران) عبر دراسات مستوفية ومناقشات علمية جادّة.

أثر مرقد الإمام الحسين عليه السلام في الوجدان

كانت بداية غرس مبادئ التشيّع في قلبه عام (١٩٧٩م) إذ وُفّق الأستاذ لحجّ بيت الله الحرام، فتوجَّه من مدينته (الموصل) إلى الديار المقدَّسة، وفي تلك الرحلة كانت له وقفة في مدينة (كربلاء)[2]، فزار تلك المدينة وشاهد لأوّل مرَّة مرقد الإمام الحسين عليه

(١) العراق: يقع غرب آسيا، تحدّه تركية وإيران وسورية والكويت والسعودية، يبلغ عدد سكّانه حوالي (٣٠) مليون نسمة، يشكّل المسلمون الغالبية العظمى منهم فتتجاوز نسبتهم (٩٥%)، أمَّا الباقي فمن المسيحيين والديانات الأخرى، أمَّا الشيعة فيشكّلون نسبة (٦٥%) من السكّان والباقي من الشوافع والأحناف.

(٢) مدينة كربلاء المقدَّسة: تقع جنوب العاصمة بغداد في وسط العراق، تشرَّفت هذه المدينة بضريح الإمام الحسين بن علي عليه السلام وضريح أخيه العبّاس بن علي عليه السلام، وتبعد بمسافة (٨٠) كيلو متر عن أرض النجف المتشرّفة بضريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

السلام، فلفت ذلك الحرم الطاهر انتباهه! ورأى زوّار مرقد شهيد كربلاء كيف يفدون على ضريحه بلهفة وشوق، وكيف يؤدّون رسوم زيارتهم بوعي معبّر عن عمق ارتباطهم بنهج صاحب القبر، ولمس بروحه كيف تنطوي زيارة الزائرين على تأصيل حالة ولائهم للإمام الحسين عليه السلام، وكيف يجسّدون حبّهم لرمز مسيرتهم، وكيف يستلهمون من ذلك المشهد العطاءات التربوية التي تشدهم إلى تاريخهم المشرق.

كما وجد أنَّ الزوّار يرسّخون بزيارتهم فهمهم لأبعاد شخصية الإمام الحسين عليه السلام ومكارم أخلاقه وإخلاصه لله، ويفتحون بذلك ذاكرتهم على الأحداث التي حلَّت بالحسين وأصحابه ليستلهموا منها الدروس والعبر.

وأبهره ذلك المنظر، فلم يكتفِ بالمشاهدة السطحية، بل تناول أحد كتب الزيارة التي يقرؤها الزوّار ليرى محتواها ويطَّلع على مضامينها، وليلمس بنفسه الدافع الذي جعل هؤلاء الوافدين يتفاعلون من أعماق أنفسهم مع صاحب هذا القبر.

فغاص في معاني زيارة الحسين عليه السلام والأدعية الخاصّة بالزيارة، وإذا به يجدها مفردات تزخر بثروة هائلة من النماذج التي تحفّز مفاهيم الحياة الفردية والاجتماعية على المستوى التربوي، وذلك عبر تعزيز فهم الزائر لأبعاد شخصية الإمام الحسين عليه السلام ودوره في تبليغ الرسالة وتجسيد معانيها، وأكثر أمر لفت انتباهه في الزيارة عبارة: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ»[1].

الإمام الحسين عليه السلام ثأر الله

يقول الأستاذ رامي: (جعلتني هذه الكلمات أتأمَّل في معانيها! وقلت في نفسي: لا بدَّ وأن تكون لصاحب هذا المقام منزلة وشأن عظيم عند الله تبارك وتعالى ليكون

(١) كامل الزيارات: ٣٧٥/ باب ٧٩/ ح (٥/٦٢١).

ثأره عز وجل).

فإنَّ الثأر هو الدم والطلب به[1]، ومعنى ثأر الله هو الدم المنسوب إلى الله تعالى، ويعني أنَّ هذا الدم مكرَّم وعظيم وله امتياز عند الله، كما نقول: بيت الله، لتمييزه من غيره من الأماكن.

وفي الحقيقة أنَّ نسبة ثأر الحسين عليه السلام إلى الله عز وجل لا غبار عليها، لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو صفوة الخلق قال:

«حسين منّي وأنا من حسين»[2].

فإذا كان الحسين عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسول من صفوة الله عز وجل، فمعناه أنَّ الحسين عليه السلام أيضاً من الذين اصطفاهم الباري من بين خلقه، فهو تعالى وليّهم وهو صاحب الثأر لدمائهم.

ونسبة ثأر الحسين عليه السلام إلى الله واضحة، فالإمام الحسين عليه السلام وريث الأنبياء عليهم السلام كما ورد في زيارته:

«السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ...»[3].

والأنبياء سفراء الله على أرضه وحججه على خلقه، فسفك دمائهم تعدّي على حرمة الله، والطالب بثأرهم هو الله جل جلاله.

---

(١) القاموس المحيط ١: ٣٨١.

(٢) مسند أحمد ٤: ١٧٢؛ سنن الترمذي ٥: ٣٢٤/ ح ٣٨٦٤؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٧٧.

(٣) كامل الزيارات: ٣٧٥/ باب ٧٩/ ح (٥/٦٢١).

فقتل الحسين عليه السلام يعني قتل للصفوة وللنبوّة وللخلّة وللكلمة وللروح وللمحبّة الإلهية.

وحيث إنَّ الإمام الحسين عليه السلام ثأر الله يستوجب على كلّ مسلم أن يجد نفسه معنيّاً بهذا الأمر، فيسعى لإحياء ما ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه من أجله، وأن يتذكَّر مظلومية عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما لاقته من ظلم واضطهاد بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليوفّر لنفسه بذلك أجواء يندمج فيها روحاً وفكراً مع القيم والمبادئ والأفكار التي حملها صاحب الشهادة، وضحّى من أجل ترسيخها في النفوس، فقدَّم الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل.

بوادر التعرّف على التشيّع

يقول الأستاذ رامي: (لم أكن من قبل مطّلعاً بمستوى وافٍ على مذهب التشيّع، ولكن هذا الموقف أثار في نفسي المحفّز لأكون أكثر إلماماً بهذا المذهب.

فمن ذلك الحين اندفعت لمعرفة المزيد من المعارف التي ينتمي إليها هؤلاء الشيعة، ولم يكن إلمامي بهم سوى أنّي كنت استمع إلى بعض المناقشات العقائدية التي كانت تدور بين الشيعة وبعض أبناء مدينتنا الأحناف، فكنت أُشارك أتباع مذهبي بالدفاع عن ما نحن عليه وإن لم أكن بذلك المستوى الذي يجيد ردّ المبادئ التي كان يعتنقها أصحاب مذهب أهل البيت عليهم السلام).

ويضيف الأستاذ قائلاً: (بعد ذلك الموقف في مرقد الإمام الحسين عليه السلام - والذي ترك في نفسي الأثر البليغ - واصلت مسيرتي باتّجاه الحجاز لأداء مناسك الحجّ، وهنالك في مكّة المكرَّمة وجَّهت بعض الأسئلة إلى أحد علماء أبناء العامّة حول المذهب

الجعفري، لكنَّه بدل أن يجيب على أسئلتي حذَّرني من التقرّب إليهم والحوار معهم، قائلاً: احذر من أفكار الرافضة، وتجنَّب الحوار معهم، وأنصحك أن لا تدنو منهم! ولكن لم أقتنع بمقولته ولم يدفعني كلامه لرفض ما رأيته منسجماً مع فطرتي وعقلي عند الشيعة، كما أنَّني كنت متلهّفاً للدليل والبرهان ولم أجد عنده ذلك).

البحث عن الحقيقة

وفي الحجاز وجد الأستاذ (رامي) تيّاراً فكرياً ضدّ مذهب التشيّع، يحرّم زيارة القبور والتوسّل بها ويصفها بالشرك والإلحاد، وهذا ما دفعه للبحث بعد عودته من الحجّ عن مدى صحَّة هذا الادّعاء.

وبعد التتبّع والتحقيق وجد أنَّ ما عليه الوهّابيون يخالف الكتاب والسُنّة، وأنَّ أفكارهم جاءت من قبل أناس انتهزوا فكرة إلصاق الشرك بالمسلمين ليحقّقوا مآربهم في ظلالها، ويصلوا إلى مبتغياتهم من خلالها.

ووجد أنَّهم خالفوا جميع الطوائف الإسلاميّة فيما ذهبوا إليه، ولم يعتمدوا لتثبيت أفكارهم على دليل يستند إليه، بل مستمسكهم الوحيد في هذا المجال هو اتّخاذ أسلوب الإثارة ليصطادوا في الماء العكر.

مسألة زيارة القبور

إنَّ المتتبّع لسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى الأمر بالنسبة إلى زيارة القبور أنَّه مرَّ بثلاث مراحل في عهد الرسالة.

المرحلة الأولى: جواز زيارة القبور، وذلك استمراراً لما كانت عليه الشرائع السابقة.

وخير مثال – والأسبق تاريخياً – في ما ذكره القرآن الكريم لاحترام مراقد الأولياء وتعاهدها بالزيارة، هو مرقد فتية أصحاب الكهف، إذ قال تعالى:

﴿إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ (الكهف: ٢١).

وتُشعر الآية بذكرها المسجد بأنَّ هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم الموحّدون، فالآية فيها دلالة على جواز البناء على القبور وزيارتها، والمسجد إنَّما يُتَّخذ ليؤتى على الدوام ويقصده الناس ليذكروا اسم الله عز وجل فيه.

المرحلة الثانية: المنع لعلل يأتي ذكرها، ويستنبط ذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها»[١].

ويتَّضح من هذه الرواية أنَّ المسلمين كانوا يزورون القبور، ثمّ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها المنع، ثمّ أذن لهم بعد ذلك في الزيارة.

ففي رواية ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولا تقولوا هجراً»[٢].

والهجر هو الكلام القبيح المهجور لقبحه[٣]، وهذا الحديث كأنَّه يتضمَّن علَّة النهي أو بعضها، وهي أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أراد إلغاء عادات الجاهلية وتأسيس آداب إسلاميّة للزيارة.

---

(١) مسند أحمد ١: ١٤٥؛ صحيح مسلم ٣: ٦٥؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٠١/ ح ١٥٧١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١١: ٢٠٢.

(٣) أنظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٥٣٧/ مادَّة (هجر).

ولعلَّ نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدّة التي منع فيها زيارة القبور كان لكثرة قبور المشركين، وحيث إنَّ الزيارة للقبر تزيد وتعمّق أواصر الارتباط بين الزائر والمزور، وتجدّد في النفوس روح الاقتداء بهم وإحياء آثارهم، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدم زيارة القبور، ولمَّا كثر المؤمنون بينهم وقوى الإسلام رخَّص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الزيارة بإذن الله عز وجل.

ولهذا ورد في قوله تعالى النهي عن القيام عند قبور المنافقين:

﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ﴾.

ففي هذه الآية دلالة واضحة على جواز ذلك في شأن من مات على الإسلام، وأنَّ ذلك معهود بين المسلمين، وأنَّ الآية إنَّما نزلت لتستثني الكفّار والمنافقين، كما هو في ذيل الآية:

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨٤).

المرحلة الثالثة:

تجويز زيارة القبور ورفع الحظر والمنع، فقد ثبت في الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه كان يخرج مراراً إلى البقيع لزيارة قبور المؤمنين[1]، وورد أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أُمّه وبكى وأبكى من حوله[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنَّ في زيارتها تذكرة»[3].

---

(١) أنظر: مسند أحمد ٥: ٣٥٣؛ صحيح مسلم ٣: ٦٤؛ سنن النسائي ٤: ٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٣: ٦٥؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٠١/ ح ١٥٧٢؛ سنن أبي داود ٢: ٨٧/ ح ٣٢٣٤.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٨٧/ ح ٣٢٣٥؛ سنن البيهقي ٩: ٢٩٢.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنّ فيها عبرة»[(١)].

وورد بسند صحيح أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور قبر عمّها حمزة بن عبد المطَّلب كلّ جمعة وتصلّي وتبكي[(٢)].

وإنَّ من أبرز العبر كما أشرنا في ما سبق في زيارة القبور، أنَّها توفّر للزائر أجواء يستوحي منها ذكر الموت والزهد في الدنيا والعمل للآخرة والإقبال على الله، فيشدّ عزيمته لمواصلة درب الصلحاء والأولياء، فالزائر يستلهم من منهجهم الوعي المحفّز لمواصلة ركب الإيمان.

مرحلة إيقاظ الفطرة وإنارة البصيرة

ومن هذه البراهين والحجج يقول الأستاذ رامي عبد الغني: (عرفت أنَّ أدلّة الشيعة لم تنشأ من حالة عاطفية أو هوى أو تقليد، وإنَّما فرضتها عليهم الأدلّة القاطعة التي ينبغي أن يتعبَّد بها المسلم.

وإنَّ زيارة قبور الصلحاء هي كالحجّ يجتمع فيه المسلمون على الخير والهدى والترابط والتعارف والتآلف، فيمجّدوا عظماءهم ويحيوا بذكراهم القيم والمبادئ والأفكار التي كانوا يحملونها).

ويضيف: (وبمرور الزمان واصلت أبحاثي لمعرفة المزيد حول مذهب أهل البيت

---

(١) مسند أحمد ٣: ٣٨؛ مستدرك الحاكم ١: ٣٧٥؛ سنن البيهقي ٤: ٧٧.

(٢) أنظر: سنن البيهقي ٤: ٧٨؛ مستدرك الحاكم ١: ٣٧٧، وقال الحاكم معقّباً على الحديث: (هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات...)، وقال في آخر كلامه: (وليعلم الشحيح بذنبه أنَّها سُنّة مسنونة).

عليهم السلام، وكنت أتباحث مع أحد أقربائي في هذا المجال، فكنّا نأخذ مفردة مفـردة من عقائد الشيعة ونـضعها على طاولـة البحـث، وكـان يحفّـز أحـدنا الآخـر للمطالعـة والتتبّع حتَّى اكتملت في أذهاننا الـصورة الكاملـة لمـذهب أهـل البيـت علـيهم الـسلام، فالتجأنا إلى حصنهم المنيع بعدما وجدناه رصيناً من جميع الأبعاد فتحصَّنا به وآوينا إليه، وكان استبصاري عام (١٩٨٧م) كما استبصر البعض من أسرتي وجملة من غـير أسـرتي على يدي بفضل من الله، وببركة الزاد الثقافي الذي تلقَّيته من نبـع معـارف أهـل البيـت عليهم السلام).



(١٦)

(سكينة)

(مسيحية/ فرنسا)

تقول (سكينة) بأنَّها في البداية كانت مسيحية كاثوليكية ولكنَّها لم ترتح لهذا المذهب (كاثوليك)، ولم يجب أحد عن الأسئلة الكثيرة التي كانت تدور في ذهنها، فانتقلت إلى (الإنجيلية) ولم تستفد أيضاً، فما زال عندها أسئلة كثيرة من دون إجابة، وأخذت تتمنّى أن تهتدي إلى العقائد الحقّة التي لا تترك استفهامات لديها معطَّلة من دون جواب، وأخذت تبحث في المكتبات.

تأثّرها بواقعة كربلاء

وفي تلك المدّة كانت هي طالبة تدرس في الجامعة وكان معها في الجامعة نفسها شاب أفريقي (سوداني) يحمل كتاباً عن حادثة كربلاء باللغة الفرنسية، وقد شدَّها العنوان بحسب ما قالت فطلبت الكتاب من الشاب لتقرأه وتطَّلع عليه، تقول:

(أخذت الكتاب وسهرت تلك الليلة على قراءته وقد تفاعلت مع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وبكيت كثيراً، لم أبك في حياتي كلّها كما بكيت تلك الليلة، وتوصَّلت إلى أنَّ هذا الشخص لا يضحّي بهذه التضحية العظيمة إلاَّ لأنَّه شخص عظيم ويحمل مبدأً عظيماً وعقائد عظيمة وحقّة، وإلاَّ لم تستحقّ كلّ هذه التضحية، وأنا أقرأ أحسست بأنَّه مسدَّد من قبل الله، فقرَّرت الاطلاع على عقائد هذا الشخص

(الإمام الحسين عليه السلام).

فقد شدَّتني هذه الحادثة كثيراً وزلزلتني من الداخل حتَّى عرفت بأنَّه ينتمي إلى دين الإسلام، فبحثت عن كتب تتكلَّم عن الإسلام والحسين عليه السلام، فوجدتها ووجدت أنَّها تجيب عن كثير من أسئلة كانت حائرة لدي، فانفتح قلبي لهذه العقائد السمحة وارتحت كثيراً لهذا المذهب، فدخلت في الإسلام وأبدلت اسمي إلى (سكينة) نسبة إلى سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام، وشعرت بسعادة عظيمة لم أكن أشعر بها في ما مضى، وقرَّرت أن أتحجَّب لأنَّه من واجبات الفتاة المسلمة.

المضايقات بعد الاستبصار

لكن عندما رآني أهلي أُصلّي وقد تحجَّبت تضايقوا كثيراً وطلبوا منّي أن أترك كلّ هذا ولكنّي رفضت طبعاً وتكلَّمت معهم بأسلوب ليّن فلم يستمعوا إليَّ، وكانت تلك الأيّام توافق يوم عيد ميلادي وقد اعتدنا أن نعمل حفلة صاخبة في كلّ سنة ندعو الأهل والأصدقاء، إلاَّ أني هذه المرَّة أفهمت أُمّي بأنّي لا أريد هذه الحفلة، فهي عبث وستحدث فيها أشياء يحرّمها ديني الجديد، فما كان من أُمّي إلاَّ أن غضبت، وأخذوا يضيّقون عليَّ في حياتي حتَّى أرجع عن ديني، إلاَّ أنّي صمدت، ثمّ قرَّروا طردي من البيت وحرماني من مصروفات الجامعة للتضييق عليّ، فخرجت من البيت واستأجرت غرفة صغيرة وأخذت أدرس وأعمل لأوفّر مصاريف الجامعة.

وكنت أزور أهلي بين مدّة وأخرى لأطمئن عليهم، ولأنَّ الإسلام يدعو إلى صلة الرحم، فأعجبهم ذلك كثيراً. فقرَّروا إرجاعي للمنزل وتركي وشأني ما دمت سعيدة، وها أنا الآن أزور ثامن الأئمّة عليهم السلام، وأنا سعيدة جدّاً بهذا الدين.

والحمد الله على نعمة الإسلام ونعمة الولاية).

(١٧)

صائب عبد الحميد

(حنفي/ العراق)

من مواليد العراق، ولد عام (١٩٥٦م) بمدينة (عانة)، ترعرع في أجواء فرضت عليه العقيدة الإسلاميّة على وفق مذهب أهل السُنّة والجماعة، واصل دراسته الأكاديمية حتَّى نال شهادة الليسانس في فرع الفيزياء، ثمّ توجَّه إلى مهمّة التدريس في هذا الاختصاص وباشر عمله في إحدى المدارس الثانوية.

شاءت الأقدار الإلهية أن توفّر له الأجواء المناسبة لارتقاء المستوى الفكري، فانتهز الأستاذ هذه الأجواء وجعلها سبيلاً لنيل أرقى مراتب الوعي الديني فوسَّع آفاق رؤاه، فكانت النتيجة أن أحاط علماً بقضايا قلبت له الموازين التي كان عليها فيما سبق، ثمّ لم تمض مدّة من الزمن إلاَّ وألفى نفسه مولعاً بمذهب أهل البيت عليهم السلام، فاتَّخذ قراره النهائي ولم تأخذه في الله لومة لائم حتَّى أعلن انتماءه لمذهب عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

التأثّر بالحسين عليه السلام

يقول الأستاذ (صائب عبد الحميد) حول المنطلق الذي دفعة لتغيير انتمائه المذهبي: (بداية لم أقصدها أنا، وإنَّما هي التي قصدتني، فوفَّقني الله لحسن استقبالها، وأخذ بيدي إلى عتباتها.

ذلك كان يوم مَلَكَ على مسامعي صوت شجي، ربَّما كان قد طرقها من قبل كثيراً فأغضت عنه، ومالت بطرفها، وأسدلت دونه ستائرها، وأعصت عليه.

حتَّى دعاني هذه المرَّة وأنا في خلوة، أو شبهها، فاهتزَّت له مشاعري ومنحته كلّ إحساسي وعواطفي، من حيث أدري ولا أدري...

فجذبني إليه.. تتبادلني أمواجه الهادرة.. وألسنة لهيبه المتطايرة.. حتَّى ذابت كبريائي بين يديه، وانصاع له عتوّي عليه..

فرحت معه، أعيش الأحداث، وأذوب فيها.. أسير مع الراحلين، وأحطّ إذا حطّوا، وأتابع الخُطى حتَّى النهاية.

تلك كانت قصَّة مقتل الإمام الحسين عليه السلام بصوت الشيخ عبد الزهراء الكعبي، في العاشر من محرَّم الحرام من (١٤٠٢) للهجرة.

فأصغيت عنده أيّما إصغاء لنداءات الإمام الحسين.. وترتعد جوارحي.. لبيك، يا سيّدي يا بن رسول الله.

وتنطلق في ذهني أسئلة لا تكاد تنتهي، وكأنَّه نور كان محجوباً، فانبعث يشقّ الفضاء الرحيب دفعة واحدة.

وتعود بي الأفكار إلى سنين خلت، وأنا أدرج على سلَّم الدرس، لم أشذّ فيها عن معلّمي، فقلت: ليتني سمعت إذ ذاك ما يروي ظمأي...).

ثمّ يضيف الأستاذ صائب: (فاستضاءت الدنيا كلّها من حولي، وبدت لي شاخصة معالم الطريق.. فرأيت الحكمة في أن أسلك الطريق من أوّله، وابتدئ المسيرة بالخطوة الأولى لتتلوها خطى ثابتة على يقين وبصيرة...).

ما بعد مرحلة اليقظة

كانت هذه مرحلة اليقظة التي فتحت بصيرة الأستاذ على آفاق رحبة، حتَّى ألقى بعدها بنظره الثاقب وبذهنيته الموهوبة والمتفتّحة نظرة عابرة إلى الساحة الإسلاميّة، فوجدها ساحة ممزَّقة تعيش حالة الشتات والاختلاف، فثار ضميره الحيّ قائلاً: (ما أجمل أن نقف بكلّ حياد وتعقّل على أسباب الخلاف الحاصل بين المسلمين ودواعيه، مدركين أنَّ المهمّ في الأمر هو ظهور النهج الإسلامي الأصيل الحنيف وليس غلبة هذا الاتّجاه أو ذاك).

ثمّ بادر الأستاذ صائب إلى شدّ الرحال ليخوض غمار بحث اكتشاف الحقيقة، واستمرَّت رحلته المديد من الزمن، فكانت ثمرتها الحصول على تجارب عديدة كما كانت مكلَّلة بالتوفيق والنجاح بالرغم من إحاطتها بالكثير من المشاكل والصعوبات.

يقول الأستاذ صائب: (قد لا تكون التجارب في ميدان العقيدة عزيزة، فربَّما خاضها الكثيرون من أبناء كلّ جيل، ولكن انتصار اليقين والحقّ المجرَّد عن عاطفة هو العزيز في تلك التجارب).

التفاته إلى خطورة التعصّب

يرى الأستاذ أنَّ التعصّب هو من الموانع والعقبات التي تعتري طريق الباحث لتصدّه عن الحقّ، وأنَّ العصبية تمنح كثيراً من المفاهيم هالة قدسية، لكنَّها سراب لا

حقيقة لها، وكم صدَّت العصبية فحولاً عن مواصلة الطريق نحو الحقيقة الثابتة.

ولكن حيث كان الأستاذ صائب عدوّاً للعصبية حيثما وجدها، فلم يترك أثرها السلبي عليه في سيره نحو الحقيقة.

لكن كان ثَمَّة نوع آخر من العاطفة يشدّه إلى الوراء وهو الوفاء للذكريات، لكن الأستاذ بعد تركه للتقليد الأعمى وارتقاء مستوى وعيه في البحث والتتبّع والاستقصاء يقول: (آخيت ذكرياتي الماضية وأحسنت صحبتها حتَّى النهاية).

وذلك لأنَّه كان يعدُّ أنَّ الماضي كان مرحلة زاخرة بعلامات الاستفهام التي منها تمكَّن من الوصول إلى الحقيقة في نهاية المطاف.

ثمّ لم يكتف الأستاذ بعد إلمامه بالحقائق أن يكون هو الوحيد المنتفع منها، فبادر إلى التأليف والنشر لتعمّ الفائدة الجميع.

مؤلّفاته

١ - **منهج في الانتماء المذهبي**، صدر عن مؤسسة قائم آل محمّد عليه السلام، والتي تمّ تأسيسها بإشراف سماحة الشيخ فارس الحسون، ثمّ صدر تباعاً عن عدَّة مراكز، آخرها عن مركز الغدير في طبعته الخامسة.

٢ - **ابن تيمية، حياته، عقائده**، صدر في طبعته الثانية عن مركز الغدير (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٣ - **تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي** (مسار الإسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب)، صدر عن مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة سنة (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٤ - **حوار في العمق من أجل التقريب الحقيقي**، صدر عن مركز الغدير/ بيروت.

٥ ـ **تاريخ السُنّة النبوية** (ثلاثون عاماً بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم)، صدر عن مركز الغدير سنة (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٦ ـ **ابن تيمية في صورته الحقيقة،** صدر عام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) عن مركز الغدير/ بيروت.

٧ ـ **الزيارة والتوسّل،** صدر عن مركز الرسالة/ قم سنة (١٤٢١هـ).

٨ ـ **الوهّابية في صورتها الحقيقية،** صدر عام (١٤١٥هـ) عن مركز الغدير للدراسات والنشر/ بيروت/ لبنان.

٩ ـ **خلافة الرسول بين الشورى والنصّ،** أصدره مركز الرسالة عام (١٤١٧هـ) ضمن سلسلة المعارف الإسلاميّة.

مقالاته

١ ـ **هويّة التاريخ الإسلامي، عيون التاريخ، الاتّجاه وأجواء التدوين،** نشرت في مجلَّة تراثنا ـ تصدر عن مؤسسة آل البيت لإحياء التراث في قم ـ العددان (٣٨ و٣٩/ السنة العاشرة/ ١٤١٥هـ).

٢ ـ **أساس نظام الحكم في الإسلام، بين الواقع والتشريع، رؤية في التراث الفكري،** نشرت في مجلَّة تراثنا على قسمين: القسم الأوّل في العدد المزدوج (٤١ و٤٢)، والقسم الثاني في العدد المزدوج التالي (٤٣ و٤٤)/ السنة الحادية عشر/ ١٤١٦هـ).

٣ ـ **تاريخ السُنّة النبوية** (ثلاثون عاماً بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم)، نشرت في مجلَّة تراثنا في العدد المزدوج (٤٥ و٤٦/ السنة الثانية عشر/ ١٤١٧هـ).

٤ ـ **معجم مؤرّخي الشيعة حتَّى نهاية القرن السابع الهجري،** نشرته مجلَّة تراثنا

في ستّة أقسام/ الأعداد (٥٦ ـ ٦٢)، (١٤١٩ ـ ١٤٢١هـ).

٥ ـ **التدوين التاريخي عند المسلمين، نشأته وتطوّره حتَّى نهاية القرن الرابع الهجري،** نشرت في مجلَّة الفكر الإسلامي التي تصدر عن مجمع الفكر الإسلامي/ العدد (١٨ و١٩/ السنة الخامسة/ ١٤١٨هـ).

٦ ـ **الإمام محمّد باقر الصدر مفسّراً،** نشرت في مجلَّة قضايا إسلاميّة التي تصدر عن مؤسسة الرسول الأعظم/ العدد الثاني/ (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٧ ـ **آفاق الاجتهاد المعاصر لدى بعض العلماء المسلمين،** نشرته مجلَّة قضايا إسلاميّة/ العدد الرابع/ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٨ ـ **الوحدة الإسلاميّة والمسار الأحدب،** نشرت في مجلَّة رسالة التقريب التي تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة/ العدد السابع/ الدورة الثانية ذو القعدة ـ ذو الحجّة الحرام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٩ ـ **الفِرَق والمذاهب** (تحقيق في النشأة والمعالم)، نشرت على قسمين في مجلَّة المنهاج التي تصدر عن مركز الغدير العدد السادس والعدد السابع/ السنة الثانية صيف وخريف (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

١٠ ـ **مشروع الإحياء الديني عند الإمام الخميني** (آفاق ومعالم)، نشرت في مجلَّة المنهاج/ العدد الرابع عشر/ السنة الرابعة صيف (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

١١ ـ **التفسير الإسلامي للتاريخ ودور الشهيد الصدر فيه،** نشرت في مجلَّة المنهاج/ العدد السابع عشر/ السنة الخامسة ربيع (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٢ ـ **المسعودي المؤرِّخ إمام المؤرّخين وفلاسفة التاريخ،** نشرت في مجلَّة المنهاج/ العدد التاسع عشر/ السنة الخامسة خريف (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

ندوات

١ ـ **السلطان وكتابة التاريخ،** ندوة ثقافية عقدتها مجلَّة المنهاج/ العدد الرابع شتاء (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) بتوجيه الأسئلة في هذا المضمون وإجابة الباحثين وأصحاب الأقلام عنها.

٢ ـ **أثر الاتّجاهات الفكرية والسياسية في كتابة التاريخ الإسلامي،** ندوة ثقافية عقدتها مجلَّة المنهاج/ العدد الخامس ربيع (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

وقفة مع كتابه: منهج في الانتماء المذهبي

يتعرَّض الإنسان في حياته إلى تجارب عديدة ومواقف متباينة تؤدّي به إلى النضوج في الفكر وارتسام معالم شخصيته الاجتماعية وتزوّده هذه التجارب بخزين من المعرفة يستطيع الإنسان الاستفادة منها في التعامل مع مفردات الحياة اليومية.

وطبيعة الإنسان أنَّه في حالة تفكير دائم وتعقّل مستمرّ، ولذلك نراه في كثير من الأحيان يتَّخذ آراءً معيَّنة وعقائد خاصّة يدافع عنها بقوّة، ثمّ بعد مدّة من الزمن نراه قد تغيَّرت أفكاره وتبدَّلت قناعاته وأصبح يتمسَّك بأفكار أخرى قد تناقض الأفكار الأولى أو تتضاد معها بشدَّة.

ولا يجب الاستغراب كثيراً من ذلك؛ فالفكر البشري في حيوية ونشاط دائمين ولا تراه يرسو على شاطئ واحد أو يثبت على قرار معيَّن، ويرى البعض أنَّ هذا من ملامح الضعف البشري، وأنَّ الثبات في الآراء هو من صفات الرجال الأقوياء وأصحاب المبادئ الذين لا تتغيَّر آراءهم بتغيّر أحوال الزمان وتقلّب أوضاع المجتمع، وقد يكون الأمر كذلك للأوحدي من الناس الذي اختار آراءه من البداية على وفق منطق صحيح ودراسة عميقة وشيَّد بناء أفكاره على أساس من البحث متين، ولكن

معظم الناس تتغيَّر آراءهم وتتبدَّل قناعاتهم ولا يجب عدّ ذلك ضعفاً، بل هو في كثير من الأحيان من معالم القوّة في الشخصية التي تطرح القديم إذا كان بالياً وتختار الجديد إذا كانت تراه جديراً بالاختيار والاعتناق، وإذا انتقلنا إلى دائرة معيَّنة من دوائر الفكر العامّة وهي دائرة الدين والعقيدة والمذهب، فإنَّنا نرى أنَّ معظم الناس في هذا المجال يقلّدون آباءهم ومجتمعهم في أكثر الأحيان، على الرغم من الطبيعة الفكرية الخصبة لهذه الدائرة التي قد تتَّسع لتشمل معظم مجالات الحياة إن لم يكن كلّها على ما يقول به أصحاب الفكر الديني الشمولي، وذلك يعود في كثير من الأحوال إلى أنَّ العقائد الدينية تغرس في النفوس في مدّة الطفولة قبل نمو القوّة العاقلة في النفس الإنسانية، فتألفها هذه النفوس وتأنس بها ولا ترضى بالبديل عنها بسهولة، وقديماً قيل: التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر.

تجربة الأستاذ صائب

والكاتب الأستاذ صائب عبد الحميد مرَّ في تجربة لها خصوصيتها ومعالمها، حَدَت به إلى أن ينتقل من مذهب إلى مذهب، حيث ترك ما تعوَّد عليه وتعلَّمه في الصغر، وتعامل مع ذكريات أيّام شبابه ذات الصفاء والنقاء الخاصّ بها والتي يصعب على المرء أن يتنكَّر لها ولا يكون وفيّاً معها، تعامل معها بتعقّل ولم يسمح للعاطفة أن تنفرد وحدها في هذا الميدان حتَّى لا يكون وفاؤه ذا أثر عكسي فلا يعود وفاءً.

وحاول الأستاذ أن يأخذ من هذه التجربة الفوائد والعبر وينشرها في هذا الكتاب، لتكون نبراساً للذين يتعرَّضون لمثل هذه التجارب وهم ليسوا بالقليل هذه الأيّام التي تقاربت فيها المسافات وتداخلت فيها الحدود والمساحات، فضلاً عن فائدتها لعموم الناس.

ملامح منهجه في هذا الكتاب

بما أنَّ موضوع الكتاب حسّاس وذو طبيعة خاصّة فإنَّ المؤلّف اختار منهجاً محكماً سار فيه وعبَّر عنه بما يخدم جميع المسلمين لاعتقاده بأهمّية الوحدة الإسلاميّة، حيث يراها قضيّة رسالية أساسية وليست دعوى فوقية يراد منها التزلّف والتملّق.

وقد عرض في هذا المنهج أهمّية التزام الروح الموضوعية والعلمية في علاج المسائل العقائدية التي يعرف الجميع أنَّ لها طبيعتها الخاصّة بها، حيث تمتزج العقائد بالنفوس بقوّة قد تصل إلى درجة الاتّحاد.

كما حذَّر من خطورة العصبية الممقوتة والتزامها الذي يدفع بالإنسان إلى الانحراف عن المحجّة البيضاء والشريعة المحمّدية السمحاء، وتُباعد بين الإخوة في الدين الواحد باتّخاذ المواقف المعاندة لما يتَّخذه الطرف الآخر وإن كان في هذه المواقف تكبّراً على الحقّ وميلاً عن جادّة الصواب.

كما لاحظ أنَّ من طبيعة النفس البشرية حبّ التفوّق والانتصار على الأقران والخصوم والتي تنفر وتخاف من الهزيمة بأيّ شكل من الأشكال، وهذا (الخوف من الهزيمة) يدفع بالإنسان إلى اتّخاذ الحجج والسبل التي تدفع عنه ألم هذا الخوف، ولو كان بالتوجيه للعقائد التي تحمّلها النفس توجيهاً يميل عن الحقّ ولا ينفع يوم الحشر والحساب والميزان.

لذا نراه قد نوَّه بأهمّية التفكير الحرّ الذي يتغلَّب على هواجس النفس ويسير بها مستقيمة على جادّة الشرع.

ولاحظ أنَّ هذا التفكير الحرّ من الأهمّية بمكان بحيث لا يمكن التخلّي عنه، لأنَّ المسؤولية الشرعية تدفع إليه وتشكّل الوقود المحرّك له لتلمس الصواب والحقّ والحقيقة،

على أنَّ هذا التفكير الحرّ يجب أن لا يتعارض مع الوحدة الإسلاميّة الـتي يجـب أن تـبنى وترتفع على أساس من الحقائق لا الأوهام.

والوحدة ليست التصفيق لجميع الفِرَق والمذاهب وتقبـل عقائـدها علـى علاَّتهـا، لأنَّ مثل هذه الوحدة تحمل بذور الاختلاف وأسـباب الافتـراق معهـا ومـن ثَـمَّ تكـون سبباً للاختلاف ولا تعود وحدةً، كما حصل في تاريخ المسلمين والتي كان نتاجها خطيراً في عقائد المسلمين وواقعهم، حيث كانت فكرة الجماعـة والوحـدة تتمثّـل في قبـول آراء الصحابة والسلف الذين لا يجوز انتقادهم، لأنَّهم مشاعل الهداية وإن تحاربوا فيما بينهم وسفك بعضهم دم البعض الآخر وافترقوا عن الاعتصام بحبل الله فِرَقاً عديدة واتَّخذوا عقائد مختلفة!

والطريق الواقعي للوحدة الإسلاميّة هو تـأليف القلـوب الـذي دعـا إليـه القـرآن بإزالة الحواجز النفسية بين أبناء المذاهب المختلفة وأنَّ الاختلاف لا يفسد للودّ قضيّة، أو يكون ذلـك بالتعامـل الأخلاقـي العـالي بـين أبنـاء الإسـلام فـضلاً عـن رعايـة الحقـوق الأساسية التي يوجبها الإسلام لكلّ مسلم، وأن يعذر المسلم أخيه المـسلم عـن اختيـاره لمذهبه الذي أتاه عن طريق آبائه، وأن يحتمل في المذاهب الأخرى الصحّة والقبول، ولا يُعدّ مذهبه هو الحقّ المطلق وكلّ مذاهب الآخرين هي الباطل المطلق.

مع الحسين عليه السلام كانت البداية

يستمع الأستاذ صائب إلى قصَّة مقتل الحسين في خلوة.. بكلّ مسامعه، فارتعدت جوارحه، وفاضت دمعته، وخنقتـه العـبرات، وغلـى منـه الـدم، وهتـف ملبّيـاً لنـداءات الحسين عليه السلام: (لبّيك يا ابن رسول الله) وانطلق بإمامة الحسين عليه الـسلام مـع الإسلام المحمّدي من جديد.

سار على الدرب خطوات فتيقَّن من الأمر وملأ نـور الحسين فـضاء قلبـه وعقلـه وعرف أنَّ الإسلام الحقّ هو عند أهل البيت عليهم السلام ولا غير.

فسجَّ في بحر فضائلهم، وصـار يستقـصي مواضـع رضـاهم، فنـافح عـن حقّهـم وأبان باطل ظالميهم، ودعا المسلمين إليهم لينجو بتمسّكهم بهم وتـرك أهـل الجفـاء مـن الظالمين وأهل الدهاء.

الهالة المصطنعة أم العصبية والكبرياء

يوضّح الكاتب هنا ما يحسّه كلّ أبناء التسنّن من إحساس تجاه الـصحابة الـذين ورثوه عن آبائهم وترسَّخ في نفوسهم، بحيث صار يمنعهم عن قبول الحقائق الواضـحة، خصوصاً إذا اجتمعت الهالة المـصطنعة للـصحابة مـع العـصبية للمـذهب الـتي تمنـع عـن قبول الحـقّ والحكـم الـشرعي، ثمّ يـصوّر المعانـاة والوسـاوس الـتي يمـرُّ بهـا طالـب الحـقّ للوصول إليه، يقول:

حتَّى إذا علموا أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كتب له كتاباً في مرضـه الأخير لا يمكن بعـد نقـضه، رفعـوا أصـواتهم فـوق صـوته، وقـالوا: (إنَّـه يهجـر! حـسبنا كتـاب الله!)[1].

والله إنَّها لكارثة لستُ أدري كيف نستطيع أن نُغضي عندها أسماعنا!

أم كيف نغفل مدى غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، وغـضب الله عندها!

أليس من حقّنا ـ بل الواجب الذي يمليه إيماننا بـالله ورسـوله ودينـه علينـا ـ أن

(١) راجع واقعة رزيّة الخميس في: مسند أحمد ١: ٣٢٥؛ صحيح البخـاري ٥: ١٣٨، و٧: ٩؛ صـحيح مـسلم ٥: ٧٦؛ سنن النسائي ٣: ٤٣٣؛ صحيح ابن حبّان ١٤: ٥٦٢؛ وغيرها من المصادر.

نغضب لغضب رسول الله؟

أم إنَّ علينا أن نعتصر قلوبنا، ونقطب جباهنا، نفرة من إثارة هذه الأحاديث، لا لشيء إلاَّ لأنَّها تمسّ بمعتقدات نشأنا عليها!؟

لقد شربناها متعطّشين، وارتشفناها والهين، ولكنَّها كانت مشبعةً بتلك الهالة المصطنعة، التي أوصدت علينا منافذ الحرّية.

إنّي - يا صديقي - قد ورثت مثلكم تلك القناعات، ولم أكن آلف سواها، بل إنّي ممَّا يخالفها لحذر نفور.

ولست أنسى كم كنّا نحاول الغوص في أعماقها، حتَّى إذا تغلغلنا يسيراً، اصطدمنا بذلك الحاجز الموهوم، لنرتدّ على أدبارنا القهقرى!

فكم مرَّةً بلغنا - والحرقة تكوي قلوبنا، والدمعة لها بريق في أعيننا - أن نقول: إنَّ الإمام علياً كان مظلوماً؟

لقد قلناها كلّنا غير مرَّة، ولكنَّنا لم نتمكَّن - لما في أنفسنا من حواجز - أن نستغرق النظر، لنعرف مسؤوليّاتنا تجاه ذلك الظلم، وتلك الظلامة!

لقد أنستنا تلك الحواجز أنَّنا مؤمنون، علينا أن نتحرّى الحقّ فنتَّبعه، ونلتزم الموقف السليم الذي ينجو بنا يوم الموقف العسير!

ورجائي أن لا أكون مؤاخذاً عندك إن قلتها، فهي حقيقةٌ حاكمة مهما حاولنا التنكّر لها، إنَّها العصبية والكبرياء، هي التي تحجبنا عن تبنّي الموقف الشرعي أينما وجدناه...

وإنّي أعترف على نفسي أن لو لم تتداركني رحمة ربّي وتوفيقاته لصرعتني تلك النفس (المعاندة)، ولقد كادت، ونجحت مرَّةً، ولكن أعانني الله عليها.

فبعد أن أمضيتُ الشهور في الدرس، والتنقيب، والمناظرة، والبحث، وبلغت اليقين الكامل، واستجمعت قواي في ليلة ختمتُ فيها مجلساً في بحث متشعّب عميق في هذه الموضوعات، فخرجت منه وأنا أشدُّ يقيناً، وأثبت حجةً، عازماً أن أبدأ الفجر الجديد بالصلاة على وفق مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وبينما كنت أعيش نشوة الانتصار، وحلاوة اليقين، إذ صادف أن اجتمعتُ مع ثُلَّة من أبناء الشيعة فتناولنا أطراف الحديث، فلمَّا رأيتهم يتحدَّثون وملؤهم الفخر بمذهبهم ثارت فيَّ تلك النفس - المعاندة - من جديد وأبت أن توافقهم! فخضت الحديث معهم أُغالط نفسي على علم وإصرار، ومضيت هكذا حتَّى سئمت نفسي، واضطربت في داخلي، ولكنّي لست مستعدّاً للانقياد لهم.

فعدت متحيّراً من نفسي وما فيها، ونمتُ مصروعاً ثقيلاً، وعدت أقضي شهوراً أخرى مضطرباً، بين يقين عرفته واعتقدته، وعناد وكبرياء لهما جذور قديمة!

وبقيت هكذا، أصطنع العلل والأعذار، وأجعلها شرعيةً طبعاً، ولكنَّها كانت كبيوتات الصغار، يشيّدونها على الرمال، فتنقشع وتزول آثارها بعد ساعة.

حتَّى أجليت ما في صدري بدموع الليل، وزفرات الخلوة، أبكي حبّاً وشوقاً إلى سادة الخلق، وأنوار الهدى، وأبكي على نفسي وغلبتها.

حتَّى أحسست وأنا في هدأة الليل كأنَّ قطرةً من تلك الدموع قد أتت على آخر عرق من عروق تلك الكبرياء، فاقتلعتها من محلّها، وسقت مكانها بذرةً، بذرة الطاعة والولاء، فانتفضت مكبلاً أُطلق لتوّه، خفيف الحمل كطائر صغير، مستبشراً كضائع أشرف فجأة على أحبَّته وذويه... وأفقت مطمئناً في أوسط سفينة النجاة، أنهل من منهلها العذب الصافي، وها أنا أُحدّثك من ظلال ربيعها الزاهر.

لماذا الإعراض عن فقه أهل البيت عليهم السلام؟

هل كان غيرهم من أئمّة الفقه أعلم منهم؟

لقد كان رائد مدرسة أهل البيت في الفقه الإمام جعفر الصادق عليهم السلام وقد عاصره من أئمّة الفقه الذين اعتمد فقههم، وأوقف العمل على فتاويهم: أبو حنيفة، ومالك بن أنس، ثمّ تلاهم الشافعي، وأحمد بن حنبل، فهل كان معاصروه، أو التابعون له أعلم منه وأفضل؟

(قال ابن أبي حاتم: سمعت أبا حاتم يقول: جعفر لا يُسئل عن مثله)، وقال: (سمعت أبا زُرعة، وسُئل عن [حديث] جعفر بن محمّد عن أبيه، وسهيل عن أبيه، والعلاء عن أبيه، أيّها أصحّ؟

قال: لا يقرن جعفر إلى هؤلاء)[1].

(وسُئل أبو حنيفة: من أفقه مَن رأيت؟

قال: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمّد، لمّا أقدمه المنصور الحيرةَ بعث إليَّ، فقال: يا أبا حنيفة، إنَّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد! فهيّئ له من مسائلك الصعاب.

فهيَّأت له أربعين مسألةً، ثمّ أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلمَّا بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر...، إلى أن قال: ثمّ قال [أبو جعفر]: هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله، فابتدأت أسأله، فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا. فربَّما تابَعنا، وربَّما تابع أهل المدينة، وربَّما خالفنا جميعاً، حتَّى أتيت على أربعين مسألةً ما أخرم منها مسألةً.

---

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء ٦: ٢٥٧.

ثمّ قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أنَّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟)[(١)].

فلماذا إذن لا يؤخذ الفقه من أفضل الناس وأعلمهم، وأعلمهم باختلاف الناس؟

دع عنك الخلاف في أمر الإمامة، وإن بايعوا من بايعوا ووالوا من والوا، ولكن هذه مسائل الفقه، والحلال والحرام، فما الذي يمنع أن نأخذها من أعلم الناس؟!

أليست السياسة هي التي صنعت هذا الجفاء؟!

أم يقال: إنَّ الشيعة قد كذبوا على أئمّة أهل البيت؟!

تعالَ نواجه هذه الدعوى بالسؤال الآتي:

إذا كانت هذه الطائفة من المسلمين قد كذبت على أئمّة أهل البيت، وابتدعت لها طريقاً نسبته إليهم، فما بال أصحاب الدعوى من طلاّب الحقّ لم يأخذوا الصحيح عنهم عليهم السلام ويتمسَّكوا به ويحفظوه لنا لنعرف فقه أهل بيت نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم؟!

إن كانوا يتحرّون الحقّ، ويوالون أهله، فما بالهم لم يأخذوا دينهم - بأصوله وفروعه - عن أئمّة الهدى، وزعماء الدين، وروّاد العلم، والفقه هو الشرف، والتقوى؟!

لماذا تركوهم وأعرضوا عنهم، وراحوا يلتمسون العقائد والأصول والفروع وكلّ شيء ممَّن دونهم بلا ريب؟!

وليس هذا فقط، بل إذا رأوا من يحفظ حديثهم عليهم السلام قالوا: هذا رافضي. وتركوه!

---

(١) أنظر: سير أعلام النبلاء ٦: ٢٥٧ و٢٥٨؛ تهذيب الكمال ٥: ٧٩ و٨٠.

هذه هي حقيقة تلك الدعوى، فلو صدقوا فيما زعموا لاتَّبعوهم وهم يشهدون لهم بالفضل.

فلماذا هذا الإعراض عنهم، والتمسّك بمن هو دونهم في الدرجات؟!

أكتب هذه الكلمات وتتردَّد في ذهني مقولة أمير المؤمنين عليه السلام، التي يقول فيها:

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ!؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ!؟ وَالأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ!؟ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ!؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلاَمُ الدِّين، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ»[1].

* * *

(١) نهج البلاغة ١: ١٥٣ و١٥٤/ الخطبة ٨٧.

(١٨)

صادق حسين النقوي

(حنفي/ كشمير)

ولد عام (١٩٦٩م) بمنطقة (مظفَّر آباد) في كشمير الحرّة[١]، نشأ في أوساط عائلة هاشمية النسب تعتنق المذهب الحنفي.

تشرَّف باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام (١٩٩٠م) في بلاده أثر مناقشات ودراسات مكثَّفة ومتواصلة.

حقيقة التشيّع

يقول السيّد صادق: (كان يقطن في منطقتنا الكثير من السادة المعتنقين للمذهب الحنفي، والعجيب أنَّ بعض ممارساتنا وطقوسنا الدينية مشابهة إلى حدّ ما لطقوس الشيعة الإمامية.

ومنطقتنا متميّزة ببغضها لمعاوية بن أبي سفيان ويزيد ولآل أميّة بصورة عامّة، لأنّنا كنّا محيطين في ضوء دراستنا للتاريخ الإسلامي بالظلم والجور الذي ارتكبه هؤلاء بحقّ عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذرّيته بنحو عام، كما نحيي مراسم العزاء

(١) كشمير: تقع في أقصى غرب شبه القارّة الهندية بين الهند وباكستان، تحيط بها الصين من الشمال والشرق، ثلثها يخضع لباكستان وتسمّى (كشمير الحرّة) والباقي للهند، يبلغ عدد سكّانها (٩) ملايين شخص (٦) ملايين في القسم الهندي و(٣) في القسم الباكستاني، يشكّل المسلمون نسبة (٧٥%) والباقي من الهندوس والسيخ.

ونقيم المآتم في شهر محرَّم الحرام إحياءً لذكرى مظلومية سيّد الشهداء وأهل بيته في كربلاء، وكنّا نعتقد أنّنا من شيعة أهل البيت عليهم السلام ولا توجد طائفة أخرى تتفاعل مع أهل البيت عليهم السلام وتتودَّد إليهم كما نحن عليه!

وبهذه الرؤية وعلى هذا النهج والمعتقد أمضيت سنوات من عمري وأنا أعدّ نفسي سائراً على نهج مذهب أهل البيت عليهم السلام، حتَّى دخلت الجامعة فتعرَّفت خلال الدراسة على الشيعة، فأعجبت بهم لسعة ثقافتهم الدينية وارتفاع مستواهم الفكري، وتقرَّبت إليهم حتَّى أصبحت لي علاقة ودّية مع اثنين منهم، فكنت أجالسهم وأتحدَّث معهم في شتّى المجالات العلمية والثقافية، حتَّى دار بيني وبينهم ذات يوم حوار حول مسألة المذاهب والأديان، فأخبرتهما بأنَّني شيعي - بوصفي سيداً هاشمياً -.

فقالا لي: كيف تكون شيعياً ونحن لا نرى ممارساتك العبادية على وفق المذهب الجعفري؟!

فتعجَّبت من كلامهما! وقلت: ما هو منهج الشيعة في العبادة غير ما أنا عليه؟

فبدأ زميلاي يحدّثاني عن أصول مذهب الشيعة ومعالمه وخطوطه العريضة، وذكرا لي الظروف القاسية والمحن الصعبة التي مرَّ بها هذا المذهب وأتباعه.

فاستغربت من ذلك! وعرفت ذلك الحين مدى غفلتي عن الواقع والحقيقة، وقرَّرت بعد ذلك أن أبذل قصارى جهدي للحصول على معتقد يرتكز على الدليل والبرهان فأعتنقه عن علم ودراية، ولئلاَّ أكون كما أنا عليه الآن متزلزلاً لا أمتلك أيّ دليل استند وألتجئ إليه عند مواجهتي لأدنى شبهة.

وطلبت منهما إرفادي بكتب الشيعة العقائدية والفقهية والتاريخية لأتحقَّق من نفسي، ولأصل إلى ما يوافق كتاب الله وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ونهج آله

عليهم السلام، واتَّخذه سبيلاً أسير عليه بعزم وثبات في حياتي، فأرسلا إليَّ الكتب، وعكفت على قراءتها ومطالعتها بدقّة وإمعان، وكنت أناقش ما كان غامضاً فيها معهما ومع غيرهما، وبعد مضي مدّة أدركت أنَّ مضامين هذه الكتب متينة الاستدلال سهلة الأسلوب ومستظلّة بمظلّة القرآن، وموافقة لسُنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وزاخرة بتراث العترة الطاهرة عليهم السلام، فكانت هذه الكتب تلامس شغاف قلبي وتفتح أبواب عقلي.

واقعة الطفّ الدامية

بمرور الزمان توثَّقت عرى الصداقة بيني وبين هذين الأخوين، فاشتركت معهما في نشاطات تربوية وثقافية مختلفة منها إحياء مراسم عاشوراء، وفي أجواء إحيائنا لواقعة الطفّ الدامية أحببت البحث في هذه المسألة لاستيعابها.

وفي بدء الأمر حاولت الإحاطة بما جرى في يوم عاشوراء على أهل البيت عليهم السلام في أرض كربلاء، فقرأت أحداث هذه الواقعة حتَّى بلغت آخرها في عصر يوم عاشوراء، وذلك حينما بدأت شمس العاشر من محرَّم عام (٦١هـ) تجمع أشعَّتها عن أرض كربلاء المضمخة بالدماء، بدء اللئام ليدوّنوا في سجل التاريخ فصلاً آخر من فصول جرائمهم البشعة! فداهموا الخيام، واستباحوا الرحال، وانتبهوا الأموال، وروَّعوا الأطفال، وأشعلوا النار حتَّى أخذت تلتهم كلّ شيء، فدهشت النساء، وارتاعت الصبية، وفرّوا في البيداء ليكونوا طعمة لسنابك الخيل، وعرضة للضياع...

لماذا أخرج الإمام الحسين عليه السلام عياله معه؟

إنَّ الأحداث الرهيبة التي جرت في واقعة كربلاء جعلتني أتساءل عن الداعي الذي حدا بالإمام الحسين عليه السلام لإخراج عياله معه.

راجعت كتب التاريخ والسير لعلّي أجد السبب في ذلك، فعثرت على إحدى الحقائق المهمّة التي أفصح عنها أبو الفرج الأصفهاني بقوله:

(بعد خروج الحسين عليه السلام أمر عمرو بن سعيد بن العاص صاحب شرطته على المدينة، أن يهدم دور بني هاشم، وبلغ منهم كلّ مبلغ!)[1].

فتبيَّن لي عندئذٍ لؤم نفسية الأمويين ودناءهم، وعرفت سبب إخراج الإمام الحسين عليه السلام أهل بيته معه، فإنَّ بني أميّة إذ عمدوا إلى هدم الدور الخالية للتنكيل ببني هاشم، فما عساهم أن يفعلوا بإخوة الحسين عليه السلام وأبنائه ونسائه لو ظفروا بهم!؟ فإنَّهم من المؤكَّد سيكونون عرضة للذبح والانتهاك...).

وفي الحقيقة أنَّ هذه الضغوط من مبتكرات الأمويين وسماهم التي كانوا يتَّخذونها لإخضاع المعارضين، وليس بالمستبعد من يزيد بن معاوية أن يبادر إلى قتل واحد من آل الحسين عليه السلام في كلّ يوم ما لم يأتِ الحسين عليه السلام ويسلّم نفسه! وليس هذا الأمر بمستبعد من آل أميّة خصوصاً وأنَّ التشفّي طبيعة نسجت عليها أوصالهم، وتعامل هند زوجة أبي سفيان مع جسد حمزة بن عبد المطَّلب الطاهر في أُحُد، بمضغها كبده وتمثيلها بجسده الشريف، خير شاهد على عدم استبعاد ارتكاب هذه الجرائم من هذه الشجرة الخبيثة.

ومن هنا فإنَّ إخراج الحسين عليه السلام للعيال معه، وعدم تركهم لقمة سائغة وفريسة سهلة بيد الجلاوزة، كان أمراً طبيعياً لا بدَّ من القيام به، فالحسين عليه السلام عاش هذه الظروف الصعبة وكانت الخيارات أمامه محدودة، فهو عليه السلام لاقى المحنة نفسها التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل، وكان موقفه كموقف

---

(١) أنظر: الأغاني ٥: ٨٢.

جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عندما هاجر من مكّة ترك ابنته الزهراء عند فاطمة بنت أسد، ثمّ لم يدخل المدينة حتَّى التحق به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع ضعينة الفواطم، فإنَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يخشى أن يستعمل المشركون حجز ابنته ورقة ضغط عليه، فأودعها عند عائلة الإمام علي عليه السلام، ولو كان الإمام الحسين عليه السلام يضمن بقاء عياله في مأمن من التعدّي، وأيدي أمينة كأيدي أبيه عليه السلام ما كان صحب العيال معه!

وقد يسأل سائل: فأين إذن المهاجرون والأنصار وأبناؤهم؟! ألم يكونوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أنَّهم يذودون عنه وعن آله كما يذودون عن أنفسهم؟!

والجواب يكون ماثلاً وواضحاً عندما يتبيَّن للسائل موقف المهاجرين والأنصار في أحداث السقيفة! وأنَّ القوم لم يدافعوا عن أُمّ الإمام الحسين عليه السلام وهي بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عندما هجم الأوغاد على دارها، وأحرقوا بابها، ورضّوا ضلعها، وهدَّدوا بعلها بالقتل أمام مرأى الجميع ومسمعهم، ولم يتقدَّم أحد من المهاجرين والأنصار للدفاع والذبّ عن حريم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن الأولى بالإمام الحسين أن لا يأمن على أهله من أتباع يزيد وأن يتركهم في أوساط هؤلاء.

والذي يتأمَّل كلّ هذا يجد من غير المستبعد أن يطيع أهل المدينة يزيد فيما لو كلَّفهم بحرق بيت الإمام الحسين عليه السلام على من فيه.

من هم قتلة الإمام الحسين عليه السلام؟

يقول السيّد صادق: (بعد انتهاء المراسم التي أحييناها بمناسبة ذكرى مقتل الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، جلست وقت غروب ذلك اليوم وحيداً منعزلاً عن

جماعتي تحت ظلّ السماء، وغرقت في التفكير حتَّى خيَّم عليَّ الهمّ والحزن، ورفعت رأسي أنظر إلى غروب شمس العاشر من المحرَّم، فكانت السماء دامية توحي بالحزن والكآبة، ثمّ تأمَّلت بما قمت به في ذلك اليوم، فرأيت أنّي طويت يوماً طال أمده بالنسبة إليّ!

وبعد مضي ذلك اليوم طفقت أتتبَّع خطى الحسين عليه السلام وأسلوبه في النهضة، كي أشفي غليلي من الأسئلة التي تعتلج في صدري، كتشنيع البعض على الشيعة واتّهامهم بقتل الحسين عليه السلام لتبرير ساحة بني أميّة من هذه الجريمة النكراء!

وقد قيَّض الله تعالى لي مجموعة من الكتب التي فنَّدت هذا الادّعاء بشكل تامّ، وفهمت منها ومن بعض المحاورات التي كانت تدور بيني وبين الآخرين، أنَّه لم يكن في الجيوش الزاحفة لحرب الإمام الحسين عليه السلام شيعي واحد!).

فإنَّ الكوفة قد خلت تقريباً - في هذه المدّة - من الشيعة، حيث تعرَّضوا لحملات الإبادة والتنكيل والتهجير، فكان شيعة أهل البيت عليهم السلام في الكوفة أكثر الناس بلاءً وأشدّهم محنةً، كما قال ابن أبي الحديد: «فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولاسيّما بالكوفة، حتَّى أنَّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتَّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه... فلم يزل الأمر كذلك حتَّى مات الحسن بن علي عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبقَ أحد من هذا القبيل إلاَّ وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض»[1]، بل تعدّى الأمر حتَّى كتب معاوية إلى عمّاله نسخة واحدة: (أنظروا من قامت عليه البيّنة أنَّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه)، وشفَّع بذلك بنسخة أخرى: (من اتَّهمتموه بموالاة هؤلاء

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٤٥ و٤٦.

القوم فنكّلوا به واهدموا داره)[١].

ويصف الإمام محمّد الباقر عليه السلام ذلك الوقت قائلاً :

«... فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكلّ من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام...»[٢].

وبهذه السياسة خلت الكوفة من الشيعة تقريباً، خصوصاً بعد حملات التهجير والنفي التي شنت على أتباع أهل البيت عليهم السلام أيّام زياد ابن أبيه، حيث أبعد خمسين ألفاً منهم إلى خراسان! والكوفة كانت شيعية النزعة أيّام خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنّها تغيّرت بعد ذلك فقلّ عددهم فيها.

وقد أكّد القوم الزاحفون لحرب الحسين عليه السلام أنّهم ليسوا من الشيعة، بل هم عثمانيون! عندما قالوا : (ليعطش كما عطش من كان قبله) إشارة إلى عثمان عندما حاصره الثوّار في بيته، وأثبتوا ذلك أيضاً عندما سألهم سيّد الشهداء عليه السلام بقوله :

«ويلكم! أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته، أو بمال استملكته، أو بقصاص من جراحات استهلكته؟»[٣].

فقالوا : (نقتلك بغضاً منّا لأبيك!)[٤]، ولا يوجد شيعي واحد يبغض الإمام أمير

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٥ و٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٣ و٤٤.

(٣) أنظر : ينابيع المودّة ٣ : ٦٤ و٦٥.

(٤) أنظر : شرح إحقاق الحقّ ١١ : ٦٤٧.

المؤمنين عليه السلام، فأين هؤلاء من التشيّع؟!

ثمّ إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد حدَّد انتماءهم بقوله: «يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»[1]، فهل بعد كلّ هذا يقول أحد: إنَّ الشيعة هم قتلة الإمام الحسين عليه السلام؟!

ولعلَّ البعض يحاول جعل من شاركوا في حرب صفّين مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كشمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وقيس بن الأشعث من الشيعة، ولكن هذه مغالطة مكشوفة فإنَّ هؤلاء من أبرز الذين تمرَّدوا على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخرجوا عليه، في أُلعوبة رفع المصاحف التي دبَّرها عمرو بن العاص! فالقوم خارجون عن الدين مارقون منه، ليس بينهم وبين التشيّع صلة وانتماء.

الاقتناع التامّ بأحقّية التشيّع

ويقول السيّد صادق النقوي: (لقد أراحتني هذه الإجابات، ودفعتني لتصحيح عقائدي الموروثة، فكنت بعد ذلك من الملتزمين بإحياء هذه المراسم.

وجئت ذات يوم إلى أبي وقلت له: أبتاه نحن من سلالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأولى الناس باتّباع ذرّيته الطاهرة التي أبعد الله عنها الرجس، فعلينا أن لا نبتعد عن مسلكهم لأنَّهم سفن النجاة، ونجوم الأمان والهداية.

وأخذت أشرح له الحقائق التي عرفتها، فما كان منه إلاَّ أن وافقني على ذلك، بل دفعني إلى الالتحاق بمدارس الإمامية لأنهل من علوم العترة الطيّبة وأسير بسيرهم عليهم السلام وأكون داعية لمذهبهم).

---

(١) اللهوف: ٧١.

(١٩)

عامر سلو رشيد

(يزيدي/ العراق)

ولد عام (١٩٦٧م) في العراق بمدينة الموصل في ناحية (بعشيقة) التي تقطنها الفرقة اليزيدية، وبسبب التقليد وجد نفسه يزيدياً على طريقة آبائه، واستمرَّ على هذا المذهب حتَّى أخذ الباري بيده فأخرجه من الظلمات إلى النور.

معلومات حول اليزيدية

يقول الأخ عامر حول أسباب تسمية اليزيدية بهذا الاسم: (لقد ذكر بعض من كتب عن ملَّتنا أنَّ سبب التسمية هي نسبة إلى (يزد) المدينة الإيرانية، وبعضهم احتمل نسبتهم إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله، ولكن الحقيقة ليست كذلك، فاليزيديون يعتقدون أنَّ الشيطان كان نبيّاً بعثه الله إلى العالم كلّه، ولكن المسلمين لعنوه ولم يتَّبعوه، وهكذا انحرف المسلمون! وظلَّ اليزيديون وحدهم يتَّبعون هذا النبيّ - الخرافي - الذي له عدَّة أسماء في عقائدهم منها: (طاووس ملك)، ومنها: (يزيد)، ومن هنا جاءت تسميتهم باليزيديين، ولكن لا ننسى أنَّ تأسيس هذه الفرقة جاء من شخص من نسب يزيد بن معاوية لعنة الله عليهما).

ويضيف الأخ عامر حول بعض عقائد هذه الطائفة: (لليزيدية حجّ كما للمسلمين حجّ، ولكنَّهم يحجّون إلى قبر منسوب إلى بلال الحبشي، وبالقرب منه عين ماء يعتقدون أنَّها ماء زمزم يأتي من مكّة إلى منطقتهم! ويعتقدون أنَّ المسلمين سرقوا منهم آية الكرسي وعيد الأضحى!).

السلطة الدينية اليزيدية

يقول الأخ عامر حول الجهة المتولّية على الجانب الديني في الطائفة اليزيدية: (هناك سلطة دينية تشرف على الفرقة اليزيدية وتتولاّها أسرة (بيت الأمير)، حيث يعود نسبهم إلى عدي بن مسافر الأموي الصوفي الذي ينتهي نسبه إلى بني أميّة، ومن أجل بقائهم في هذا المنصب سعوا إلى نشر سياسة التعتيم بين أفراد اليزيدية ليبقى كلّ شيء غامضاً، ثمّ أباحوا لأنفسهم كلّ شيء وحرَّموا أشياء وأشياء عن بقيّة أفراد قاعدهم، مثل الدراسة، فقد حرَّموها على اليزيدية ليعيشوا الجهل المطبق، بينما أباحوا التعلّم لأنفسهم، إلى أن عرف الناس كذبهم وأخيراً سمحوا لنا بالدراسة منذ عام (١٩٨٠) للميلاد).

بداية تأثّره بالإسلام

ويقول الأخ عامر حول بداية تأثّره بالإسلام: (أذكر أنّي رأيت والدتي وهي صائمة في شهر رمضان مع أنَّ اليزيدية لا يصومون فيه، ولَّما سألتها عن ذلك - وكان عمري آنذاك ١٠ سنوات - أجابت: لقد حدثت لنا مشكلة خطيرة جدّاً في يوم ما، فتوسَّلت بملك طاووس (الشيطان في العقيدة اليزيدية) كي يكشف عنّا هذه الملمّة ولكن من دون جدوى، ثمّ توسَّلت بنبيّ النصارى عيسى بن مريم عليهما السلام، فلم أرَ أيّ نتيجة وما زال الخطر محدّقاً بنا، ثمّ فكَّرت أن أتوسَّل بنبيّ المسلمين محمّد صلى الله عليه

وآله وسلم وكنت قد نذرت أن أصوم شهر رمضان كما يصومه المسلمون إن خرجنا من هذا المأزق ببركة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وفعلاً فقد رأيته في عالم الرؤيا وكان نورانياً بهيّاً وقد بشَّرني بفرج زوال الخطر عنّا، وأخذت أصوم شهر رمضان من كلّ عام.

هذه القصَّة شدَّتني إلى النبيّ العظيم، وضعف بالمقابل اعتقادي بطاووس ملك).

دواعي توجّهه للبحث حول الإسلام

ويقول الأخ عامر حول بداية اندفاعه إلى البحث حول الإسلام: (أسلم شخص من قومنا وكان هذا الشخص من الجادّين بتقصّي المعالم والخفايا التاريخية المتعلّقة باليزيدية، كما أنَّه ابن أحد المعروفين نسبياً عند قومنا (ابن أحد المشايخ اليزيدية)، ومتابعات الشخص الحثيثة لكلّ ما له علاقة باليزيدية ـ بما فيها المؤلَّفات والمطبوعات التي تناولتهم ـ قد تركت بمجموعها في نفسه إحباطاً وانقباضاً غير اعتياديين اتَّضحت مصاديقها على وجهه، أو من صمته المطوَّل، وهذه الحالة النفسية ترجمت الدوّامة والطريق المسدود الذي انتهى إليه بعدما تأكَّدت لديه جملة من الحقائق، وهي أنَّ أبرز سمات فرقة اليزيدية هي: لا تاريخ معلوم، ولا أصول معروفة، ولا عقائد مفهومة، ولا قومية ثابتة، ولا ثقافة مشهودة، ولا حضارة، ولا تراث يفتخر به بين الناس ـ عدا الخرافة ـ.

ومرَّت الأسابيع والشهور والشخص يكابد عذابه ومعاناته، حتَّى فوجئنا بعد مدّة بخبر تركه الديار، من بعد أن أودع خبر إسلامه... وكما نقل لي بشخصه تفاصيل تحوّله والأدلَّة التي اعتمد عليها في تغييره الانتماء الذي كان عليه، ثمّ ودَّعني وقال لي: أنا راحل إلى مدينة النجف الأشرف لأشهد الشهادتين وأعتنق الإسلام عند مرقد سيّدنا

الإمام علي عليه السلام).

ويضيف الأخ عامر: (فتأثَّرت بهذا الشخص ومررت بمدّة حيرة وأخذت أتابع ما ذكره لي هذا الشخص من الأدلَّة التي أوصلته إلى الإسلام ثمّ أخذت أسأل من بعض أصدقائي - اليزيديين - عن كتابنا المقدَّس أين هو؟ وماذا فيه؟ ولماذا لا يطبع؟ بل لماذا لا يسمح لنا برؤيته كبقيّة الديانات؟ فكنت أواجه بالنفي وعدم التدخّل بهذا الموضوع لأنَّه من اختصاصات بيت الأمير وهم وحدهم لهم صلاحية النظر في هذا الكتاب (المقدَّس) الذي يطلقون عليه اسم (رش) وهو يعني الكتاب الأسود وهو مؤلَّف من سبع صفحات فقط!

ولكنّي تابعت البحث والسؤال من الناس بل من المقرَّبين من بيت الأمير حتَّى وصلت إلى نتيجة قطعية أنَّه لا وجود لمثل هذا الكتاب، وإنَّما هو مجرَّد أكذوبة حاكها بيت الأمير لخلق هالة من القداسة الزائفة لهذا الدين الخرافي، فأيقنت أنّي أؤمن بأشياء لا وجود لها.

ثمّ اتَّصلت بأحد المسلمين الذي زوَّدني بالكتب الإسلاميّة، فقرأت أوّل كتاب وهو عن قصص الأنبياء فتأثَّرت بقصَّة سيّدنا محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم مع ما كنت أحمل في ذهني من صورة الإعجاب والقداسة والاحترام له صلى الله عليه وآله وسلم، إلاَّ أنَّ الرجل المسلم كان على المذهب السُنّي، وطالما كان يحذّرني من الشيعة حتَّى تحوَّل تأكيده هذا إلى فضول دفعني إلى السؤال عن الشيعة وقراءة الكتب الشيعية، فقرأت بعضها).

أهم كتب الشيعة التي تأثَّر بها

يقول الأخ عامر حول أهمّ الكتب التي دفعته إلى اعتناق مذهب أهل البيت

عليهم السلام: (إنَّه مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فحينما قرأته تأثَّرت كثيراً وتألَّمت على تلك الفاجعة التي تعرَّض لها الإمام الحسين عليه السلام، وبقيت في حيرة من أمري حول مصداقية هذا الكلام، وهل أنَّه حقيقة؟ وإذا كان حقيقة فكيف يحترم أهل السُنّة يزيد بن معاوية المجرم؟ بل لماذا لا يتكلَّمون حول مأساة الحسين الدامية؟ لقد تألَّم قلبي كثيراً لهذه المأساة المروّعة، وأجهشت بالبكاء.. وأشرق الحقّ في قلبي فاتَّصلت ببعض الشباب الشيعة ودرست عندهم بعض الفقه الشيعي من خلال الرسالة العملية، إضافة إلى دورة في العقائد والأخلاق واللغة العربية، ومنذ ذلك الحين عرفت حقيقة التشيّع).

ومن هذا المنطلق استبصر الأخ عامر واعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام، ثمّ توجَّه إلى نشر الحقائق التي توصَّل إليها إلى قومه، وشرع يدعوهم إلى مدرسة عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ويضيف الأخ محمّد: (ثمّ صحبت الشيخ في رحلاته إلى قفصة وغيرها، وبعدها أصبح الشيخ يكلّفني بالسفر للتبليغ أو الاتّصال بالإخوة، وسرعان ما أتى ذلك النشاط أُكُله وأينعت ثماره فاستبصر كلّ من طهرت سريرته وانطوى مكنونه على بارقة خير، فتشكَّلت منهم نواة اقتحمت أسوار الجامعة، وانتشرت دعوتهم في البلاد طولاً وعرضاً وشمالاً وجنوباً حتَّى لم يعد هناك مدينه إلاَّ وفيها مؤمنون مستبصرون على منهاج المعصومين عليهم السلام قلباً وقالباً.

المضايقات بعد الاستبصار

يقول الأخ محمّد حول المصاعب والمضايقات التي واجهها بعد اعتناقه مذهب أهل البيت عليهم السلام: (لم يخل طريقي من بعض العراقيل والأشواك، فقد اعتقلت

في (٧/ أوت/ ١٩٨٥م) وحقّق معي بشأن تشيّعي وأُطلق سراحي بعد (١٤) يوماً، ثمّ وقع طردي من العمل في (٤/ جانفي/ ١٩٨٦م)، ثمّ اعتقلت مرَّة أخرى في (٢١/ أوت/ ١٩٨٦م) ولم يطلق سراحي إلاَّ في (١٩) سبتمبر من السنة نفسها، ثمّ وقع إعادتي إلى العمل بعد انقلاب السابع من نوفمبر تهدئة للأجواء في البلاد، ثمّ اعتقلت سنة (١٩٩١م) ثلاثة أيّام، تعرَّضت فيها للتعذيب ظلماً وعدواناً، ثمّ تعرَّضت للطرد من عملي هذه المرَّة نهائياً سنة (١٩٩٢م)، ثمّ اعتقلت سنة (١٩٩٤م) خمسة أيّام وأُطلق سراحي).

اللقاء مع اليزيدي المتشيّع عامر سلو رشيد

الغموض هو أبرز سمات أتباع طائفة اليزيدية - القاطنين في شمال العراق ومناطق متفرّقة أخرى - فهم يشتركون مع الدروز وبعض الفِرَق الباطنية في شدَّة التكتّم والسرّية على أصول مذهبهم وفروعه، وكان هذا الغموض والابتعاد عن الأضواء هو سرّ توجّه الباحثين والمؤلّفين إلى الكتابة عنهم وشرح أحوالهم وأسرارهم - إن حالفهم الحظّ - وبالفعل صدرت عدَّة كتب وبحوث حاولت بصورة وبأخرى عرض المعتقد اليزيدي بما توافر لديهم من مصادر - نادرة للغاية - أو حكايات حصلوا عليها من هنا وهناك.

ولكن أن نسمع الحقائق مفصَّلة من رجل ولد يزيدياً وعاش في تلك البيئة ومارس طقوسها - الدينية - فهو حدث جديد، بل يعدُّ الأوّل من نوعه. والأغرب من كلّ هذا وذاك أنَّ هذا الرجل اليزيدي - بالأمس - أصبح شيعياً إمامياً اليوم. فما هي أسرار اليزيدية؟ وما سرّ هذه التسمية؟ وكيف تحوَّل هذا الرجل اليزيدي إلى شيعي؟ هذا ما سنعرفه في ضوء الحوار الشيّق الذي أجريناه معه. وهذه تفاصيله:

سؤال: في البداية ما هويَّتكم؟

جواب: اسمي عامر سلو رشيد من مواليد (١٩٦٧) للميلاد، ولدت بمدينة الموصل العراقية في الناحية التي تقطنها الفرقة اليزيدية (بعشيقة). وبسبب التقليد الأعمى وجدت نفسي يزيدياً على طريقة آبائي، ونشأت نشأة يزيدية من دون أن أعرف كيف ولماذا.

سؤال: ما الخطوط العقائدية العريضة لهذه الفرقة التي لا يعرف عنها الكثير؟

جواب: الغموض هو أوّل شيء.

سؤال: وما هو سرّه؟

جواب: الغموض جاء إثر السلطة الدينية اليزيدية التي سعت منذ القدم وإلى اليوم أن تعدّه من أبرز معالم اليزيدية.

سؤال: ما هذه السلطة الدينية؟ ولماذا سعت لإبقاء حالة الغموض بينكم؟

جواب: هناك سلطة دينية تشرف على الفرقة اليزيدية وتتولاّها أسرة (بيت الأمير) حيث يعود نسبهم إلى عدي بن مسافر الأموي الصوفي الذي ينتهي نسبه إلى بني أميّة، ومن أجل بقائهم في هذا المنصب سعوا إلى نشر سياسة التعتيم بين أفراد اليزيدية ليبقى كلّ شيء غامضاً ومن ثَمَّ أباحوا لأنفسهم كلّ شيء وحرَّموا أشياء وأشياء عن بقيّة أفراد قاعدتهم، مثل الدراسة فقد حرَّموها على اليزيدية ليعيشوا الجهل المطبق، بينما أباحوا التعلّم لأنفسهم، إلى أن عرف الناس كذبهم وأخيراً سمحوا لنا بالدراسة منذ عام (١٩٨٠) للميلاد.

سؤال: (اليزيدية) ما سرّ هذا الاسم؟ هل هناك علاقة بيزيد بن معاوية أم ماذا؟ وهل يعبد اليزيديون الشيطان كما يقال؟

جواب: لقد ذكر بعض من كتب عن ملَّتنا أنَّ سبب التسمية هي نسبة إلى (يزد) المدينة الإيرانية، وبعضهم احتمل نسبتهم إلى يزيد بن معاوية، ولكن الحقيقة ليست كذلك. فاليزيديون يعتقدون أنَّ الشيطان كان نبيّاً بعثه الله إلى العالم كلّه ولكن المسلمين لعنوه ولم يتَّبعوه وهكذا انحرف المسلمون! وظلَّ اليزيديون وحدهم يتَّبعون هذا النبيّ - الخرافي - الذي له عدَّة أسماء في عقائدهم، منها: (طاووس ملك)، ومنها: (يزيد)، ومن هنا جاءت تسميتهم باليزيديين، ولكن لا ننسى أنَّ تأسيس هذه الفرقة جاء كما أسلفت من شخص ينحدر من نسب يزيد بن معاوية.

سؤال: وماذا عن عقائدهم أيضاً؟

جواب: لليزيدية حجّ كما للمسلمين حجّ، ولكنَّهم يحجّون إلى قبر منسوب إلى بلال الحبشي، وبالقرب منه عين ماء يعتقدون أنَّه ماء زمزم يأتي من مكّة إلى منطقتهم، ويعتقدون أنَّ المسلمين سرقوا منهم آية الكرسي، وعيد الأضحى! ففي كلّ بيت يزيدي تجد آية الكرسي معلَّقة على الجدار! وهم يبتعدون عن الألفاظ القريبة في إيقاعها الصوتي من أسماء الشيطان. كما ولهم خرافات أخرى.

سؤال: كيف فكَّرت في الانتقال من اليزيدية إلى الإسلام؟

جواب: هناك ذكريات أثَّرت في حياتي فقادتني بمرور السنين إلى الإسلام.

سؤال: هل لك أن تذكرها لنا؟

جواب: نعم، أذكر أنّي رأيت والدتي وهي صائمة في شهر رمضان مع أنَّ اليزيدية لا يصومون فيه، ولمَّا سألتها عن ذلك - وكان عمري آنذاك (١٠) سنوات - أجابت: لقد حدثت لنا مشكلة خطيرة جدّاً في يوم ما، فتوسَّلت بملك طاووس (الشيطان في العقيدة اليزيدية) كي يكشف عنّا هذه الملمّة ولكن دون جدوى، ثمّ

توسَّلت بنبيّ النصارى عيسى بن مريم عليه السلام، فلم أرَ أيّ نتيجة وما زال الخطر محدقاً بنا، ثمّ فكَّرت أن أتوسَّل بنبيّ المسلمين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وكنت قد نذرت أن أصوم شهر رمضان كما يصومه المسلمون إن خرجنا من هذا المأزق ببركة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وفعلاً فقد رأيته في عالم الرؤيا وكان نورياً بهيّاً قد بشَّرني بالفرج وزال الخطر عنّا، وأخذت أصوم شهر رمضان من كلّ عام. هذه القصَّة شدَّتني إلى النبيّ العظيم، وضعف بالمقابل اعتقادي بـ (طاووس ملك).

سؤال: وكيف دخلت الإسلام بعد ذلك؟

جواب: ظلَّت هذه القصَّة تدور في ذهني حتَّى كبرت وتجاوزت العشرين عاماً فأخذت أسأل من بعض أصدقائي - اليزيديين - عن كتابنا المقدَّس أين هو؟ وماذا فيه؟ ولماذا لا يطبع؟ بل لماذا لا يسمح لنا برؤيته كبقيّة الديانات؟ فكنت أواجه بالنفي وعدم التدخّل بهذا الموضوع لأنَّه من اختصاصات بيت الأمير وهم وحدهم لهم صلاحية النظر في هذا الكتاب (المقدَّس) الذي يطلقون عليه اسم (رش) وهو يعني الكتاب الأسود وهو مؤلَّف من سبع صفحات فقط. ولكنّي تابعت البحث والسؤال من الناس بل من المقرَّبين من بيت الأمير حتَّى وصلت إلى نتيجة قطعية أنَّه لا وجود لمثل هذا الكتاب وإنَّما هو مجرَّد أكذوبة حاكها بيت الأمير لخلق هالة من القداسة الزائفة لهذا الدين الخرافي، فأيقنت أنّي أؤمن بأشياء لا وجود لها. ثمّ اتَّصلت بأحد المسلمين الذي زوَّدني بالكتب الإسلاميّة فقرأت أوّل كتاب وهو عن قصص الأنبياء فتأثَّرت بقصَّة سيّدنا محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ما كنت أحمل في ذهني من صورة الإعجاب والقداسة والاحترام له صلى الله عليه وآله وسلم، إلاَّ أنَّ هذا الرجل المسلم كان على المذهب السُنّي ولطالما كان يحذّرني من الشيعة حتَّى تحوَّل تأكيده هذا إلى فضول دفعني إلى السؤال عن الشيعة وقراءة الكتب الشيعية، فقرأت بعضها.

سؤال: ما هو الكتاب الذي أدخلك إلى عالم التشيّع؟

جواب: إنَّه مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فحينما قرأته تأثَّرت كثيراً وتألَّمت على تلك الفاجعة التي تعرَّض لها الإمام الحسين عليه السلام وبقيت في حيرة من أمري حول مصداقية هذا الكلام وهل أنَّه حقيقة؟ وإذا كان حقيقة فكيف يحترم أهل السُنّة يزيد بن معاوية المجرم؟ بل لماذا لا يتكلَّمون حول مأساة الحسين الدامية؟ لقد تألَّم قلبي كثيراً لهذه المأساة المروّعة، وكان الوقت متأخّراً في الليل، فبينما أنا بين النائم واليقظان رأيت رجلاً نورانياً مهيباً يرتدي ملابس خضراء جميلة. حينما رأيته ارتعدت كلّ فرائصي فقال لي: أنا الحسين بن علي وكلّ ما قرأته عن مصيبتي صحيح.

ثمّ عدت لحالتي الأولى وقد أجهشت بالبكاء. وأشرق الحقّ في قلبي فاتَّصلت ببعض الشباب الشيعة ودرست عندهم - بعد ذلك - بعض الفقه الشيعي من خلال الرسالة العملية، إضافة إلى دورة في العقائد والأخلاق واللغة العربية، ومنذ ذلك الحين عرفت حقيقة الشيعة وضعف مذهب أهل السُنّة وخرافة اليزيدية.

سؤال: ما الأمور التي جذبتك في عالم التشيّع؟

جواب: هناك ثلاثة أمور موجودة عند الشيعة لا توجد عند غيرهم:

الأوّل: اتّصالهم بمراجعهم وحلّ مشاكلهم وإجابتهم عن كلّ سؤال يطرح عليهم.

الثاني: كثرة الحوزات والمدارس العلمية والدورات الثقافية في المساجد والحسينيات وغيرها.

والثالث: المجالس الحسينية التي تُعدّ مدرسة تبليغية مستمرّة طيلة العام.

السؤال الأخير: ما هو طموحك؟

جواب: أحبّ أن تصل الحقيقة إلى بقيّة أبناء قومي الذين خدعوا بمرور السنين ليعرفوا أنَّهم كانوا مسلمين في الأصل، بل إنَّ ذلك هو السبب الذي جعل عدي بن مسافر - الرجل المنحرف - يستوطن عندهم، وإلاَّ فلماذا يجاور أناساً ليسوا بمسلمين وهو مسلم سُنّي صوفي مبتدع؟ وأحبّ أن يعرفوا أنَّ بيت الأمير يخدعونهم، وعسى أن يكتب الله لقومنا الهداية، ولجميع البشر بالتمسّك بحبل ولاية الله ورسوله وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

مؤلّفاته

١ - **من الظلمات إلى النور،** صدر عن مؤسسة الفرات/ بيروت.

٢ - وله عدَّة مقالات:

المقالة الأولى: التوحيد عند أهل البيت عليهم السلام.

المقالة الثانية: النبوّة عند أهل البيت عليهم السلام، دراسة مقارنة.

المقالة الثالثة: حبّ أهل البيت عليهم السلام ولاية الله تعالى.

المقالة الرابعة: الدعاء والعبادة عند أهل البيت عليهم السلام.

وقفة مع كتابه: من الظلمات إلى النور

وهو كتاب صغير من حيث الحجم، لكنَّه كبير من حيث القضيّة المطروحة فيه، فهو كتاب يبحث عن الأصول الدينية لليزيديين، وظروف نشأتهم الغامضة، والتي بحث فيها الكثير من الباحثين والمؤلّفين ولكنَّهم لم يصلوا إلى نتائج متوافقة، نتيجة لتضارب المعطيات فيها والغموض الشديد الذي يلف العقائد والتاريخ اليزيدي.

وقد حاول الكاتب - وهو يزيدي المولد - أن يتقصّى أصول قومه الدينية، ويجمع أطراف الخيوط المبعثرة والمتشابكة في يده لمعرفة الواقع الحقيقي لهذه الأصول لأنَّها مسألة حياتية مصيرية بالنسبة إليه وإلى قومه لا كما يفعل بعض الباحثين الذين لا يهمّهم أن يتكهَّنوا بما شاؤوا في مثل هذه القضايا الحسّاسة كما صرَّح الكاتب حيث قال:

(وأمَّا عن بحثنا، فقد فرَّق بيننا وبين الباحثين عامل معنوي ناهض، فهذا الكرّاس وبالرغم من أنَّنا لم نستقص كلّ الأدلَّة المساعدة فيه، أستطيع القول باطمئنان بأنَّنا أنجزنا النتيجة كُلّها، (والحقيقة بعينها)، لأنَّ الالتزام الذي يُنقَّب به متنوّر بالحقّ - من بعد اعتناق مجهول - ليس كاستطراق هاو، أو ما أهمّه إن أصاب مرَّة، وتكهّن مرَّات).

وقد وفّق الكاتب في كشف مؤامرة أموية خبيثة تلبَّست بلباس التصوّف في خداع هؤلاء القوم - الذين كانوا يكثرون من اللعن[1] لبني أميّة وأمثالهم من الظالمين والمنحرفين - فاستغلَّت عزلتهم واستضعفتهم دينياً ودنيوياً وجعلتهم بقرةً حلوباً تدرّ على الأمراء الأمويين كما عبَّر أحد الكتّاب حيث قال عن عوامهم الذين يسموّنهم (المريدين):

(ربَّما كانت كلمتا (البقرة الحلوب) أحسن ما يوصف به (المريد) من اليزيدية فالمردة (أي المريدون) هم عوام الشعب، وسائر أفراده، ذكوراً كانوا أم إناثاً، كباراً أم صغاراً، سواء كانوا من القبائل أو من أهل القرى، يخضعون لأوامر رؤسائهم الروحيين خضوعاً مطلقاً، ويتقبَّلون أوامرهم ونواهيهم دون مناقشة أو اعتراض، فقد فرضت الشريعة عليهم الإطاعة العمياء، وأوهموا أنَّ التدخّل في الأمور الدينية، أو التساؤل عن

(١) لاحظ كتاب (اليزيديون في حاضرهم وماضيهم) لعبد الرزّاق الحسني: ٢٢/ ط ١١.

أسرار العقيدة اليزيدية يخرجانهم من الإيمان، ويحلاّن بهم الذلّ والهوان.

ولابدَّ أن يكون لكلّ مريد أو مريدة، شيخ وپير معاً، فيقدّم إليهما النذور والخيرات، ويتلقّى منهما التعليمات والإرشادات، فإذا مات أحدهما، أو حرمه الأمير، ولم يكن بين سلالته من يحلّ محلّه، لجأ المريد إلى الأمير فيختار له بدل المتوفّي، أو المحروم، أحداً ما، لقاء مبلغ يتَّفقان عليه. والمريد الذي لا شيخ له ولا پير، يعدُّ خارجاً عن العقيدة اليزيدية[١]، والمردة يتزاوجون فيما بينهم، فلا تحقّ لهم مصاهرة السلالات الأخرى، أي كالمنبوذين في الهند)[٢].

والذي يجعل القضيّة كبيرة ومهمّة هو أوجه الشبه بين الخداع الذي مارسه الشيخ عدي بن مسافر الأموي وأولاده وأحفاده من أمراء اليزيدية على هؤلاء القوم المعزولين والخداع الذي مارسه معاوية وسلالته الأموية على كلّ الأمّة حتَّى حاول أن يمحو الإسلام من أساسه كما اعترف بذلك لنصيره المغيرة بن شعبة.

وقد نجّى الله بفضل أهل البيت عليهم السلام الأمّة وحفظ الإسلام والمسلمين الذين تعبَّدوا لهذه الشجرة الملعونة كما سمّاها الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل[٣]، وبقي هؤلاء القوم المعزولين على الضلال عبرة لمن يُعدّ ويريد أن يعرف بني أميّة ومكائدهم للدين وللمسلمين، والحمد لله الذي أمرنا بلعن أعداء أهل البيت عليهم السلام والبراءة منهم، وهذا ما وفّق إليه مؤلّف هذا الكتاب بطلبه الحقّ وهداية ربّ العالمين.

---

(١) حتَّمت التقاليد اليزيدية على كلّ يزيدي أن يتَّخذ له أخاً وأختاً من رجال الدين يكل أمره إليهما، ويرجو بهما الشفاعة يوم الآخرة ومفروض عليه أن يصافحهما عند كلّ صباح، ويتحبَّب إليهما.

(٢) اليزيديون في حاضرهم وماضيهم: ٧٣.

(٣) الإسراء: ٦٠، ولاحظ ما قاله المفسّرون من أنَّ الشجرة الملعونة بني أميّة أو بني الحَكَم، ولاحظ أنَّ الشيخ عدي الذي ابتدع اليزيدية من أحفاد الحَكَم.

الأصل الديني لليزيديين قبل القرن السادس

اختلف الباحثون في أنَّ اليزيديين قبل مجيء الشيخ الصوفي عدي بن مسافر الأموي(١) إلى مناطقهم في جبال هكار على أيّ دين كانوا.

وقد أورد الكاتب مجملاً لأقوال الباحثين في هامش كتابه حيث قال:

(تفاوت المؤلّفون والباحثون في احتمالات الأصل الديني للقوم قبل القرن السادس الهجري، فكان أبعد الاحتمالات للدملوجي في كتابه (اليزيدية/ ط ١)، والذي قال: (إنَّ أصولهم من المانوية (وهي عقائد فارسية قديمة)، أسلموا على يد عادي، ومتَّبعين طريقته الصوفية، ويأتي بعد حين من خلفاء عادي فيضلّهم، فيكون هذا سائغاً للعودة بعد قرن أو قرن ونصف القرن مع بعض الممارسات الإسلاميّة إلى مانويتهم القديمة) انتهى.

والأبعد من هذا الاحتمال كان للسامرائي في كتابه (الغلو والفِرَق الغالية في الحضارة الإسلاميّة) إذ قال: (إنَّ اليزيدية تفرَّعت عن الأباضية ومؤسّسها يزيد بن أنيسة الخارجي) انتهى.

وقال ابن حزم في (الفصل في الملل والأهواء والنحل): (هو زيد بن أبي أبيسة).

ثمّ اللواء حسن صادق في كتابه (جذور الفتنة في الفِرَق الإسلاميّة) حيث

(١) عدي بن مسافر (ويُعرف عند القوم بعادي أو شيخ آدي) ولِد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري في قرية بيت فار (من قرى الشام، إلى الجنوب من بعلبك)، سافر إلى بغداد عاصمة الدولة العبّاسيّة آنذاك، درس فيها التصوف (الإسلامي!)، وانتقل بعدها إلى الموصل وإلى وادي لالش، أقام له زاويةً هناك، تبعه الكثيرون من أهل تلك الأنحاء والجبال، أحدث الطريقة الصوفية والتي عُرِفت باسمه (العدوية)، انضمَّ إليها جمعٌ كبير؛ مات عام (٥٥٧هـ) عن تسعين عاماً ودفن في زاويته التي بناها في جبل الهكارية، مستخلفاً ابن أخيه. ذكره عدد من المؤرّخين، منهم: الزركلي في الأعلام ٤: ٢٢١؛ وابن خلكان في وفيات الأعيان ٣: ٢٥٤/ الرقم ٤١٥؛ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠: ٣٤٢/ الرقم ٢٣٣.

استخلص عن الشهرستاني بقوله: (إنَّ الباحثين اختلفوا في سبب تسمية هذه الطائفة كما اختلفوا في أصل دينهم) انتهى.

أمَّا احتمال الحسني في (اليزيديون/ ط ١١) فقد قال: (أصلهم من قبائل مجوسية (زرادشتية) تسمّى تيراهيّة أو ترهايا، ثمّ اعتنقوا الإسلام بضعف، ولَّما حلَّ عادي بين ظهرانيهم وأسَّس طريقته العدويّة، اتَّبعوها، ثمّ من بعد موت عادي ظهر بين خلفائه من أضلَّهم وبعَّدهم عن التعاليم الإسلاميّة، فظهرت فيهم براعم المجوسيّة (الزرادشتية) القديمة، وعاد القوم إلى معتقدات توارثوها كابر عن كابر) انتهى.

وتحرَّز تيمور باشا المصري من بحث الأصل.

أمَّا عدنان حسين فقد جمع في بحثه المنشور في صحيفة (الشرق الأوسط) احتمالات سابقة أخرى من أنَّهم قد يكونون من أصل صابئي أو كلداني... الخ، وإنَّ تسميتهم قد تكون مُشتقّة من مدينة قديمة تسمّى (يزدم)، ثمّ نقل عمَّن نسبهم إلى مدينة (يزد) الفارسية، أو أتباع ليزدان وهي كلمة تعظيم كردية أو فارسية للإله، انتهى.

وبعضهم من قال: إنَّهم أمويّون حُوصِروا في تلك الجبال، وبقوا هناك... وهناك احتمالات أخرى، ولم تزد دائرتا المعارف البريطانية والأمريكية شيئاً عن الاحتمالات المذكورة).

لكن الكاتب لا يقبل بهذه الأقوال، ويرى أنَّ اليزيديين كانوا قوماً من المسلمين، وأنَّ الشيخ عدي وأولاده قد خدعوهم عن دينهم باختراع الطريقة العدوية الصوفية التي بدأها الشيخ بمحاربة اللعن بما في ذلك الشيطان نفسه، وبالدفاع عن أجداده من بني أميّة من دون هوادة، ثمّ واصل الخداع ابن أخيه صخر بنسبة الكرامات التي ما أنزل الله بها من سلطان للشيخ عدي، وكذلك واصل حفيده الشيخ شمس (الذي يسمّونه الحسن

البصري اشتباهاً) في تحريف الدين الإسلامي من أساسه فاخترع عبادات مقلوبة عن الدين الإسلامي كالحجّ إلى قبر الشيخ عدي والطواف به والشرب من ماء هناك سمّاها (زمزم)، كما رسَّخ عبادة الشيطان وسمّي بـ(طاووس ملك)، وكذلك الاعتقاد بإمامة يزيد الأموي قاتل الحسين عليه السلام وكونه على الحقّ.

يبدأ الكاتب بالاستدلال على إسلام قومه بالقول:

(فهل أفصَحُ من دليل كالذي سجَّلَه المختصّون بأنساب القبائل والعشائر وذكرهم لبطون يزيدية منها، والتي يعود تاريخ إسلام أجدادها وجهادهم في سبيل الله إلى حياة سيّدنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[1].

والنماذج المذكورة تنطبق حالتها على القبائل اليزيدية الكردية أيضاً، إذ أنَّ المؤامرة أو الفتنة التي اعترضت المسيرة الدينية في القرن السادس الهجري من كرد وعرب استهدفتهم من إسلامهم...؟!).

ويواصل استدلاله موضّحاً أنَّ هناك خطّة تحريفية أمويّة بالقول:

(ثمّ.. ما عسى أن يكون ذلك الأمر المريب الذي أحال مسيرة هؤلاء المسلمين إلى انتكاسة وضياع؟ والأمر المريب الذي عبَّر المؤلّفون والباحثون عن مجموعه بالغموض، عبَّرنا بدورنا عنه بالفتنة أو المؤامرة، وكما سيبدو فإنَّ الفارق بيننا وبينهم في التحليل، كالفارق أحياناً بين الصدفة والخطّة...

فعن الاحتمال القائل باشتقاق (يزيدية)، لأنَّهم من أهل (يزد) الفارسية، أو أتباع ليزدان، سيجد المطالع نفسه آخذاً بأحد أمرين لا ثالث لهم، وهما:

---

(١) راجع: عشائر العراق للعزّاوي ٢: ٢٠١ ـ ٢٠٤؛ موسوعة العشائر العراقية للعامري ٦: ٢٠٣ ـ ٢١٦. ومن اليزيديين من ينتمي إلى عشائر: العبيد، وطيء (الهبابات)، وعنزة، وشهوان، والجنابيين، وجحيش، والخالدي... الخ.

١ ـ هل هي الصدفة التي قاربت بين الحروف والأسماء (يزد، يزيد، يزدان)، فدفعت بأهل أو أتباع (يزد أو يزدان) للارتماء في أحضان أبناء يزيد؟

٢ ـ أم هي خطّة، عَمَدَ أصحابها إلى تضليل لا أساس له، بخلط مجرَّد أسماء (يزد، يزدان) إلى اسم يزيد؟

وشتّان بين الصدفة والخطّة.

فإنَّ الفاصل بين الصدفة والخطّة، كالفاصل بين الأرض والسماء، وأنا بدوري ممَّن يكذّب هذه الصدفة، لعلمي اليوم أنَّها خطّة متقنة استمرَّ على مواصلتها نسلُ حقود (منذ القرن السادس الهجري)، وخطّة أبناء هذا النسل ما زالت سارية منذ ذلك الحين وحتَّى هذه الساعة، وبأشكال مختلفة؛ إذ ما زال قومي يتذكَّرون حدثاً في أيّام الحرب، وهذا الحدث (الأنموذج) وحده سيفتح الأذهان عن مدى استهانة أمراء اليزيدية المتعاقبين واستهتارهم بمقدراتنا وتلاعبهم بمصائرنا كيف ما شاءوا).

(فثَمَّة صفقة بيع وشراء رابحة تمَّت بين أمير اليزيدية ـ في أواسط الثمانينيات ـ وبين ممثّلي الحكومة نقلت اليزيديين بدقائق من قومية إلى قومية أخرى...!).

(فما بالك عن أصلنا الديني، وأبناء هذا النسل أحاطوا به طعناً وتجريحاً، ومنذ أكثر من ثمانمائة عام؟).

ثمّ يبحث الكاتب في الوثائق والشواهد التي تدلُّ على إسلام القوم فيقول:

(ووثائقياً.. فإنَّ (زعماً!) فات الأستاذ الحسني التفحّص فيه، والتعامل معه، حيث ذكره سريعاً في كتابه (اليزيديون) من أنَّ ـ في بعشيقة ـ معبد شيخ محمّد ويزعمون أنَّه محمّد بن سيّدنا الإمام علي والذي يُعرف باسم قبيلة والدته أيضاً (محمّد بن الحنفية).

أمَّا الدملوجي (صاحب الاحتمال المانوي) وفي (الصفحة ٤٤) من كتابه فقد ناقض نفسه ونقض بدليله التالي احتمالات أخرى حين راح يؤكّد من أنَّ بعض الأسر اليزيدية - ممَّن التهمت أسلافهم الفتنة - تنتمي بنسبها إلى سيّدنا الإمام علي[(١)].

وميدانياً.. فيسيراً تلمَّس ذلك الحبّ والشغف الغامضين عند بني قومنا، فتراه انطبع مباشرةً على الأسماء، وإلاَّ ما تفسير هذا الاحتضان المتواصل ومنذ القدم للأسماء الكريمة (حسين، علي، حسن، قاسم[(٢)] ...)، واتّخاذها لأبنائهم وذويهم جيلاً بعد جيل - وبنسب ممتازة قياساً لبقية الأسماء - حتَّى وَجَدَت طريقها إلى بيوت الأمراء من قبل لكثرتها. غير أنَّ أسماء مرتعشة - حيث لا تجد بينها علاقة ما غير تضليل القوم - تحكي عن الحقيقة الكذوب للأمراء وأقربائهم، وإلاَّ ما معنى اجتماع الأسماء الآتية.. فرعون وزرادشت ومعاوية ويزيد فيهم...؟).

ثمّ يتابع الكاتب استدلاله بالقول:

(إن كان أجدادنا غير مسلمين فما علاقتهم بعادي؟

إنَّه تساؤل مطروح بصيغ متعدّدة، ليدحض بدوره شبهات البحوث المضطربة، ما إن تمعَّن به أيّ شخص لاكتشف بسهولة من أنَّ فجوة عريضة، أو حلقة مفقودة جسَّدت (لا ترابط واضحاً).

فلو كان أجدادنا (مانويين، أو يزيديين، أو صابئة...) فما القاسم المشترك الذي يجمعهم بعادي؟ والتساؤل المذكور نعني به إلفات الأنظار إلى الأصل الصادق قبل الفتنة، والذي لا تنتظم صورة الحقائق إلاَّ به، لهذا.. سيبدو شرحنا وتحرّينا - بُغية فكّ الملابسات - جديداً على الأسماع، فلو عرضنا أوّل بَدء دوافع خطّة الأمراء والمتمشيخين

(١) ما الذي منع المؤلّف من استدلال الدليل على إسلاميّة قومنا قبل عادي، على ضوء النموذج المذكور؟

(٢) اسم الابن الأكبر لسيّدنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

من تحريم التعلّم والتعليم على اليزيديين[(١)] لما تبيَّنت منها غاية غير قطع الطريق أمام احتمال عثور هؤلاء القوم على أصلهم الديني).

ثمّ إنَّ الكاتب وهو يبحث ويستدلّ على إسلام القوم ينتقد المؤلّفين والباحثين – الذين تناولوا اليزيدية بالبحث – مرَّة أخرى ويقول:

(عندما أهمل المؤلّفون والباحثون التفصيل في بديهيات وثوابت مهمّة، اتَّجهت رؤاهم بالضرورة إلى فرض التكهّنات والاحتمالات. فالبديهيات المتَّفق عليها أدرجناها بلغة مُبسَّطة وبالشكل الآتي:

١ – إنَّ عادي شيخ لطريقة صوفية.

٢ – إنَّ شيخ الطريقة (بالضرورة) مسلم، ومن مظاهره التنسّك والزهد.

٣ – اقتصار الطريقة أو الطرائق الصوفية (لما فيها) على مسلمين[(٢)].

إذن والحديث سيتركَّز عند هذه الفجوة، والتي ستأخذ بنا ثانيةً إلى الأصل الديني ما قبل عادي.

فهل أنَّ عادياً دعا إلى طريقته الصوفية أناساً غير مسلمين، كمانويين، أو صابئة، أو مجوس، أو... مثلاً؟

ومثل هذا غير ممكن لما تفرضه إجماعات الطرائق الصوفية على أتباعها من قراءات.

(١) شذَّ هؤلاء المنتسبين للأمويّة (وأعني بيوت الأمراء وأقربائهم) عن تطبيق خطَّتهم المذكورة، إذ أنَّ القراءة والكتابة كانت حصراً بهم على مدى عصور التحريم، ومن ثمَّ فإنَّ تحريمهم التعليم استهدف الأبعدين من القوم – ممَّن لا علاقة لهم بالأمويّة – وبدءُ توجّه القوم إلى طلب العلم لم يكن لتساهل الأمراء أو تسامح متمشيخيهم – كما كتب البعض –، بل جاء نتيجة ردَّة فعل غاضبة لشعور متراكم بالتفرقة، فكان البغض للأمراء وجماعتهم طبيعياً حينما يرى قومنا حتَّى بعض الإناث من بيت الأمير وأقربائه ممَّن نلنَ الشهادات، أو من خرّيجات الجامعات.

(٢) أي إنَّها وقفاً على مسلمين ممَّن يجدون في الممارسات الروحية الطرائقية وسائل لبلوغ هدف (القربة والرضى).

أم أنَّ عادياً استطاع بتلك السنوات أو العقود التي قضاها في تلك المواطن، أن يهدي أهلها إلى الإسلام مرَّة، ومن ثَمَّ يدفع بهم إلى التصوّف والطريقة مرَّة أخرى؟

إنَّ الأدلَّة التي تنقض هذا الافتراض هي:

الدليل الفلسفي

أ - إنَّ تصوّف قومنا السابقين (من بعد تحوّلهم المفترض إلى الإسلام) يوحي بانشدادهم العميق للدين، فما الداعي إلى عودتهم لأفكار قديمة مثل زرادشتية أو مانوية... الخ (على فرض أنَّهم كانوا غير مسلمين)؟

ب - ما يدلُّ على تفعيل أولئك المسلمين الأبرياء لأفكار الطريقة وشيخها - بدعوى نيل غاية أخروية - هو انغمارهم في التصوّف - كما ستثبت أدلَّة الفصول اللاحقة - لا الاحتمال القائل: إنَّهم عادوا إلى أفكار قديمة - يفترض أنَّهم كانوا عليها - وبعد مرور أكثر من مائة عام.

الدليل التاريخي

لكي نتلافى الالتباس، فإنَّ مفهوم هداية قوم ما إلى الإسلام، مستقلّ تماماً عن مفهوم ضمّ قوم إلى طريقة صوفية، ولا مجال للقياس بينهما.

فلو أنَّ عادياً سعى في هداية قوم إلى الإسلام لَوَرَدَ ذكر ذلك في التاريخ أضعاف ما تواتر من ذكر تأسيسه لطريقة صوفية والتي اشتهر بها، وما لمسناه هو وفرة الأدلَّة وتواترها إلى حدود تأسيسه الطريقة المذكورة، وانضمام أتباع لها من أهل تلك المناطق، أمَّا هدايته لقوم، فلم يرد ذكر شيء من ذلك.

وإجابة التأريخ على تلك الاحتمالات، هي:

إنَّ أجدادنا من قبل نفوذ عادي في مواطنهم كان دينهم الإسلام، وما استطاعه عادي هو استقطابه إيّاهم للتصوّف ولطريقته الصوفية، لا غير.

كتب المرحوم أحمد تيمور المصري في كتابه (اليزيدية/ ط ٢) في (الصفحة ٥٧)، ونقلها الحسني في كتابه (اليزيديون):

(... وتسامع به الناس (أي بعادي) فقصدوه من الأطراف للاسترشاد، ثمّ انتقل إلى جبال هكّار موطن الأكراد، فتبعه خلقٌ كثير منهم، اتَّخذ منهم المريدين، وأحدث الطريقة العدوية).

فما الذي دفع بأولئك الناس ليقصدوه ويسترشدوه إلاَّ كونهم مسلمين؟

ودوَّن ابن خلّكان من قبل والمتوفّى في (٦٨١هـ) في كتابه[١] ذات الرؤية المذكورة، وذكرها الدملوجي بتغافل كعادته. فهل أنَّ أهل تلك النواحي مالوا إلى عادي بتأثير دافع ديني إسلامي، أم بدافع مانوي، أم يزدي، أم يزداني، أم كلداني، أم صابئي...؟

والهدف من ذكر عبارات، ورؤى المصادر الجديدة والقديمة، إثبات أمرين كما أسلفنا:

١ - إسلاميّة القوم من قبل عادي (من خلال الأدلَّة والقرائن التأريخية).

٢ - عدم وجود أيّ دليل تاريخي يصرّح بانتماءات أخرى للقوم، كالتي ذكرها أصحاب البحوث واحتملها بعض المؤلّفين.

وتكمّل الوثائق التي ذكرناها شهادة جديرة في (الكامل في التأريخ) نافيةً بدورها تلك المزاعم والفرضيات الحائرة: (مانوية، أموية، زرادشتية، يزد... الخ)، فأهمّية تلك

(١) جاء في كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلّكان (ج ٣/ ص ٢٥٤): (ومال إليه أهل تلك النواحي).

الشهادة تكمن في ميزات لابن الأثير مدوّن التأريخ المذكور، فهو وليد المدّة التي عاش فيها عادي، كما وأنَّه ابن تلك المنطقة الموصلية، والأعرف بتحوّلاتها، لم يأتِ أو يدلي في سطوره الأربعة عند ذكر ملّتنا -آنذاك- وعادي بقرينة أو إيحاء أو علاقة أو أيّة سابقة باحتمالات المؤلّفين، أو أنَّ فضلاً لعادي بهدي قوم ما إلى الإسلام، إنَّما أشار ابن الأثير إلى صفة دينية مثل التزهّد لعادي، والتي تجد وقعها عادةً في نفوس أهلها من المسلمين لطبيعتهم الدينية، وعلى هذا: (... وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي وأطاعوه، وحسنوا الظنّ به...)[1]، ثمّ شرع يستحدث منهم طريقته الصوفية).

كيف حصلت الفتنة؟

بعد أن دافع الكاتب عن الأصل الإسلامي لقومه يتساءل عن كيفية حصول الانحراف وتمكّن حلقات الفتنة من محاصرتهم، فيقول:

(التناقض بين الماضي الديني لقومنا وحاضرهم يبعث بدوره سؤالاً عميقاً هو:

هل أنَّ تحوّل القوم عن دينهم الإسلام من قبل، كان بإرادتهم أم بغير إرادتهم؟

والجواب الكبير: إنَّ تحوّل القوم عن دينهم لم يكن بإرادتهم، ذلك لأنَّ أفكار الانحراف الصوفية كانت تُمرّر بغطاء ديني مُحبّب في عقائد أولئك المسلمين، وإنفاذها كان بطيئاً وبصفة روحية، ولو أنَّ انفصالهم عن دينهم كان شعورياً أو بمباشرة منهم لما تعيَّنت صورته بعد أكثر من مائة عام، بدءً من يوم حطَّ فيه عادي في موطن الأجداد.

وأنجزت رواية السمعاني أهمّ مفردات ما ذكرنا -والذي توفّي في (٥٦٢هـ)- أي بعد موت عادي بخمس سنوات، يشرح فيها السمعاني عن قومنا آنذاك في كتابه (الأنساب) في الصفحة (٦٠٠): (... يتزهَّدون في القرى التي في تلك الجبال، ويأكلون

---

(١) الكامل في التاريخ ١١: ٢٨٩.

الحلال، وقلَّما يخالطون الناس، ويعتقدون في يزيد بن معاوية الإمامة، وكونه على الحقّ! ورأيت جماعة منهم في جامع المرج...، وسمعت أنَّ الأديب الحسن بن بندار البروجردي، وكان فاضلاً مسفاراً، نزل عليهم مجتازاً، ودخل مسجداً لهم...)[1].

ومن الشاهد التأريخي نلمس أمرين:

أحدهما: أنَّ قومنا مسلمون وسِمَتهم المسجد والجامع.

والآخر: بروز واحدة من مؤشّرات الانحراف - آنذاك - من إيهام عادي لأجدادنا بقدسية رمز بغيض هو يزيد الأموي، وإدماج تلك الفكرة الشاذّة والمنشقّة في عقيدة القوم الدينية، عبر توظيفه (أي عادي) مزالق التصوّف لاعتبارات أمويّة.

وحاضرنا، ما زال يكتظّ بالنماذج المحرَّفة والمبدَّلة، والتي يكاد البعض منها ينطق لحاله عن أصل القوم الديني، والأنموذج الآتي يُعبّر عن نتاج روحي مُشوّه لتلاقح فكري خاطئ، وكذلك يحمل أنموذجنا دلالات عدَّة لموضوعات مختلفة سنطَّلع عليها لاحقاً.

فقد يستحضر الذهن من كلمة (الحجّ) زيارة البيت المحرَّم في مكّة المكرَّمة وما تضمّ من اعتلاء لجبل عرفات أيضاً، والارتواء من بئر زمزم هناك.. وغيرها، حيث تؤدّى تلك الشعائر - كما هو معروف - في شهر ذي الحجّة الحرام.. وعيد الأضحى.

أمَّا حجّ ملَّتنا الممسوخ - وللأسف - ففي قرية موصلية نائية حيث قبر المدعو عدي الأموي، وصعود تلّ بمقربة من القبر يسموّنه جبل عرفات، وعين ماء أُلبست من قبل اسم زمزم، وكذلك في شهر ذي الحجّة، أمَّا عيد الأضحى فقد احتضنوه، واعتزّوا به إلى اليوم - وإن دخل اعتزازهم أحاديث أخرى - لكنَّهم ظلّوا بحقّ يتوارثونه بصفاء إسلامهم من قبل عادي.

---

(١) الأنساب ٥ : ٦٩٣.

وهنا.. لا بدَّ من صورة ما بدأت تترسَّم أيضاً أمام القرّاء عن معنى وجود قبر ذلك الأموي بين تلك الموهمات، وهذا الأمر الذي عرضناه بما يكفي، يكشف عن مدسوسات فكرية أرساها الأموي في عقول أولئك المسلمين المعزولين).

ويدعم الكاتب كلامه هذا ببعض الشواهد ويوضّح سوء الفهم الحاصل عند البعض حولها، فيقول:

(وتتبيَّن صحَّة هذا الأمر من شواهد مُلفتة:

الأوّل: التلاقف الأموي لمشيخة الطريقة الصوفية.

والآخر: تسخير مجالها الروحي لصالحهم وغاياتهم.

فمن عادي إلى صخر ومنه إلى عدي الثاني وثمّ إلى شمس.. وعن الأخير تنبعث التأوّلات أيضاً، إذ يبدأ المؤلّفون بالسرد عن ظهور الزيغ والضلال والغُلو بين أتباع الطريقة الصوفية المذكورة في عهد مشيخة شمس للطريقة[1]، وإلقاء هؤلاء المؤلّفين فتنة الانحراف بكلّها على عاتقه من دون تسمية سابقيه، وذلك نتيجة استدلالات ظاهرية، من أنَّه أراد تنفيذ مطامح سياسية قديمة بالمريدين[2]، وأنَّه أملى في كتابه الجلوة عقائده المخالفة للإسلام، وأنَّه وجد نفسه ـ أي شمس ـ بمنزلة حتَّى نُبـِزَ بالمتألّه... إلى آخر الأقوال.

ونحن نتَّفق مع المؤلّفين، غير أنَّ لنا أن نسأل عن إمكانية حدوث كلّ تلك المفاجآت في عدّه الأخير شمس، ما لم تُخصَّب لها الأرضية من قبل.

وهذا التساؤل يجيب بذاته، من أنَّ التفجّر السلبي الحاصل، كان نتيجة تراكمات

---

(١) راجع: اليزيديون للحسني: ٢٧.

(٢) راجع: اليزيدية للدلموجي: ٨٤ و٨٥/ ط ١.

صوفية مضطردة، إنَّما طَفحت دلائلها في عهد شمس المذكور، ليستغلّها بالشكل الذي ذكره المؤلّفون.

وبمعنى أيسر: إنَّ شمس أفصح بعدائه عن اتّجاه المقاصد الأمويّة الخفية لسابقيه، فلو أنَّ التركيبة الأمويّة من قبل شمس (أي عادي، صخر، عدي الثاني) أهمّهم أمر الدين، وعملوا للغاية الدينية في أوساط المريدين لما استطاع شمس أن يملي عقائده ضدّ الدين، ولما استدعى ظهور الزيغ والضلال، ولما تمرَّد لإعادة الجاهلية، أو يُنبز بالمتألّه، ولكن النفر السابقين عملوا لترسيخ منحرفات التصوّف وإشاعة أمويّتهم.

ومن مفارقات الفتنة الظاهرة في عهد شمس، كان أهمّها انشعاب غايتين، فالرباعي الأموي أراد من وسيلة التصوّف الانفتال عن الإسلام والانفكاك عنه، وإعادة الحلم الجاهلي القديم، أمَّا الضحايا المريدون فقد أرادوا من وسيلة التصوّف المغلوط نيل الآخرة، والغايتان المتشابكتان بدخولها باكورة الأحداث الدامية في عهد مشيخة شمس، خرجت بانتصار الغاية الأمويّة على غاية المريدين[(١)]، ليضحى الشيطان والأمويّة ورضاهما، هما معيار القرب والسخط، أو قبول الأعمال وردّها إلى هذا اليوم.

ثمّ.. وعلى هذا الضياع تُولَد أجيال قومنا، وعلى الظلمات ترحل أخرى).

المنتفعون من الفتنة

يوضّح الكاتب هنا مَن هو المستفيد من ضلال القوم بصورة أوضح مع إيراد أمثلة وشواهد، فيقول:

---

(١) احتمل الدملوجي في كتابه اليزيدية (ص ٨٤): أنَّ شمس هو الذي بدأ بإضلال الأتباع والمريدين، وألبس في روحياتهم الأفكار الصوفية المنحرفة، والتي أراد منها إبراز نفسه بمنزلة المتألّه على القوم - وهذا خطأ شائن في تحليل المؤلّف المذكور -، إذ أنَّ الشواهد التاريخية والحاضرة التي ذكرناها تشير إلى من أفرغ فيهم أوّل بدء تلك الأفكار (ليتَّخذوا من قبره قبلة...).

(كما بدأت الفتنة – في القرن السادس الهجري – بالمكر، مضت على طبيعتها إلى اليوم تعتمد المكر، ولعلَّ من فروق الفتنة بين أمسها وحاضرها، أنَّ زارعها فرد، ورُعاتها اليوم كثُر (الأمير ومتمشيخوه).

لهذا كان وما زال التصنّع، والتلفيق، والخرافة، والزيف هي السائدة في ظلمات هذا الضياع، فالمتمشيخون ولطمر الحقيقة الدينية للقوم، ولملأ الفراغ الحاصل، عمدوا منذ ذلك الوقت إلى صناعة بدائل روحية، أو التقاطها من عقائد أخرى، لترقيع المتطّلبات الروحية التي فقدها القوم باستمرار على مدى ثمانية قرون أو أكثر. فلو راجعنا (وهذا فرض) كتابين يسمع بهما اليزيدي ولم يقرأهما هما: الجلوة ورَش، لَعُرف القصد من البدائل المزيَّفة، وبالأحرى التلفيق الأموي، والمكر.

ومن المكر أيضاً، ترويجهم بين البسطاء، الخوف من الوهم، أو الخرافة، أو الخوف من بيرا جنوكي، وهي العجوز التي تخنق كلّ من يستحم، وكل خيّاط في الأربعاء.

وتلك المصطنعات لم تكن لتجد موقعاً في العقول ما لم يمهِّد له من قبل تحريم متمشيخي الأمراء للتعليم، وإلاَّ من أين السبيل لاستبعاد عقول القوم باسم السماء، أو فرض سلطتهم عليهم بوجود الثقافة والعلم.

وسياسة التجهيل لها علاقة مباشرة مع مصالح الأمراء والمتمشيخين، وهنالك أمثلة كثيرة تعبّر عن انتهازيتهم للجهل، الجهل الذي فرضوه علينا والمحمول على هالة تقديس مصطنعة، والقصَّة التي يذكرها أهل خوشابا مثالاً لائقاً ينطبق على المنتفعين من التجهيل، فذلك المتمشيخ الذي أراد إيهام أهل القرية – لجمع دراهمهم – من أنَّ الشيء السيّار اللامع في السماء هو طاووس ملك، والذي ما مرَّ من سماء القرية إلاَّ للاحتفاء به! ولولا أن تدارك الموقف في الليلة الثانية زائر راح يبيّن لهم أنَّ الضوء السيّار اللامع (ومن بعد شرح) لم يكن إلاَّ قمراً صناعياً، اقتضى مروره من فوق سماء القرية.

والشيء الطافي في القصَّة اسم طاووس ملك، حتَّى ليبدو أنَّه شيءٌ ذو هيبة، فالطاووس هو المميَّز بين الطيور بألوانه وتكبّره وتغنّجه، أمَّا ملك فيعنون به الملائكة، وحين تُقلب الأسماء الممقوتة إلى أسماء دعائية رقيّة فللتخفيف من وطأتها على السامعين، وبذلك وجد الرجيم – وبمكيدة الأمويّة السوداء – مكاناً بين هؤلاء القوم المغلوبين على أمرهم.

ثمّ إنَّ المتمشيخين – ومن بعد إحلالهم الظلمات بالمكر – من قبل، لم يجدوا ما ينتفعون به بعدئذٍ من طاووس الضلال، فجسَّدته مخيّلتهم القديمة الضالّة دمية من معدن، ثمّ غدوا يدورون به القرى التابعة المسكينة، للتكسّب.

غير أنَّ مواقف تكرَّرت للأهالي الغاضبين من تلك الألاعيب جعلت من المتمشيخين لا يخرجون بطاووسهم من تلك النواحي والقرى إلاَّ فراراً، حيث انتظرهم الأهالي، وبدلاً من أن تتطاير النقود، جاءتهم الحجارة من كلّ صوب، وما دخلوا بجزاني بعد تلك الحادثة إلاَّ بعد توسّط العجائز، ومثلها هزيمة المتمشيخين في قرية دهوله في سنجار.

وهؤلاء المتمشيخون ليس لهم إلاَّ الفتات، إذ يبقى المنتفع الأوّل يقف وراء الستار، وهو على سرّ آبائه، ونفع الأمير من إبقاء قومنا على الظلمات أن تتضاعف أمواله الشخصية في مصارف الأموال الأجنبية، وتتكدَّس أرباحه من عائدات مصانعه في الخارج، وكأنَّ كلّ هذا لم يكفه فتراه يبدأ في مطلع كلّ موسم بإجراء مزايدة علنية على قبر؟ في لالش، عدا ما يجمعه في المناسبات وبعناوين مختلفة.

ومن هنا يمكن استقراء الفاصل بين المتَّخم وأتباعه من جهة والضحايا من جهة أخرى).

(٢٠)

عبد العزيز الحنفي

(حنفي/ باكستان)

ولد سنة (١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م) ونشأ في أسرة سُنّية حنفية المذهب، عمل موظّفاً حكومياً في سيالكوت.

يقول عبد العزيز: (كانت بالقرب منّا قرية تسمّى (خانبور سيدان) يسكنها الشيعة، وكانوا يقيمون المآتم في أيّام محرَّم، فكنت أحضر تلك المجالس إلى أن منعني من الحضور فيها عمّي قائلاً: إنَّ النظر إلى مواكبهم يوجب بطلان الزواج للرجال المتزوّجين وللنساء المتزوّجات!

انتقلت في سنة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) من (جوندا) إلى المدرسة الحكومية الثانوية في مدينة (قصور)، فصادفت فيها صديقين أحدهما شيعي والآخر سُنّي، وكانا في ضمن الاستعداد للامتحان السنوي للحصول على شهادة (منشي فاضل) يتباحثان في مختلف المسائل الدينية، فشاركتهما في بحثهما وأنست بهما.

طالعت كتابين كان لهما الأثر في فهمي بعض الأمور الدينية:

أحدهما: (أربع مقالات) وقد راقني من مقدّمته: كلمة الله، النبيّ، الإمام، الخلافة، الحكومة.

وثانيهما: (تاريخ بني أميّة) المقرَّر بوصفه درساً في الجامعة، ويشتمل على أحوال معاوية ويزيد ومروان وأضرابهم، ومن الموضوعات التي جلبت انتباهي فيه: (منع عمر بن عبد العزيز سبّ الإمام علي عليه السلام).

عاودت الحضور في مجالس الشيعة واستمعت إلى علمائهم، وطالعت كتباً كثيرة حصلت عليها منهم فعرفت حقيقة مذهب السُنّة، ودور الحكومات الجائرة في تشييد أركانه.

انكشف لي الحقّ وأعلنت تشيّعي، وتشيَّع معي أهل بيتي، والحمد لله، وأسأل الله أن يجعل عاقبة أمرنا خيراً وأن يحشرنا تحت لواء علي عليه السلام ويسقينا من حوضه، إنَّه خير موفّق ومعين.

عداء أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم

يُعدُّ أهل البيت عليهم السلام امتداداً للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فهم ولاة الأمر بعده الذين تجب طاعتهم ومودَّتهم، وهم عدل القرآن الكريم الذين يوضّحونه ويفسّرونه للناس، ومنهم تؤخذ السُنّة النبوية المباركة، فهم الأمناء في حملها والعالمين بتفاصيلها.

وقد تصدّى أئمّة أهل البيت عليهم السلام لمسؤولياتهم الرسالية من دون أن يأخذهم في الله لومة لائم، فحافظوا على الرسالة، ودافعوا عن الحقّ في مواجهة المنحرفين والمغتصبين والمنافقين، وأصحاب البدع، وعلماء السوء، وغيرهم.

هذا وقد أكَّد القرآن المجيد، والرسول الكريم على مودَّهم والصلاة عليهم، قال تعالى:

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ (الشورى: ٢٣).

وجاء في السُنّة النبوية المباركة: أنَّ الصلاة عليهم (اللّهمّ صلّ علي محمّد وآل محمّد) جزءٌ من الصلاة الواجبة.

هذا وقد عبَّر الشافعي - وهو أحد أئمّة المذاهب السُنّية الأربعة - عن ذلك بالقول:

يا آل بيت رسول الله حبّكم — فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن أنَّكم — من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[1]

هذا ولكن الذي جرى في تاريخ المسلمين أنَّ أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم واجهوا القتل والتشريد والسبّ والأذى طيلة قرون متواصلة على يد الأمويّين والعبّاسيين والعثمانيين وغيرهم، ومع ذلك كلّه لم يخمد نشاطهم، ولم تطمس معالم مدرستهم الدينية التي هي مدرسة الإسلام، وذلك للحماية الإلهيّة أوّلاً، وللجهود العظيمة والخدمات الجليلة التي قام بها أهل البيت عليهم السلام للإسلام والمسلمين ثانياً بحيث لم يستطع الظالمون محو آثارها، أو منع المسلمين من الانجذاب إليها.

إنَّ التخلّف والتشتّت اللذين يواجههما المسلمون اليوم يعود إلى إبعاد أهل البيت عليهم السلام عن أداء دورهم الحقيقي في قيادة المسلمين إلى الفلاح وإلى استبدالهم بآخرين نتيجة الانحراف، وسوء الاختيار باتّباع الأهواء.

---

(١) ينابيع المودَّة ٢: ٤٣٤.

لقد قام أئمّة أهل البيت عليهم السلام بتربية شيعتهم على أخلاق عالية وكمالات سامية من العبادة والزهد، والإيمان والعمل، والإخلاص والتوكّل وطلب العلم، فأسَّسوا الحوزات العلمية التي حفظت العقيدة والشريعة في زمن غيبة المعصوم عليه السلام، كما أنَّ الارتباط بأهل البيت عليهم السلام والولاء لهم نفسه صار سبباً في حفظ هويّة الشيعة الإسلاميّة نقيّة حيّة.

ومن أبرز علائم الولاء هو الشعائر الحسينية التي ربطت الشيعة الكرام بأئمّتهم العظام ولاسيّما الإمام الحسين الشهيد الذي هو خامس آل الكساء وأبو التسعة من الأئمّة المعصومين من آل البيت عليهم السلام.

❊ ❊ ❊

(٢١)

غلام ربّاني مرزا

(حنفي/ باكستان)

ولـد سـنة (١٣٣٩هــ/ ١٩٢١م) في قريـة (اهتـه الـصغيرة) ناحيـة (كوجرخـان) التابعة للواء (راولبندي) في الباكستان، ونشأ في أسـرة معروفـة باسـم (مغـول كـشمير)، عمل محامياً ثمّ اعتنق مذهب الشيعة الإمامية سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤١م).

تأثّره بثورة الإمام الحسين عليه السلام

يقول غلام: (تشيَّعت تأثّراً بعزاء أبي عبـد الله الحـسين عليـه الـسلام، إذ جَـذبني فيه أجواؤه الروحانية، وهـزَّني تجسيده لمظـاهر الظلـم الـتي عاناهـا أهـل البيـت علـيهم الـسلام وعيـالهم وأطفـالهم مـن أجـل تثبيـت رسـالة الإسـلام، وحفظهـا مـن أعـدائها الطغاة، ممَّا كان سبباً في معرفتي بالدور الإلهي المناط بآل البيـت دون غيرهـم، فتمـسَّكت بهم كما هو المطلوب من جميع المسلمين التمسّك بهـم أئمّـة للمـسلمين بعـد رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

أثر النهضة الحسينية في الوجدان البشري

إنَّ أحداث قيام الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده وإن وقعت في مكان محدود وزمان محصور إلاَّ أنَّها امتدَّت على طول الزمان، واستمرَّت حيّة نابضة بالقيم العليا إلى يومنا هذا وسوف تستمرّ أيضاً إلى أن يؤخذ بثأره - وهو ثأر الله - على يد ولده الحجّة صاحب الزمان الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وبنحو عام فإنَّ قضيّة الإمام الحسين عليه السلام فتحت أعين الكثيرين على حقيقة الدين، وجلت بصائر المستبصرين إلى معرفة حقيقة الولاية، فكم من مستبصر شيَّعه الإمام الحسين عليه السلام، وكم من تائه هزَّه نداء الإمام الحسين عليه السلام، وكم من متعطّش للعدل رواه الإمام الحسين عليه السلام.

لقد أعطى الإمام الحسين عليه السلام كلّ ما عنده لله فأعطاه الله كلّ ما عنده، وهل ينتهي ما عند الله؟ وهذا هو الفوز العظيم الذي يتمنّاه كلّ مؤمن، فطوبى للحسين ولمحبّ الحسين، وليذهب أعداؤه إلى نار جهنَّم خاسئين ملعونين من الأوّلين والآخرين.

إنَّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، يهتدي بهداه من أراد الله له الهداية، أمَّا الذين في قلوبهم مرض فلا يهتدون بهداه.

* * *

(٢٢)

غوث بخش كهوكهر

(حنفي/ باكستان)

ولد عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م) في (جاه حسين وآله) بباكستان، درس بعد استبصاره لمدَّة سبع سنوات في معهد (ضلع مظفَّر كهر)، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف للدراسة في الحوزة العلمية.

طريقي إلى الاستبصار

يقول (غوث بخش): (كانت لي رغبة قويّة في طلب العلم، وكنت أطالع الكتب الدينية بشوق واهتمام، فوقع ذات يوم في يدي كتاب عنوانه (تعليم الإسلام)[1]، وهو كتاب قد وضعه مؤلّفه ليدرَّس في المدارس الابتدائية، بدأت بمطالعة الكتاب فوجدت فيه تراجم مفصَّلة للخلفاء الثلاثة الأوائل، وعندما تعرَّض الكتاب لترجمة الإمام علي

(١) تأليف مفتي كفاية الله.

بن أبي طالب عليه السلام وجدته قد اكتفى بالنزر اليسير، فلفت هذا الأمر انتباهي، وتعجَّبت منه، وتساءلت مع نفسي: ما الفرق بين الخلفاء الراشدين حتَّى يتصرَّف مؤلّف الكتاب بهذا الشكل؟ فالإمام علي عليه السلام لا يقلُّ عن الخلفاء الثلاثة إن لم يكن أفضل منهم بمواقفه المشهورة وبطولاته المحمودة، ونسبه الرفيع، فهو من بني هاشم وابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم!

صادف بعد ذلك أن زارني في بيتي أحد السادة الكرام الذين ينتهي نسبهم إلى البيت العلوي الشريف، فدار بيننا حوار حول الأمور الدينية والمذهبية فسألني ذلك العالم عن مذهبي، فأجبته أنّي على مذهب الإمام أبي حنيفة، وسألني من هو إمامك؟ فقلت: أمَّا إمامي الأوّل: فأبو بكر، والثاني: عمر، والثالث: عثمان، والرابع: علي، والخامس: معاوية، والسادس: يزيد، فتأوَّه السيّد وقال: يزيد قاتل الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إمامك!؟ ثُمّ أخذ يسرد لي جرائمه ويصف لي أحواله، فأخذني الهمّ والغمّ، وصرت أفكّر في كلامه، فقال لي: إن كنت تريد الجنّة، فتمسَّك بعلي عليه السلام وأولاده المعصومين فقط، فهم الثقل الموازي للقرآن، ودع عنك بني أميّة وأشباههم، ثمّ قال لي: اذهب وحقّق الأمر بنفسك، فستجد صحَّة ما أقوله لك وهو عين الصواب. وبالفعل واصلت مطالعاتي).

شخصية يزيد بن معاوية

وجد (غوث بخش) بأنَّ يزيد من الشجرة الملعونة في القرآن، وهم بني أميّة، وقد قال تعالى:

﴿وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: ٦٠).

الأصل كلّه ملعون، من الجدود إلى الأحفاد، من أميّة إلى آخر الفروع ويزيد هو الفرع الأفسد، الغصن الأنتن، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ على عهدة رواية صاحب الصواعق المحرقة ـ: «أوّل من يبدّل سُنّتي رجل من بني أميّة يقال له: يزيد»[1].

ويزيد هو ابن معاوية رأس الفئة الباغية، فقد تواترت الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنَّه قُتل مع علي بصفّين[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»[3].

ويزيد حفيد (هند)، وهند كانت زانية، وذكر بعضهم أنَّها كانت من ذوات الأعلام[4]، لا ترد أحداً، ولا تمنع لامساً. وذكروا: (أنَّه لّما كان يوم فتح مكّة، بايعت النساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونزلت الآية:

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ ...﴾ (الممتحنة: ١٢).

فأخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليهنَّ الشروط الواردة في هذه الآية... إلى أن قال: «ولا يزنين»، قالت هند: وهل تزني الحرّة؟ فتبسَّم عمر بن الخطّاب...)[5]، وهند آكلة الأكباد، لفظ فوها كبد حمزة، وشربت دمه، ثمّ قطعت أصابع يديه ورجليه،

(١) الصواعق المحرقة ٢: ٦٣٣.

(٢) الإصابة لابن حجر ٤: ٤٧٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦؛ تاريخ الطبري ٨: ١٨٦.

(٤) ناسخ التواريخ: ٣٢٩.

(٥) أنظر: تفسير مجمع البيان ٩: ٤٥٧؛ تفسير الكشّاف ٤: ٩٥؛ مسند أبي يعلى ٨: ١٩٥/ ح ٤٧٥٤.

وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وجعلت ذلك خيطاً كالقلادة في عنقها[(١)].

وإلى هـذا الموقـف أشـارت زينـب الكـبرى عقيلـة بـني هاشـم في خطبتـها عنـد مواجهتها ليزيد: (وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فـوه أكبـاد الأزكيـاء، ونبـت لحمـه مـن دماء الشهداء؟)[(٢)].

يزيد الذي لا يعرف الإسلام، كان كفره صريحاً فأنشد قائلاً:

لعبـــت هاشـــم بالملــــك فـــلا خـــبر جـــاء ولا وحـــي نـــزل[(٣)]

وكان قد نشأ في أحضان النصارى، عند أخواله بني كلـب في (حـوّارين) وقـضى معظم أيّام حياته هناك أيضاً لاهياً بشرب الخمور، ومتشاغلاً بارتكاب الفجور، هذا ولم يكتف يزيد بقتل الحسين عليه الـسلام وأولاده وأصـحابه، بـل ارتكـب مـن الجـرائم مـا يندى له جبين الإنسانية، فقد انتهك حرمة رسـول الله في واقعـة الحَـرّة بالمدينـة المنـوَّرة، حيث أباح المدينة ثلاثة أيّام، فدخل القوم المدينة، وجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون ويستبيحون النساء، حيث انتهكت ألف عذراء، وحملت سـبعمائة امـرأة مـن زنـا أفـراد جـيش الـشام، وأُخـذت البيعـة مـن البـاقين ـ وفـيهم أولاد الـصحابة مـن المهـاجرين والأنصار ـ على أنَّهم خول (عبيد) ليزيد يقضي فـيهم مـا يـشاء، ومـن رفـض ضـرب عنقه[(٤)].

ثمّ بعث جنوداً رموا الكعبة البيت الحرام بالمنجنيق، وحرقوها بالنار[(٥)].

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ١٢؛ إمتاع الأسماع ١ : ١٦٦؛ السيرة الحلبية ٢ : ٥٣٠.

(٢) اللهوف: ١٠٦؛ بحار الأنوار ٤٥ : ١٣٤.

(٣) تاريخ الطبري ٨ : ١٨٨؛ البداية والنهاية ٨ : ٢٤٦؛ اللهوف: ١٠٥.

(٤) أنظر: تاريخ الطبري ٤ : ٣٧٩؛ تاريخ مدينة دمشق ٥٨ : ١٠٥؛ تاريخ الإسلام ٥ : ٢٩.

(٥) أنظر: الوافي بالوفيات ١٣ : ٥٧؛ تاريخ ابن خلدون ٣ : ٣٨.

وصف عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة) يزيد، فقال: (فوَالله ما خرجنا على يزيد حتَّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنَّه رجل ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة)[١].

وقال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً والي المدينة: «... ويزيد رجل فاسق شارب للخمر قاتل النفس المحرَّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[٢].

اتّباع الحقّ

ويضيف غوث بخش: (تتبَّعت ذكر أهل البيت عليهم السلام في الكتب، فوجدت أنَّ علماءنا يمارسون بتر الحقيقة، ويخفون الفضائل العظيمة لأهل البيت، فعرفت أنَّ الحقّ مع الشيعة في ولائهم المطلق لآل البيت عليهم السلام فالتحقت بركبهم، وتمسَّكت بولايتهم، وكان ذلك في سنة (١٣٧٦هـ)، وقد دفعني حبّي لمولاي الإمام علي عليه السلام أن أختار لنفسي اسم (غلام علي)، والحمد لله على الهداية).



(١) طبقات ابن سعد ٥: ٦٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٤٢٩.

(٢) اللهوف: ١٧.

(٢٣)

فريد الهيول

(مالكي/ الجزائر)

ولد عام (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م)، في الجزائر بمدينة (بتنا)، نشأ في أوساط أسرة مالكية المذهب فتعلَّم منها معتقداته الدينية ومناهجه العبادية.

قصد السفر إلى لبنان برفقة أحد أصدقائه بغية الحصول على عمل يوفّر لنفسه بواسطته معيشته المادّية، ولكنَّه كان لا يدري ما قدَّر له القضاء الإلهي، فالتقى في سوريا وهو عازم على السفر إلى لبنان برجل دين شيعي يُدعى السيّد أحمد العلوي، فغيَّر هذا اللقاء مجرى حياته، لأنَّه أُعجب بالسيّد وبكلامه الشيّق والعذب المليء بالنفحات القدسية، فأسمعه السيّد أحاديث أهل البيت عليهم السلام حتَّى تفتَّحت بصيرته وازدادت محبّة عترة الرسول في قلبه.

وعندما وجد السيّد أحمد رغبة (فريد) لمعرفة أقوال أهل البيت عليهم السلام شجَّعه للهجرة إلى مدينة قم في إيران والانتساب إلى الحوزة العلمية، فقبل (فريد) مقترح السيّد ودفعه الشوق لطلب علوم آل محمّد إلى تقبّل عناء الهجرة وسافر إلى مدينة قم وبدأ رحلته العلمية، وتعرَّف على الطلبة الجزائريين المقيمين في مدينة قم والمنشغلين بدراسة علوم أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا بدأ (فريد) حواراته العلمية حتَّى تبيَّن له أحقّية مذهب أهل البيت عليهم السلام وأعلن استبصاره.

مزايا الشيعة

من المسائل التي اهتمَّ بها (فريد) أثناء استبصاره هي مسألة السجود على التربة الحسينية، لأنَّه وجد المخالفين لمذهب التشيّع يتشبَّثون بها لخلق الحواجز بين الناس والتشيّع.

وقرأ (فريد) في هذا الصعيد كتاب (السجود على التربة الحسينية عند الشيعة) تأليف الشيخ باقر شريف القرشي، فعرف في ضوء قراءته لهذا الكتاب بأنَّ الشيعة سلكت في إطارها العقائدي مسلكاً مشرقاً اتَّسم بأنَّه من أوضح المناهج ومن أكثرها واقعية ومن أشدّها التصاقاً بسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والتزاماً بحرفية ما جاء عنه، ولم تلغ الشيعة نصّاً من شريعة الله، ولم تبدّل أو تغيّر حكماً من أحكام الله، كما لم تبتدع حكماً قبال أحكامه تعالى، وقد واكبت سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتَّبعت سُنّته وتمسَّكت بجميع ما أثر عنه، وهي - من دون مغالاة - من أظهر الفِرَق الإسلاميّة تمسّكاً بكتاب الله وولاءً لعترة رسوله، لم تشذ عن هذين المنهجين ولم تنحرف عنهما، وإنَّما سايرهما لا عن هوى أو تقليد وإنَّما اتّباعاً للأدلَّة القطعية التي فرضت على كلّ مسلم التمسّك بالثقلين كما أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وجعله ضماناً لأمّته ووقايةً لها من الانحراف والتردّي في مجاهل هذه الحياة.

وتبنَّت الشيعة بصورة إيجابية ومتميّزة الولاء لأهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل، وولاؤهم قائم في أعماق قلوبهم ودخائل

نفوسهم سرى فيهم كما يسري الدم في عروقهم، ولم يكن ذلك - يعلم الله - عن غلو وإفراط في الولاء والحبّ، وإنَّما كان منبعثاً عن وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيهم وإلزامه بمودَّتهم، فقد أثرت عنه في ذلك كوكبة من النصوص المتواترة التي لا يخالجها شكّ، ولا يسع المسلم أن يتغاضى عنها أو يتجاهلها، ومن أبرزها حديث الثقلين، فقد قرنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمحكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما جعلهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق وهوى، وأنتم من الأمّة بمنزلة الرأس من الجسد، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تلزم المسلمين بمودَّتهم والولاء لهم[1].

الشيعة والسجود على التربة

نظراً لأهمّية السجود، ولأنَّه جزء من العبادة يشترط فيه:

أوّلاً: أن يكون السجود على الأرض، وقد تظافرت الأخبار بذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعن بعض صحابته، وهذه بعض الأخبار:

أ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيّما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصلّ»[2].

ب - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر:

«الأرض لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاة فصلّ»[3].

---

(١) السجود على التربة الحسينية: ٩ و١٠.

(٢) صحيح البخاري ١: ١٣؛ سنن البيهقي ١: ٢١٢.

(٣) صحيح مسلم ٢: ٦٣.

ج – روى ابن عبّاس أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سجد على الحجر[١].

د – روى أنس بن مالك، قال: كنّا نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شدَّة الحرّ، فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه[٢].

ثانياً: يشترط أن يكون المكان الذي يسجد عليه المصلّي مباحاً، فلو كان مغصوباً عيناً أو منفعةً فلا يصحُّ السجود عليه.

ثالثاً: يشترط في المكان الذي يسجد عليه أن يكون طاهراً، فلو كان نجساً فلا يصحُّ السجود عليه.

رابعاً: أن لا يكون من جنس المأكول والملبوس، فلو كان منهما فلا يصحُّ السجود عليه في الصلاة[٣].

الشيعة والسجود على التربة الحسينية

حظيت أرض كربلاء باهتمام بالغ عند الشيعة، فهي عندهم أرض مقدَّسة، ومن مظاهر تقديسها عندهم السجود على تربتها في الصلاة المفروضة والمندوبة، واتّخاذ أقراص منها في الجوامع والتكايا للسجود عليها.

واتَّهم بعض من لا حريجة له في الدين الشيعة بأنَّهم اتَّخذوا التربة الحسينية صنماً يسجدون لها ويعبدونها من دون الله، وهذا من سخف القول، وضحالة الفكر والتردّي في الجهل، فالشيعة تعبد الله تعالى وحده لا تشرك به شيئاً، وإنَّما يسجدون على التربة الحسينية لقداستها وطهارتها.

(١) أنظر: مستدرك الحاكم ١: ٤٧٣؛ سنن الدارقطني ٢: ٢٥٤/ ح ٢٧١٥.

(٢) سنن البيهقي ٢: ١٠٦؛ مسند أبي يعلى ٧: ١٧٨/ ح ٤١٥٦.

(٣) أنظر: السجود على التربة الحسينية: ٢٣ - ٢٥.

ولم يكن سجود الشيعة على التربة الحسينية عن تعصّب أو هوى وتقليد، وإنَّما هو لأهمّية هذه التربة وقداستها، فعلى صعيد هذه التربة سفك دم الإمام الحسين عليه السلام والدماء الزكية من أبنائه وأهل بيته وأصحابه من أجلّ إعلاء كلمة الإسلام.

لقد أضاءت تلك الدماء الزكية طريق الحرّية والكرامة لجميع شعوب العالم، وأوّل من صلّى على التربة الحسينية هو الإمام زين العابدين عليه السلام، وذلك بعدما فرغ من دفن أبيه وأهل بيته وأنصاره، فقد أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف الذي خرقته سيوف الأمويين وكان يسجد عليها عند الصلاة.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرض السابعة»[(١)].

ومن هنا عرف (فريد) الحكمة من سجود الشيعة على التربة الحسينية ووجه مشروعية عملهم، وواصل بحثه حتّى أصبح ممَّن يسجدون على تربة الإمام الحسين عليه السلام عند الصلاة.

❊ ❊ ❊

(١) من لا يحضره الفقيه ١ : ٢٦٨/ ح ٨٢٩ .

(٢٤)

فضل أحمد شاه

(سُنّي/ باكستان)

ولـد سـنة (١٣٤٠هــ/ ١٩٢٢م) في (بيتالـه) الباكـستانية، ونـشأ في أسـرة سُـنّية المذهب، عمل في مجال الطبّ وكانـت لـه عيـادة خاصّـة في لاهـور. اعتنـق مـع زوجتـه وأولاده مذهب التشيّع سنة (١٩٥٣م).

انطباعي الأوّل عن الشيعة

يقول فضل أحمد: (كنت أكره الشيعة، وأتعامل معهـم بـشدَّة، حتَّـى أنّـي كنـت أعدّ الحضور في المجالس التي يقيمونها عزاءً لأبي عبد الله الحسين عليـه الـسلام إثمـاً كـبيراً لاعتقادي بأنَّ مذهب الشيعة باطل مـن أساسـه، ثمّ شـاءت الأقـدار أن ألتقـي بـشخص يعمل في إحدى الشركات، وكـان رجـلاً متحلّيـاً بـالأخلاق الطيّبـة بحيـث ارتاحـت لـه نفسي، وسكن له قلبي، فأوضح لي الكثير من الأمور، وبيَّن لي طريق الهداية فبادرت إلى قراءة الكتب التي هيَّأها لي هـذا الـشخص حتَّـى شملـتني الهدايـة، فتمـسَّكت بولايـة أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده المعصومين.

هذا وقد دفعني حبّي للإمامين العظيمين سبطي رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه

وسلم، وولدي الإمام علي عليه السلام، وثمرتي فؤاد السيّدة الزهراء الطاهرة عليها السلام الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام أن أُسمّي القرية التي كنت أسكن فيها باسم (حسنين آباد)، وقد اشتهر هذا الاسم في جميع أنحاء باكستان - رغم مخالفة الكثيرين - ببركة من سمَّيت القرية باسمهما.

حبّ آل البيت عليهم السلام وشيعتهم

قال علي بن أبي طالب عليه السلام:

«من أحبَّ الله أحبَّ النبيّ، ومن أحبَّ النبي أحبَّنا، ومن أحبَّنا أحبَّ شيعتنا، فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ونحن وشيعتنا من طينة واحدة، ونحن في الجنّة لا نبغض من يحبّنا ولا نحبّ من أبغضنا»(١).

وعن ابن عبّاس، قال: إنَّ رسول الله كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، فقال:

«اللّهمّ إنَّك تعلم أنَّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليَّ، فأحبّ من أحبّهم، وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهَّرين من كلّ رجس، معصومين من كلّ ذنب، وأيّدهم بروح القدس...».

ثمّ رفع صلى الله عليه وآله وسلم يده إلى السماء، فقال:

«اللّهمّ إنّي أشهدك أنّي محبّ لمن أحبَّهم، ومبغض لمن أبغضهم، وسلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم، وعدو لمن عاداهم، ووليّ لمن والاهم»(٢).

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ١٢٨/ ح ١٤٦.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٧٤ و٥٧٥/ ح (١٨/٧٨٧).

وقال سلمان الفارسي: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده الحسن والحسين يتغدّيان والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يضع اللقمة تارة في فم الحسن وتارة في فم الحسين، فلمَّا فرغا من الطعام أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن على عاتقه والحسين على فخذه، ثمّ قال لي:

«يا سلمان أتحبّهم؟».

قلت: يا رسول الله كيف لا أحبّهم ومكانهم منك مكانهم؟

قال:

«يا سلمان من أحبَّهم فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله»[1].

وعن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال:

«... أيّها الناس اسمعوا قولي، واعرفوا حقّ نصيحتي، ولا تخلفوني في أهل بيتي إلاَّ بالذي أُمرتم به من حفظهم، فإنَّهم حامّتي وقرابتي وإخوتي وأولادي، وإنَّكم مجموعون ومسائلون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، إنَّهم أهل بيتي، فمن آذاهم آذاني، ومن ظلمهم ظلمني، ومن أذلَّهم أذلَّني، ومن أعزَّهم أعزَّني، ومن أكرمهم أكرمني، ومن نصرهم نصرني، ومن خذلهم خذلني، ومن طلب الهدى في غيرهم فقد كذَّبني، أيّها الناس اتّقوا الله وانظروا ما أنتم قائلون إذا لقيتموني، فإنّي خصم لمن آذاهم، ومن كنت خصمه خصمته»[2].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بعض

---

(١) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة: ١٥٤ و١٥٥؛ كفاية الأثر: ٤٥.

(٢) أمالي الصدوق: ١٢١ و١٢٢/ ح (١١/١١٢)؛ بحار الأنوار ٣٨: ٩٤/ ح ١٠.

أسفاره إذ هتف بنا أعرابي بصوت جهوري، فقال: يا محمّد.

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما تشاء؟».

فقال: المرء يحبّ القوم ولا يعمل بأعمالهم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«المرء مع من أحبّ».

فقال: يا محمّد أعرض عليَّ الإسلام. فقال:

«اشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت».

فقال: يا محمّد تأخذ على هذا أجراً؟ فقال:

«لا إلاّ المودَّة في القربى».

قال: قرباي أو قرباك؟ قال:

«بل قرباي».

قال: هلمَّ يدك حتَّى أبايعك، لا خير فيمن يودّك، ولا يودّ قرباك(١).

وقال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ (الشورى: ٢٣).

وقال تعالى:

﴿قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ (سبأ: ٤٧).

---

(١) أمالي المفيد: ١٥١ و١٥٢/ ح ٢؛ بحار الأنوار ٢٧: ١٠٢ و١٠٣/ ح ٦٧.

وقال تعالى:

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وقال تعالى:

﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (الفرقان: ٥٥).

أي: (إلاَّ أن يشاء أحد منكم أن يتَّخذ إلى ربّه سبيلاً، أي يستجيب دعوتي باختياره فهو أجري، أي لا شيء هناك وراء الدعوة، أي لا أجر)[1].

وقال الحسن بن علي عليهما السلام: «إنّا من أهل البيت الذين افترض الله مودَّتهم على كلّ مسلم، فقال:

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾»[2].

وقال الإمام الرضا عليه السلام في حضور المأمون وجماعة من العلماء عن هذه الآية نقلاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما بعث الله عز وجل نبيّاً إلاَّ أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً لأنَّ الله عز وجل يوفّيه أجر الأنبياء، ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم فرض الله عز وجل طاعته ومودَّة قرابته على أمّته، وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عز وجل لهم، فإنَّ المودَّة إنَّما تكون على قدر معرفة الفضل، فلمَّا أوجب الله تعالى ذلك ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة فتمسَّك بها قوم أخذ الله ميثاقهم على الوفاء وعاند أهل الشقاق والنفاق

(١) تفسير الميزان ١٨: ٤٣.

(٢) تفسير مجمع البيان ٩: ٤٩ و٥٠.

وألحدوا في ذلك»[1].

وعن أبي هريرة، قال: مرَّ علي عليه السلام بنفر من قريش في المسجد، فتغامزوا، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكا له عليه السلام، فخرج وهو مغضب فقال:

«أيّها الناس ما لكم إذا ذكر إبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم أشرقت وجوهكم، وإذا ذكر محمّد وآل محمّد قست قلوبكم وعبست وجوهكم؟ والذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبيّاً لم يدخل الجنّة حتّى يحبّ هذا أخي علياً وولده»[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢١٢؛ أمالي الصدوق: ٦٢٠ و٦٢١/ ح (١/٨٤٣).

(٢) الروضة لابن شاذان: ١٦٩/ ح ١٤٦؛ بحار الأنوار ٢٧: ١٩٦/ ح ٥٦.

(٢٥)

كليم الله محمّد نواز

(سُنّي/ باكستان)

ولد عام (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) في باكستان بـ(مظفّر كار)، كان معتنقاً مذهب أهل السُنّة، ثمّ تعرَّف على مذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريق حضوره في المجالس الحسينية التي كان يقيمها الشيعة، وكان ذلك محفّزاً له للبحث في مجال تثبيت عقائده الدينية.

معطيات النهضة الحسينية

وجد (كليم الله محمّد نواز) بأنَّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام تتضمَّن أبعاداً مختلفة، وقد تجلَّت فيها حقائق كثيرة كشفت اللبس عن نفوس الكثير من الناس على مرّ العصور، وأنَّ هذه النهضة لها صلة مباشرة بالأحداث الخطيرة التي وقعت بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم ينهض إلاَّ لتعميق المنهج المحمّدي في نفوس الأمّة، وإرجاعهم إلى الصراط المستقيم الذي بدأ انحرافه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنَّ يزيد بن معاوية لم تصل إليه الخلافة إلاَّ نتيجة تمهيدات الخلفاء السابقين الذين وقفوا بوجه أهل البيت عليهم السلام، وفسحوا المجال للأمويّين والطلقاء للتسرّب في الحكم.

ومن هنا نشأت نهضة الإمام الحسين عليه السلام لتغربل الأمّة، وتميّز بين الحقّ والباطل، وتكشف للناس ـ على مرّ العصور ـ الحقائق التي كانت خافية عنهم.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام عطاء وقوّة

إنَّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن مجرَّد حدث تاريخي مختصّ بزمن وقوعه فقط، بل أصبحت هذه النهضة قضيّة حيّة تمدّ الناس ـ على مرّ العصور ـ بالعطاء والقوّة والعزيمة، وقد تركت هذه النهضة التي امتزجت باللوعة والمأساة أثراً كبيراً في أعماق وجدان الأمّة الإسلاميّة ولاسيّما الشيعة، فدفعهم هذا الأمر إلى إحياء هذه المناسبة دائماً، وأيّام محرَّم وصفر بوجه خاصّ.

وأصبحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام ـ من هذا المنطلق ـ مدرسة ترفد أبناء المجتمع بعلوم أئمّة أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم.

ولهذا تأثَّر الكثير من الذين كانوا في غفلة عن منزلة أئمّة أهل البيت عليهم السلام وكانوا في غفلة عمَّا جرى عليهم.

التأثّر بنهضة الإمام الحسين عليه السلام

يقول (كليم الله محمّد نواز): (كان لقضيّة عاشوراء وتضحية الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم أثراً بليغاً في نفسي، وبسببها تفتَّحت آفاق رؤيتي، فطالعت التاريخ لأتعرَّف على بدء الانحراف الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام من أجل إصلاحه.

ومن هذا المنطلق تبيَّن لي منشأ الفتنة التي ابتليت الأمّة بها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم).

التأثّر بالمجالس الحسينية

يضيف (كليم الله محمّد نواز): (واصلت الحضور في المجالس الحسينية فتعرَّفت في هذه المجالس على شخصيات شيعية واعية، ففتحت معهم أبواب الحوار، وكنت في كلّ يوم أجلس معهم، وأصغي إلى الحقائق التاريخية التي كانوا يبيّنونها لي بالأدلّة والبراهين الموثَّقة).

وبمرور الزمان تبلورت قناعة (كليم الله محمّد نواز) بأحقّية مذهب أهل البيت عليهم السلام، ولكنَّه وجد أمامه الكثير من الموانع النفسية والاجتماعية التي كانت تمنعه من تغيير انتمائه المذهبي.

ولكنَّه فكَّر ذات يوم بأنَّ اعتناق الحقّ يتطلَّب التضحية، ولا بدَّ له من مواجهة أهوائه النفسية بقوّة. فأحدث في نفسه ثورة كبيرة لتطهير ذاته من الجهل، والموروث العقائدي والرذائل النفسية.

الانتصار في التغلّب على الأهواء

تمكَّن (كليم الله محمّد نواز) بعد مجاهدة لنفسه أن يتغلَّب على أهوائه النفسية، وأن يعلن التزامه بالمذهب الحقّ، فأعلن استبصاره في شهر محرَّم الحرام عام (١٤٢٢هـ)، والتحق بركب أتباع أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولم يهتمّ بما سيقول عنه أصدقاؤه وأقرباؤه، لأنَّه وجد نفسه بأنَّه قد عرف الحقّ، ويحتّم عليه التكليف الشرعي التمسّك بهذا الحقّ.

استبصار زوجته وأولاده

وجد (كليم الله محمّد نواز) بعد الاستبصار، بأنَّه ينبغي أن يبيّن للآخرين الأدلّة

التي دفعته للاستبصار، لينقذهم من الجهل الذي هم عليه، وليذيقهم حلاوة طعم الحقّ كما ذاقه هو، فبدأ بزوجته وأولاده فعقد لهم العديد من الجلسات، وبيَّن لهم الأدلَّة والبراهين التي دفعته إلى الاستبصار، ودعاهم إلى البحث.

فلم تمض مدّة إلاّ واستبصرت زوجته وأولاده الخمس، وكان من أهمّ الأمور التي دفعتهم لتقبّل كلامه بعد البحث والوصول إلى القناعة، أنَّهم وجدوا بأنَّ شخصية (كليم الله محمّد نواز) تغيَّرت نحو الأفضل والأكمل بعد الاستبصار، فعرفوا بأنَّ المذهب الشيعي يحتوي على رؤية كونية مبتنية على الأسس والقواعد الرصينة القادرة على إضفاء الكمال على منتميه.

مواصلة البحث

لم يترك (كليم الله محمّد نواز) البحث بعد الاستبصار، بل واصل بحثه في الصعيد الديني، وبدأ بقراءة كتب أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم، وركَّز اهتمامه على كتاب (نهج البلاغة).

وبهذا شعر (كليم الله) أنَّه يزداد يوماً بعد آخر معرفة تقرّبه إلى الله تعالى، وتعبّد له الطريق للوصول إلى رضوانه.

توصيته لجميع المسلمين

يقول (كليم الله): (أنا آمل أن يهتمّ جميع المسلمين بدينهم، فيخصّصوا لأنفسهم وقتاً لطلب العلم ومعرفة الحقّ، وأن لا يبقوا في دينهم مجرَّد مقلّدين في الأصول العقائدية والأسس الفكرية ليقودهم الآخرون وهم في غفلة يعمهون).

* * *

(٢٦)

محمّد حميد النامس الحسيني

(سُنّي/ سوريا)

سؤال: بداية نودّ التعرّف على سيرتكم الذاتية.

جواب: محمّد حميد النامس تولّد عام (١٩٦٧م) في قرية (تل الذيبة) التابعة لمحافظة الحسكة الواقعة في أقصى شمال شرق سوريا حيث الحدود العراقية التركية. تخرَّجت من كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق قسم اللغة العربية عام (١٩٩٢م)، حصلت على دبلوم التأهيل التربوي من كلّية التربية في طرائق تدريس اللغة العربية عام (١٩٩٥م) في مدينة حماة، ودورة في تعليم الأطفال المحادثة باللغة العربية الفصحى بالفطرة في السعودية سكاكا الجوف عام (٢٠٠٠م) على يد رائد فكرة تعليم الفصحى بالفطرة في الوطن العربي الدكتور عبد الله مصطفى الدنان، واتَّبعت عدَّة دورات في الحاسوب الآلي واللغة الإنكليزية في محافظة الحسكة. أقوم بتدريس اللغة العربية في ثانويات محافظة الحسكة (أبي تمام وأبي ذر)، عملت مدرّساً لمدَّة عامين في السعودية سكاكا الجوف، وحالياً أقوم بتدريس مادّة اللغة العربية في ثانوية أبي ذر الغفاري وثانوية أبي تمام في الحسكة، وفي أوقات فراغي أقوم بمطالعة الكتب العقائدية للفريقين من سُنّة وشيعة.

سؤال: كيف بدأت رحلة تحوّلكم هذه نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام؟

جواب: في بداية حياتي نشأت نشأة تقليدية في العقيدة لم أختر مذهبي عن علم ودراية، بل اتَّبعت المذهب الذي يتَّبعه المحيط الاجتماعي الذي عشت فيه.

بعد انتهائي من الدراسة الثانوية انتقلت إلى المرحلة الجامعية وانتسبت إلى كلّية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، لفتت انتباهي فتاة ترتدي خلعة خضراء في يدها وهذه الخلعة ترمز في تراثنا إلى السادة الأشراف وهذه الخلعة الخضراء توضع على قبور السادة الأشراف في محافظة الحسكة تميّزاً لهم من عوام الناس. فأخذني الفضول فتقدَّمت لأسألها عن معنى هذه الخلعة فأجابتني أأنت سُنّي أم شيعي؟ فاستغربت لهذا السؤال واحترت مندهشاً وأربكت لعدم معرفتي الردّ حيث إنّي لم أسمع بكلمة شيعة على الإطلاق، عندئذٍ عرفت أنَّ هناك فرقة إسلاميّة اسمها الشيعة لكنّي لا أعلم عنهم شيئاً. فبدأت هذه المفردة (الشيعة) تلوح في ذهني لكنّي لم أجد أحداً يبيّن لي الفروق بين السُنّة والشيعة.

بعد ذلك التقيت بشاب كردي الأصل اسمه محمّد نور رمضان يوسف عندما كنت في السنة الثانية، وقال لي: ما رأيك يا محمّد أن نذهب إلى معرض الكتاب في المستشارية الثقافية الإيرانية عندما كانت في المزة اوتستراد قبل انتقالها إلى منطقة البحصة وعند وصولنا إلى المعرض اشتريت كتاباً يحمل عنوان (خطّ الإمام الخميني) يتحدَّث عن الثورة الإسلاميّة في إيران وعن النهج الثوري لهذه الثورة وعن الخطّ الحسيني الكربلائي، وكتاب آخر لسماحة الشيخ محمّد جواد مغنية عنوانه (هذه هي الوهّابية)، وبالنسبة إلى الكتاب الأوّل لفت نظري غياب عاشوراء الحسين عن المنهج السُنّي، وتأثَّرت بقول الإمام الخميني في كتابه الآخر (الإمام الخميني رجل القرن الحادي والعشرين) تأليف

عادل رؤوف (ص ٥٤) حيث قال الإمام في ندائه: (صرخة ندائنا صرخة أمّة تجمَّعت قوى الكفر والاستعمار للقضاء عليها، اتَّجهت كلّ السهام والحراب نحو قرآنها وعترة نبيّها العظيم، ولكن هيهاتَ أن تخضع أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم التي انتهلت من كوثر عاشوراء وتنتظر وراثة الصالحين للأرض، وهيهاتَ أن يبقى الخميني ساكتاً أمام ما يرتكبه المتغطرسون والمشركون والكافرون من عدوان على حرمة القرآن الكريم وعترة رسول ربّ العالمين وأمّة محمد وأتباع إبراهيم الحنيف، أو أن يبقى متفرّجاً على مشاهد ذلّ المسلمين وتحقيرهم، أنا أعددت نفسي ودمي المتواضع لأداء الواجب الإلهي وفريضة الدفاع عن المسلمين وأنا في انتظار الفوز العظيم بالشهادة).

وعندما تأمَّلت بنصّ هذا الرجل الشيعي العظيم الذي قد هيَّأ نفسه للشهادة فقلت في نفسي: يا إلهي ما أعظم هذا الرجل الذي حقَّق الانتصار العظيم على الشاه المخلوع عميل الصهاينة والأمريكان ورفع راية القدس في مكان السفارة الإسرائيلية. فكان هذا الرجل في حقّ قد ترك الأثر الكبير في نفسي لأعرف المنهج الذي استقى منه هذه القوى وهذه العقيدة الراسخة فطالعني قولاً له: (كلّ ما عندنا هو من عاشوراء)، فبدأت أبحث عن هذا السرّ في عاشوراء فكان البطل لعاشوراء هو الإمام الحسين عليه السلام الذي كان يردّد دائماً: «لا نبالي إن وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا»، وقوله الآخر: «هيهاتَ منّا الذلّة»[1].

رحلة الصدفة من الحسكة إلى القامشلي

سافرت مع أحد السادة (الطفيحيين) المعروفين في منطقة الجزيرة بالسادة الأشراف واسمه حسين الشيخلي وفي الطريق ونحن في السيّارة سألنا أحد الإخوة المدعو

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٤؛ بحار الأنوار ٤٥: ٨٣/ ح ١٠.

محمّد معصوم بيجو: من أين الإخوة؟ فأجبناه: اسمي محمّد النامس وصديقي حسين الشيخلي من الأشراف ومن الطفيحيين.

قال: ما شاء الله سادة وأشراف، هل تعرفون شيئاً عن مذهب جدّكم الإمام جعفر الصادق عليه السلام؟ فأجبته: لا ولم نسمع باسمه إطلاقاً. فقال: عجيب أنتم سادة وأشراف ولا تسمعون بمذهب جدّكم الإمام جعفر الصادق؟! عندئذٍ رجع وقال: أنت ماذا تدرس؟ فقلت له: سنة ثانية في جامعة دمشق، فقال: الله أكبر الله أكبر، أنت طالب جامعي وسيّد ولم تسمع بمذهب جدّك الإمام جعفر؟ عندئذٍ خجلت منه لعدم معرفتي الجواب، وبعد وصولنا إلى القامشلي وقبل الافتراق أعطاني رقم هاتفه وأخذ رقم هاتفي وبعد مدّة من الزمن زارني إلى البيت وأعطاني أسماء كتب لأتعرَّف على منهج جدّي الإمام جعفر الصادق، وأذكر من تلك الكتب (المراجعات).

الظفر بكتاب المراجعات

فأخذت أُقلّب صفحات هذا السفر العظيم الخالد فلفت نظري حديث الثقلين ما نصه:

«تركت فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلّوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1].

فاجأني هذا الحديث لأنَّني تتلمذت منذ نعومة أظفاري على الحديث الآخر الذي يقول: حدَّثني مالك أنَّه بلغه:

«ما إن تمسَّكتم بأمرين كتاب الله وسُنّة نبيّه»[2].

---

(١) أنظر: مسند أحمد ٣: ١٤؛ سنن الدارمي ٢: ٤٣٢؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩.

(٢) أنظر: الموطأ ٢: ٨٩٩ .

بداية الصراع

بدأت أتصارع مع نفسي، هل أُصدّق حديث الثقلين أم الحديث الذي نشأت عليه في المدرسة السُنّية وتربَّيت عليه وأسمعه كلّ يوم من أفواه علمائنا في الجلسات وفي المساجد وفي المدارس وفي الندوات. فقلت في نفسي عليَّ أن أراجع وأفتّش عن حديث: «وعترتي أهل بيتي» الذي يرويه (صحيح مسلم)(١). وصحيح مسلم من أصدق الصحاح بعد القرآن فصرت أُحدّث نفسي إذا وجدت هذا الحديث في صحيح مسلم الذي هو أكثر وثاقة من الموطأ ماذا سأفعل عندئذٍ؟ وفعلاً أتيت بصحيح مسلم ووجدت حديث «وعترتي أهل بيتي»، فعندئذٍ عزمت أن أناقش أصحاب الاختصاص والعلماء وقد أخبرني أحد الشباب المثقَّفين عن كاتب وباحث اسمه مصطفى خميس له كتاب بعنوان رسالة الثقلين، وعندما قرأت هذا الكتاب وتتبَّعت الأحاديث والمصادر وجدت أنَّ حديث (كتاب الله وسُنّتي) حديثاً مزيَّفاً لا أصل له، وحتَّى علماؤنا السُنّة قالوا عنه: إنَّه حديث مرسل.

سؤال: ما أهمّ الصعاب التي واجهتك بعد إعلانك التشيّع؟

جواب: أهمّ العقبات التي واجهتني بعد التشيّع مقاطعة بعض الأصدقاء لي وخاصّة أنَّ بعضاً منهم قد سلك طريق الوهّابية التي تجيز لهم بحسب فتاوى علمائهم بعدم مجالسة الشيعي والحوار معه حيث خسرت أكبر رصيد من أصدقائي ومقاطعة المجتمع لي وشنَّت حولي حملة تكفيرية شعواء فواجهتها بالصبر والتأنّي وتوزيع الكتب والدعوة إلى هذا المنهج واستعنت ببعض الإخوة المثقَّفين من الشيعة.

سؤال: ما أهمّ الكتب التي تركت أثراً كبيراً في نفسك؟

---

(١) أنظر: صحيح مسلم ٧: ١٢٣، وفيه: «أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً.

١ ـ الردّ على البوطي في كتابه عائشة للشيخ هشام آل قطيط.

٢ ـ المراجعات.

٣ ـ النصّ والاجتهاد.

٤ ـ النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية لمؤلّفه ابن عقيل العلوي.

٥ ـ معالم المدرستين للسيّد مرتضى العسكري.

٦ ـ الغدير للشيخ الأميني.

٧ ـ خمسون ومائة صحابي مختلق للسيّد مرتضى العسكري.

* * *

(٢٧)

محمّد السالم

(سُنّي/ سوريا)

من يصدّق أنَّ الشيخ محمّد السالم يتشيَّع لآل البيت عليهم السلام من قراءة رواية (قادة كربلاء) لجرجي زيدان؟

الشيخ (محمّد السالم) من مواليد قرية تل ورد (١٩٥٩م) التابعة لمنطقة رأس العين محافظة الحسكة، والآن يقطن في تل تمر التابعة لمحافظة الحسكة.

سؤال: شيخ محمّد ما الذي أثَّر فيك في ضوء قراءتك لهذه الرواية؟

جواب: لقد تركت الأثر الكبير في نفسي مظلومية أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومظلومية أهل البيت عليهم السلام، لماذا أهل البيت عليهم السلام يفعل بهم هكذا؟ لماذا التضليل الإعلامي المركَّز على قضيّة أهل البيت عليهم السلام، ومحاولات التعتيم على مظلوميتهم إلى يومنا هذا؟

سؤال: هل تعتقد أنَّ علماء السُنّة يعرفون الحقيقة ويتكتمون عليها؟ وما هو رأيكم في هذا الموضوع؟

جواب: أنا أعتقد أنَّ أغلب علمائنا يعرفون الحقيقة ويسكتون خشية حدوث فتنة بانقلاب الناس عليهم.

فلهذا لجأوا إلى مقولة: (لماذا الرجوع إلى التاريخ وأنَّ الرجوع إلى التاريخ محاولة لإيقاظ الفتنة من جديد).

طبعاً هذا خوف من مواجهة الحقيقة ولكن أقول: لا يوجد في الدين تغطيات ومجاملات وطمس للحقائق.

فهذا دين ويجب أن تصرّح بالحقائق ليعرف الناس أنَّهم ضحيّة التاريخ المشوَّش، عليهم إعادة القراءات والنصوص من جديد، ومعرفة الأحاديث الموضوعة التي وضعت في عهد بني أميّة لإبعاد الأمّة عن خطّ أهل البيت عليهم السلام الذي يمثّل الحقيقة بكلّ معانيها ويمثّل الإسلام الصحيح بنصوصه وتفسيراته.

سؤال: هل واجهتم مقاطعة من بعض الناس والعشيرة التي تحيط بكم بعد إعلانكم التشيّع؟

هذه مسألة طبيعية نصف العشيرة قاطعتني بعد إعلاني التشيّع والنصف الآخر هو تشيَّع بعد أن بيَّنت لهم مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وولدي الأكبر طلال دفعته إلى الحوزة الزينبية في دمشق ليواصل علوم أهل البيت عليهم السلام مع بعض الإخوة معه.

* * *

(٢٨)

محمّد سليم عرفة

(حنفي/ سوريا)

ولد عام (١٩٦٥م) في دمشق بسوريا، واصل دراسته الأكاديمية حتَّى حصل على شهادة مساعد مهندس اختصاص الكترون، كانت نشأته في عائلة تعتنق المذهب الحنفي، لكنَّه عن طريق المطالعة والقراءة تفتَّح ذهنه على آفاق رحبة من المعارف والعقائد الإسلاميّة حتَّى توصَّل إلى نتائج دفعته لاعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام.

اهتمامه بالشؤون الدينية

يقول الأخ محمّد سليم: (كنت أتردد منذ صغري على المساجد وحلقات الدرس الدينية ممَّا سمح لي بدراسة الفقه على أيدي عدَّة من مشايخ دمشق، وكنت مهتمّاً بدراسة الأديان السماوية ومناقشة البعض من معتنقيها، كما كنت مهتمّاً بالبحث حول الخلافات الدينية).

بداية تعرّفه على التشيّع

يقول الأخ محمّد سليم حول بداية تعرفه على مذهب أهل البيت عليهم السلام: (عملت لدى خال لي عنده مكتب عقاري، ومن خلال عملي في هذا المكتب

كنت أصادف بعض رجال الشيعة الوافدين من القطر العراقي الشقيق لزيارة السيّدة زينب وقد كان المكتب العقاري في منطقة قريبة من كراج انطلاق السيّارات المتوجّهة للسيّدة زينب.

لذلك كان يتردَّد الكثير منهم لاستئجار بيوت قريبة من هذه المنطقة فيدخلون هذا المكتب ليسألوا عن البيوت.

وقد كلَّمني أحدهم وكان قادماً إلى المكتب ليستأجر داراً للسكن، وقد أخبرني أنَّه يدرس في الحوزة، ولم أكن قد سمعت بهذا التعبير من قبل، فسألته ماذا تعني (الحوزة)؟ فوضَّح لي وسألني: ماذا أعرف عن الشيعة؟

فقلت له: لا أعرف إلاَّ أنَّه مذهب من المذاهب الإسلاميّة، وأنَّهم يقدّسون سيّدنا علياً وأهل بيته ويرون أنَّه أفضل من كلّ الصحابة.

هذا ما أخبرته به فقط مع أني كنت أخفي في قرارة نفسي ما كنت أسمعه من مشايخي ومن العوام من تشنيع على الشيعة وذلك منعاً للإحراج، ولكنَّه بدأ يكلّمني عن بعض الأمور الخلافية بين الشيعة والسُنّة، وقد كنت أندهش لأنَّ ما أسمعه منه لم أسمع به من قبل، وعندما رآني غير مصدّق لكلامه قال لي: ألست تقول بأنَّك تحبّ المطالعة وأنَّك لا مانع عندك من قراءة أيّ كتاب؟ فقلت: نعم، فنصحني بقراءة كتاب (المراجعات).

وقال لي: إنَّ هذا الكتاب حوار بين شيخ سُنّي وآخر شيعي وأنَّ كلّ ما فيه هو من كتب وصحاح أهل السُنّة.

وقد حاولت جاهداً أن أجد هذا الكتاب في المكتبات التي أعرفها في دمشق، لكنَّني لم أصل إلى النتيجة المطلوبة).

إلمامه بمأساة واقعة الطفّ

يقول الأخ محمّد سليم: (وفي هذه المدّة جلب لي شقيقي (المئة الأوائل من النساء) وقد كان قد قرأه واستوقفته خطبة السيّد زينب وهي في بلاط الطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وذلك بعد واقعة كربلاء، ولم أكن أعلم عن هذه الحادثة شيئاً، ولم أسمعها من أحد من قبل، مع أنّي كما قلت سابقاً كنت ومنذ طفولتي أتردَّد إلى المساجد وأحضر حلقات الدروس، ولكن لم أسمع عن هذه الحادثة.

وقد علمت بعد ذلك أنَّ ما كنت أقرؤه كانت كتباً موجّهة تحاول أن تمنع أن تصل إلينا مثل هذه الأمور.

وبعد قراءتي لهذه الخطبة حاولت أن أبحث في الكتب عن واقعة كربلاء واندهشت عندما قرأتها في تاريخ الطبري.

فسيّدنا الإمام الحسين سيّد شباب أهل الجنّة كما جاء في الحديث الشريف: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» قد قتل هو وأهل بيته وأصحابه في هذه الحادثة أمام أعين المسلمين وسمع الآخرين، وقاتلهم يزيد وجيشه، وهذا الطاغية كان خليفة المسلمين في ذلك الوقت فهذه الحادثة جعلتني أعزم على أن أعرف كيف وصل هذا الطاغية إلى الحكم فتحكَّم بالإسلام والمسلمين وتجرَّأ على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟).

قراءته لكتاب المراجعات

يقول الأخ محمّد سليم: (ومن حسن الحظّ في تلك المدة أن التقيت صدفة بأحد أصدقائي لدى خروجي من صلاة الجمعة يحمل كتاباً فقلت له: ما هذا الكتاب؟

فقال بنفور: كتاب عن الشيعة.

فقلت له: هاته. وكم كانت فرحتي شديدة عندما قرأت عنوان الكتاب (المراجعات) بين السيّد شرف الدين والشيخ سليم البشري، فهذا ما كنت أبحث عنه، وقد حاول صديقي منعي من أخذه بحجّة أنَّه مختلق كما يعتقد وأنَّ شيخه قد نصحه بعدم قراءته لذلك هو لم يقرأه، ويريد أن يعيده للشخص الذي أعاره إيّاه.

فقلت له: لا عليك سوف أقرؤه بسرعة وأعيده إليك غداً، وفعلاً قرأت الكتاب وأنهيته في ساعة متأخّرة من تلك الليلة، وقد أعدت قراءته لأتأكَّد مرَّة ثانية من حقيقة الروايات، والأحاديث المثبتة في هامش الكتاب، والتي استشهد بها السيّد شرف الدين.

وقد قلت في نفسي: إن كانت هذه الروايات موجودة في كتب أهل السُنّة وتواريخهم وتفاسيرهم، فسوف أعيد النظر في قناعاتي، فلا يهمّ إن كان هذا الكتاب ملفّقاً أو صحيحاً، لأنَّ الغاية هي ما جاء فيه وليس غير ذلك.

وبالفعل، فقد تأكَّدت من وجود هذه الأحاديث في الصحاح وكتب التفسير والتاريخ، وكلّ ما قاله واحتجَّ به السيّد عبد الحسين شرف الدين من حجج باهرة لا يمكن نكرانها إلاَّ على من لا يريد أن يرى ضوء الشمس).

ردود فعل أبناء مجتمعه

يقول الأخ محمّد سليم في مجال المضايقات التي واجهها بعد التوصّل إلى القناعات الجديدة: (عندما رفضت أن أحجز عقلي حكموا عليَّ بالضلالة كما صرَّح أحد المشايخ الذين كنت أحضر دروسهم، وحتَّى أنَّه رفض مناقشتي في هذه الأمور.

وشيخ آخر نصح الناس بالابتعاد عنّي، وذلك عندما نقل له أحد من كان يحضر عندي من تلاميذه بأنّي أعطيهم بعض الكتب لكي يقرؤوها مثل كتاب (ثمّ اهتديت للدكتور محمّد التيجاني) وكتاب (المراجعات).

فما كان من هذا الشيخ إلاَّ أن قال في خطبة يوم الجمعة وعلى المنبر:

(إنَّ أحد الزنادقة يوزّع كتباً فيها سبّ وشتم للصحابة، فننصح الإخوة عدم قراءة هذه الكتب، وعوضاً عنها أنصحهم بقراءة كتاب العواصم من القواصم).

هذا كلّ ما عنده وعند أمثاله فأيّ إنسان يخالفه بالرأي سيصبح زنديقاً يسبّ الصحابة ولا يصحّ أن يكلّمه أحد.

وعندما آثرت أن أقرأ كتاب العواصم من القواصم لأرى ما فيه فوجئت بما وجدت فيه من سبّ الصحابة وشتمهم والانتقاص منهم، وفي نهاية الكتاب فتوى بقتل الشيعة وكلّ من يخالف مذهب العامّة.

لذلك قرَّرت أن أذهب إلى هذا الشيخ وذلك في يوم الجمعة، وقد أخذت معي كتاب «العواصم من القواصم» بعد أن كنت قد همَّشته، ووضعت علامات على المواضيع التي ينتقص فيها مؤلّف الكتاب من الصحابة، وأخذت معي أيضاً كتاب التشيّع للسيد عبد الله الغريفي حفظه الله.

وفي يوم الجمعة دخلت إلى مسجد الزهراء في منطقة المزّه، واستمعت إلى الخطبة، ثمّ صلَّيت معهم صلاة الجمعة، وبعد الانتهاء التفت الشيخ إلى الحضور وبدأ يجيب عن أسئلتهم، فلمَّا شارف على الانتهاء وهمَّ بالوقوف توجَّهت إليه وقلت له:

إذا سمحت يا شيخ عندي بعض الأسئلة، وهنا بادرني بالسؤال عندما رأى كتاب العواصم من القواصم بيدي قائلاً: هل اشتريت الكتاب؟

فقلت له: نعم حسب ما طلبت أنت من الإخوة، فطلب منّي أن أعطيه الكتاب ليتأمَّل، وبالفعل أخذه من يدي وبدأ يتصفَّحه ويبدي سروره عند كلّ صفحة وعندما قال لي: ما سؤالك؟

فقلت له: إن كان يوجد هنا مكتبة أو مكتب لندخل له حتّى يتسنّى لنا الحديث بهدوء، فقال: لا، اسأل هنا أمام الإخوة.

فقلت له: يا سماحة الشيخ ألم يأمرنا الله بالاعتصام بحبل الله جميعاً وأمرنا رسول الله الكريم بعدم تكفير بعضنا البعض، وقال: «من كفَّر مسلماً فقد كفر»؟ فكيف تأمر الناس بقراءة كتاب يفتي بقتل نصف المسلمين ممَّن يشهدون الشهادتين ويقيمون الصلاة ويصومون رمضان؟

وهذا الكتاب أيضاً يسبّ الصحابة، ويقول: إنَّ بعض هؤلاء مثل عمّار بن ياسر وأبي ذر الغفاري ومحمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة قد لعب فيهم ابن اليهودية (عبد الله بن سبأ) فكادوا لدولة الإسلام، وأجَّجوا الفتنة التي أدَّت لمقتل عثمان بن عفّان.

فقاطعني هنا الشيخ وقال: تفضَّل لنتكلَّم في الداخل.

وقد كان المصلّون قد تجمَّعوا حولنا فقادني إلى غرفة بجانب المصلّى وقد دخل معنا جمع غفير من المصلّين، فالتفت إليَّ قائلاً: أنا لم أقرأ الكتاب، ولعلَّ ما فيه مدسوس، فقلت له: هذا هو الكتاب، وقد فتحت له على الصفحة التي فيها الفتوى بقتل الشيعة.

فالتفت إليَّ الشيخ وقال: أنا لم أقرأ الكتاب.

فقلت له: إنَّ مشكلتنا أنَّنا نجهل كلّ شيء عن الشيعة إلاَّ ما يقوله المغرضون والمشنّعون، وقد أتيتك بكتاب يشرح منشأهم وأصول المذهب عندهم، وأتمنّى منك أن تقرأ بعين المصنف، وسوف آتي إليك في الأسبوع المقبل لأعرف رأيك، وهذا رقم هاتفي واسمي وعنواني، فبان عليه الاستغراب عند سماع اسمي فعرفت ما يدور في ذهنه،

فقلت له: إنّي كنت حنفي المذهب، والآن أتبع مذهب أهل البيت.

وقد أعطيته كتاب التشيّع (للسيّد عبد الله الغريفي حفظه الله) وطلبت منه أن يتَّصل بي إن أشكل عليه أمر ما، وودَّعته على أمل اللقاء بعد أسبوع.

وعندما أتى الموعد ذهبت إلى المسجد ولم يكن قد اتَّصل بي أثناء هذا الأسبوع، وعندما قابلته بعد الصلاة اعتذر وقال: إنَّه لم يقرأ الكتاب لأنَّه مشغول، وعنده دورة تحفيظ القرآن الكريم وواعدته في الأسبوع الذي يليه، ولكنَّه للأسف خرج من المسجد عندما رآني وأنا أُصلّي. ولم يلتفت إليَّ...

فعرفت أنَّه لم ولن يقرأ الكتاب، فلم أعد له ولم يتَّصل بي، ولكنّي عرفت رأيه من نظرة بعض الأصدقاء لي ونفورهم وكلامهم لي: لماذا تركت مذهبي واعتقادي السابق وكنت دائماً أشرح لهم وأعرَّفهم الحقّ وقد اهتدى البعض، واستنكف آخرون لأنَّهم كانوا يأخذون بكلام مشايخهم وإن كان بلا دليل، ويرفضون كلامي وإن أتيت عليه بألف دليل من الكتاب والسُنّة. وقد نسوا قول الله تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١).

ومن المعلوم أنَّ النصارى لا يعبدون أحبارهم ولا رهبانهم، بل يطيعونهم فيما يقولون ويصدّقونهم ويسلّمون لهم من دون دليل ومن دون تعقّل أو تفهّم، لذلك وصفهم الله بأنَّهم يعبدونهم من دون الله.

فهل يريد منّا هؤلاء أن نكون مثلهم، وقد أمرنا الله أن نحكم عقلنا من بعد الكاتب وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال تعالى:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾ (محمّد: ٢٤).

لذلك فقد حرَّرت عقلي ومضيت في سبيل الله لا أخشى لومة لائم، وبذلك قد نزعت التعصّب الأعمى وما أورثه لي أسلافي، فانكشف لي ما حاولوا تغطيته والتعتيم عليه عبر العصور.

وما أحوجنا الآن إلى أن يدرّس هذا التاريخ الذي اختفى من ورائه النزاع السياسي والصراع الطائفي دراسة واقعية على ضوء التحقيق العلمي المجرَّد عن التعصّب والتحيّز ليظهر الحقّ والحقّ أحقّ أن يتَّبع.

والحمد لله على ما هدانا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله).

مؤلّفاته

إفادات من ملفّات التاريخ، مخطوط.

❊ ❊ ❊

(٢٩)

محمّد شحادة التعمري

(سُنّي/ فلسطين)

أهل البيت عليهم السلام فجر جديد يبزغ في فلسطين!

الزعيم الفلسطيني المتشيّع محمّد شحادة: (أدعو أحرار العالم إلى الاقتداء بإمام الأحرار الحسين عليه السلام).

تحت عنوان (يحدث في فلسطين هذه الأيّام، تشيّع زعيم في الجهاد الإسلامي والسبب الخذلان)، كتبت مطبوعة سعودية تصدر من لندن تقريراً عن شخصية فلسطينية قيادية كانت قد أعلنت تشيّعها وانتقالها من المذهب السُنّي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام إلاَّ أنَّ مجلَّة (المجلة) التي جعلت هذا التقرير موضوع غلافها لعدد الأسبوع الأوّل من شهر نوفمبر الفائت قدَّمت في إطار تحليلها لهذا التحوّل المذهبي تفسيرات غير سويّة، إذ عدّت أنَّ هذا التحوّل نتاج الشعور بالإحباط واليأس والخذلان من الوسط السُنّي مقابل الانتصارات الشيعية في جنوب لبنان، وأنَّ تشيّع أمثال هذه القيادات على حدّ قولها.

إنَّ هذه الحادثة ـ أي تشيّع إحدى قيادات الكفاح الفلسطيني، ومقدار ما قوبل به من ردّة فعل عنيفة في الوسط السُنّي العلمائي ـ تكشف أنَّ المستقبل هو للتشيّع، وأنَّ

فلسطين بالذات مقبلة على فجر جديد ينير درب مجاهديها بنور أهل البيت عليهم السلام، وهو ما توقَّعته (المنبر) في استهلال العدد الماضي تحت عنوان (عودوا إلى محمّد وعلي.. تعود إليكم القدس بالمهدي).

أمَّا عن نجم هذا الموضوع وبطل هذه الحادثة فهو القيادي الكفاحي الفلسطيني محمّد شحادة التعمري، وهو من مواليد بيت لحم (١٩٦٣) للميلاد، ويحمل شهادة البكالوريوس في التربية، ويعدُّ أحد أنشط الشخصيات القيادية الفاعلة في مقاومة الاحتلال الصهيوني.

يقود (شحادة) مجاميع من المجاهدين التحرّريين ويخطب في الساحات العامّة في مهرجانات ضخمة تثير لهيب الشارع الفلسطيني وتوجّهه إلى مقاومة الاحتلال، وعادة ما يركّز في خطاباته على شخصيات أهل البيت عليهم السلام ولاسيّما سيّد الأحرار الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ومن هنا عرف (شحادة) بأنَّه شيعي موال لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيما يأتي أسئلة نقلتها مجلَّة (المنبر) إلى محمّد شحادة بعدما تمكَّنت من التوصّل إليه أخيراً بعد محاولات دؤوبة باءت معظمها بالفشل بسبب الأوضاع الصعبة التي تعيشها فلسطين، وقد أدَّت هذه المحاولات إلى تأخّر صدور هذا العدد من (المنبر) بيد أنَّ هذا التأخّر أتى بالفائدة المرجوّة، فإلى نصّ حوارنا الهاتفي:

المنبر: أين أنت يا أستاذ محمّد.. لقد كاد اليأس يتسلَّل إلينا!

في واقع الحال لم أكن أتصوَّر أنَّ مجلَّة شيعية ستسعى للقاء بي، كنت أظنّ أنَّ مجلاّت أخرى من قبيل (المجلَّة) ستحاول أن تستغلّ قضيّتي أيضاً، لذلك فإنَّني كنت ممتنعاً عن التحدّث إلى الصحافة، على كلّ حال أحمد الله الذي أتاح لي الفرصة للتعبير عن

قضيّتي بكلّ حرّية عبر (منبر من أحبّ).

المنبر: نسأل الله تعالى أن نكون عند حسن ظنّك، في البداية هلاَّ شرحت لنا سبب تركّك المذهب السُنّي واعتناقك لمذهب أهل البيت عليهم السلام؟

أوّلاً: أودّ أن أشير إلى أنَّني منذ صغري كنت أميل إلى أهل البيت عليهم السلام بالرغم من أنَّني كنت أجهل كثيراً عنهم، بوصفي سُنّياً لم أكن أعرف من تلك الشخصيات إلاَّ الإمام علي عليه السلام وأنَّه الخليفة الرابع، والحسن والحسين عليهما السلام وأنَّهما طفلان يحبّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أمَّا فاطمة عليها السلام فهي ابنته الأولى. هذا أقصى ما كنت أعرفه، لكن على الرغم ذلك فإنَّني كنت أتعاطف كثيراً مع مظلومية آل البيت عليهم السلام، وكان ثَمَّة إحساس يعتريني بأنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام مظلوم حقّاً، وهذا الإحساس بالمظلومية بدأ يتجذَّر ويزداد عمقاً كلَّما اشتدَّ عليَّ ظلم الاحتلال.

جهلي بالتشيّع هو الذي أبقاني سُنّياً فيما مضى، وأرجو ألاَّ أكون آخر من يقول: (ثمّ اهتديت).

المنبر: كيف اشتدَّ عليك هذا الظلم؟

لقد كنت أحد مقاتلي حركة فتح الفلسطينية منذ كان عمري (١٦) عاماً، وقد اعتقلت إثر ذلك في الثمانينات وحكم عليَّ بالسجن لمدَّة خمسة وعشرين عاماً، ثمّ أفرج الصهاينة عنّي في عملية تبادل الأسرى عام (١٩٨٥م)، بعدها تكرَّرت عمليات اعتقالي لعدَّة أعوام بلا محاكمة بتهمة الانتماء إلى حركة الجهاد الإسلامي التي نشطت فيها بعد خروجي من فتح، ومن ثَمَّ أبعدتني قوّات العدوّ إلى (مرج الزهور) في جنوب لبنان لمدَّة عام أثناء الانتفاضة المجيدة عام (١٩٩٢م)، في تلك المدّة أحسست بمعنى أن تكون

مظلوماً، وقد تعمَّق هذا الشعور عندي والرغبة في الانتصار على الظلمة بعد الثورة الإسلاميّة في إيران المسلمة، حيث دفعني ذلك إلى القراءة المستفيضة عن الثورة الإسلاميّة ومرتكزاتها الفكرية التي تنطلق من التشيّع لآل محمّد عليهم السلام، وبقيت القراءات تدور في إطارها النظري إلى أن تمَّ إبعادي إلى (مرج الزهور) كما أسلفت حيث عايشت الممارسة الحقّة للفكر الإسلامي من قبل مجاهدي الحرس الثوري الإيراني وحزب الله الذين كانوا يزوروننا في المخيَّم.

المنبر: صف لنا شعورك وأنت تكتشف ملامح هذا المذهب المظلوم؟

لقد كان شعوري شعور الظمآن بالماء وانتابتني ردَّة فعل منكوسة بالفرح العظيم لأرتبط مباشرة بسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جهة أخرى ردَّة فعل منكوسة بالألم لهذا الغياب المقصود لهؤلاء الأئمّة من نهج حياتنا. لقد هزَّني بشدَّة مقتل الحسين عليه السلام في كربلاء التي مثَّلت تلك المظلومية.

المنبر: ومتى كان القرار بالتحوّل؟

أخيراً كان القرار بالالتزام الكامل بهذا المذهب العظيم كتتويج لمرحلة مخاض فكري استمرَّت سنوات عِدَّة من الدراسة والتمحيص والتفكير في كلّ ما يتعلَّق بهذا المذهب واطّلاعي العميق على الاتّجاهات الفكرية المختلفة، سواء تلك التي أيَّدت المذهب أو هاجمته على مدار السنين.

المنبر: أيّ الكتب قرأت فساعدتك على خطو هذه الخطوة الصعبة؟

كثيرة هي الكتب التي قرأتها، وقد لاحظت في ضوء مقارنتي بين الكتب الشيعية والسُنّية أنَّ الأخيرة لا تصمد أمام المنطق والحقائق العلمية والتاريخية، لذا فإنَّني وجدت كتب علماء الشيعة أقرب إلى العقل، فإلى متى يبقى الاستسلام لمقولات هي محصَّلة

لظروف قاسية؟ فكثير من الروايات التاريخية أو الأحاديث كانت محصَّلة لظروف خاصّة فرضتها هذه المقولات وأوصت بكتابة تاريخ وعقيدة وفقه من زاويتها الخاصّة.

أمَّا عن الكتب الشيعية التي استهوتني فأذكر منها (الشيعة في التاريخ)، (الشيعة والحاكمون)، (الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة)، (الكافي)، كتب صالح الورادني، كتب التيجاني، (نهج الشهادة)، (الإمام الحسين عليه السلام)، هذا إضافة إلى عشرات من الكتب تتعلَّق بآل البيت عليهم السلام، إلى جوار عشرات مثلها من المصادر السُنّية التي ساعدتني كثيراً في استيضاح الحقيقة من دارها.

المنبر: أوحت مجلَّة (المجلَّة) بأنَّ تشيّعك هو تشيّع سياسي لا عقائدي، وأنَّه نابع من الشعور بالخذلان واليأس والإحباط من المجتمع السُنّي في مقابل الانتصارات التي حقَّقها الشيعة في جنوب لبنان، فهل هذا صحيح؟

الطريقة التي تناولت تلك المجلَّة بها الموضوع كانت غير سليمة ومشبوهة النوايا، والدليل على ذلك ما ورد في مقدَّمة الموضوع من تحذير للأمّة من خطر اسمه (التحوّل إلى التشيّع)، وأنَّ على علماء الأمّة أن ينتبهوا لهذا الخطر الداهم، واستغرب كيف يثير هؤلاء مثل هذه الإثارات الحسّاسة في مثل هذا الوقت الذي تنتصر فيه المقاومة وتزداد وتيرة الانتفاضة المباركة. لو كنت أعلم بنواياهم لكنت راجعت نفسي كثيراً قبل أن أدلي لهم بأيّ تصريح.

إنَّهم لم يتدخَّلوا في حديثي ولم يحرّفوه، لكنَّهم بتحليلهم ومقابلاتهم التي جاءت على هامش الموضوع صوَّروا مسألة تحوّلي إلى التشيّع على أنَّه شعور بالخذلان وما إلى ذلك، وهذا يعود كما تعلمون إلى كون تلك المجلَّة سعودية وهي بالنتيجة خاضعة لنظام يحمي السلفية والوهّابية.

إنّني أقولها بكلّ ثقة: إنَّ ما ذكروه حول ذلك كان غير صحيح إطلاقاً، فتشيّعي هو تشيّع عقائدي لا سياسي، وكان ينبغي عليهم احترام القارئ أوّلاً ثمّ احترام من أجروا معه المقابلة ثانياً، لكن أمراً من ذلك لم يحصل مع الأسف.

إنَّ رحلتي إلى التشيّع لا ترتبط بأيّة ظروف سياسية محيطة بنا، طبيعي أنّني أشعر بالفخر مثل كلّ مسلم بانتصارات المقاومة في جنوب لبنان والتي حقّقها بالدرجة الأولى (حزب الله)، لكن ذلك لا يعني أنَّ هذا هو ما دفعني إلى التشيّع. إنَّ اعتناقي لعقيدة أهل البيت عليهم السلام جاء كما أوضحته لكم نتيجة اقتناع ذاتي كامل غير مشوب بأيّة تأثيرات، ولقد كان قبل الانتصارات التي حقّقتها المقاومة ممّا يعني أنّه لم يكن خاضعاً لهذا المؤثّر. إنّه طريق الحقّ ولقد اخترته، وأنا متمسّك به إن شاء الله تعالى.

المنبر: ألم ينتابك هاجس تشويه قضيّتك من قبل تلك المجلّة عندما عرضت عليك المقابلة؟

لقد قبلت بإجراء المقابلة وأنا في كامل اقتناعي بها، صحيح أنَّ بعض المقرَّبين لي نصحوني بعدم إجراء المقابلة لما يمكن أن تخلقه من تداعيات في ظلّ واقع سُنّي حسّاس، إضافة إلى دقّة الظروف التي تعيشها الساحة الآن، غير أنّني كنت أرى أنّه حقّ لا بدَّ وأن يصل إلى الناس بعد قرون طويلة من التغييب، وعلى الجميع أن يخرجوا من دائرة التعصّب هذه وينتقلوا إلى دائرة التعايش الرحبة.

المنبر: هل ترى أنَّ المستقبل هو للتشيّع في فلسطين؟

إنَّ مذهب أهل البيت عليهم السلام ما يزال في بدايته في فلسطين، لكنّني سأعمل إن شاء الله على نشره أنا وجمع من إخواني المؤمنين، راجياً من الله العلي القدير أن ينتشر هذا المذهب ليمهّد الطريق أمام قدوم مهدي آل محمّد عليه السلام.

المنبر: ماذا عن طبيعة نشاطاتك عقب إعلانك تشيّعك؟

لا أستطيع الإفصاح عنها كلّها، لكنَّني إن كان ولا بدَّ فأقول: إنَّني في مختلف المهرجانات الخطابية التي تقام في فلسطين والتي أخطب فيها للآلاف من الناس أركّز كلماتي على شخصيات ومواقف وسيرة أهل البيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يسهم كثيراً في تغيير الصورة السائدة في المجتمع تجاههم عليهم السلام حتَّى يعرفوا قدرهم ويقتدوا بهم فيتحقَّق النصر بإذن الله.

وأذكر ذات مرَّة أنَّني في إحدى المهرجانات الخطابية ولمناسبة انتصار المقاومة في لبنان ألقيت كلمة مركَّزة حول الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وقد قوبل هذا بردّ فعل غير سليم من قبل بعض المتكلّمين من حركة حماس حيث نشروا مقالاً بعنوان (هل بدأ الجهاد الإسلامي بنشر المذهب الشيعي في فلسطين؟). لقد عدّوا أنَّ مجرَّد حديثي عن الحسين عليه السلام هو مخطَّط لنشر التشيّع مرسوم من قبل قيادة الجهاد.

المنبر: ما هي الرسالة التي تودّ عبر (المنبر) أن توجّهها إلى المسلمين؟

أنصح أحرار العالم كافّة والمسلمين خاصّة على اختلاف مذاهبهم أن يتَّخذوا من الحسين عليه السلام وثورته على الظلم أنموذجاً ونبراساً يحتذون به، فلا يجوز السكوت على الظلم، كما إنَّني أرجو ألاَّ أكون آخر من يقول: (ثمّ اهتديت).

* * *

(٣٠)

محمّد عبد القادر الكاف

(شافعي/ إندونيسيا)

ولد سنة (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م) في إندونيسيا بمدينة (بإنجيل) ونشأ في أسرة شافعية المذهب، أكمل دراسته الثانوية في معهد يافي، ثمّ تعرَّف على بعض أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فتباحث معهم حول العديد من المسائل العقائدية حتَّى توصَّل إلى أحقّية مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ويقول (محمّد الكاف): (إنَّ أدلّة الشيعة وبراهينها العقائدية هي التي زرعت القناعة في عقلي، وإنَّ الشعائر الحسينية التي كان يقيمها الشيعة في بلدنا هي التي زرعت الحماس في قلبي، ودفعتني إلى تقبّل جميع المصاعب في سبيل نصرة الحقّ).

ويضيف (محمّد الكاف): (أعلنت استبصاري عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ولمَّا صلَّيت أوّل صلاة على وفق الفقه الشيعي ارتعدت فرائصي، وشعرت بالخشوع، وأحسست بأنَّني أُصلّي كما يريد الله، لأنَّني بلغت إلى مرحلة اليقين بأنَّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم أفضل سبيل لمعرفة الشريعة الإلهية).

تأثّره بالإمام الحسين عليه السلام

إنَّ من أهمّ القضايا التي تأثَّر بها (محمّد الكاف) هي مظلومية الإمام الحسين عليه

السلام، ولهذا قرَّر أن يكون من خطباء المنبر الحسيني، فتفرَّغ مدّة معيَّنة لهذا الأمر، ثمّ بدأ يقرأ المجالس الحسينية في إندونيسيا.

ومن جهة أخرى واصل (محمّد الكاف) نشاطه في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام عن طريق ترجمة الكتب الدينية الشيعية من اللغة العربية إلى اللغة الإندونيسية، فترجم عشرات الكتب من أجل نصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

يقول (محمّد الكاف): (استغرب أبي وأُمّي من استبصاري واعتناقي لمذهب التشيّع، وقالا لي: كيف سمحت لنفسك أن تؤمن بمذهب مليء بالأساطير والخرافات!

ولكنَّني تعاملت معهم برفق، وحاولت أن أبيّن لهم الحقائق بالتي هي أحسن، وكان أصدقائي يعيبون عليَّ سوء تصرّف بعض الشيعة، فكنت أبيّن لهم بأنَّني انتميت إلى مذهب التشيّع، وهناك فرق بين الشيعي بوصفه وبين التشيّع بوصفه مذهباً، وكلّ فرد هو المسؤول عمَّا يصدر عنه ولا ينبغي تحميل سوء فعله على انتمائه المذهبي، فإذا أساء أحد الشيعة فهو المسؤول عن إساءته، ولا ينبغي أن نقول بأنَّ هذا الشيعي أساء فالتشيّع سيّئ، لأنَّ الفرد قد يكون ملتزماً بمذهبه وقد لا يكون.

ولهذا ينبغي للإنسان الواعي أن يعرف الحقّ عن طريق الدليل والبرهان، وأن لا يكون سبب انتمائه المذهبي هذا الشخص أو ذاك الشخص، ولهذا قال الإمام علي عليه السلام:

«الحقّ لا يعرف بالرجال، أعرف الحقّ تعرف أهله»[1].

وبهذا الوعي الرفيع تمكَّن (محمّد الكاف) من الصمود أمام جميع العقبات التي واجهها في طريقه إلى الاستبصار وما بعد الاستبصار، وهو ما يزال في خدمة أهل البيت عليهم السلام.

(١) تفسير مجمع البيان ٤: ١٤٦.

(٣١)

معروف عبد المجيد

(مسيحي/ دمشق)

يقول الأستاذ: (ذات يوم كنت أبحث عن إذاعة القاهرة وفي يدي مـذياع صـغير، وأنا جالس وحدي في غرفتي. كنت أعيش حينها خارج مصر، وكان الشوق إليها يغمر قلبي ويستولي على مشاعري، ولم تكن الفضائيات قد ظهرت بعد.

وفجاءة، تناهى إلى أذني صوت رخيم عذب، فأوقفت مؤشّر المذياع، كان الأداء مختلفاً تماماً عن أداء كلّ ما سمعته من قبل، فازدادت دهشتي، كان الرجـل يتحـدَّث عـن الإمام الحسين عليه السلام وعن الكارثة المريعـة الـتي وقعـت في كـربلاء لا أدري في أيّ شهر من الشهور كنّا، وربَّما كنّا في شهر محرَّم.

في تلك الأيّام لم أكن قد عرفت بعدُ البكاء على الحسين عليه السلام ومعنى هـذا البكاء، ولكنَّني وجدت نفسي قـد غمرهـا حـزن شـديد، فأجهـشت بالبكـاء، وفاضـت الدموع من عيوني بغزارة وحرارة من دون إرادة، ورحت أبكي بمرارة وحرقة لم أعهدها

من قبل، إلى أن انتهى الحديث الذي استولى على جوانحي قادماً عبر الأثير، وقد تجسَّدت أمامي مصيبة أهل البيت الأطهار عليهم السلام. أعلن المذيع بأنَّ الإذاعة هي إذاعة طهران، ولكنَّه لم يذكر اسم المتحدّث، ولعلَّه بالطبع كان قد ذكره في البداية، فشعرت بالأسف الشديد لأنَّني كنت في شدَّة الشوق لمعرفة صاحب هذا الصوت القادم من خلف الحجب والأستار.

ومضت أيّام وشهور وسنوات إلى أن فاجأني الصوت نفسه قادماً من الإذاعة نفسها، ولكنَّني كنت هذه المرَّة في طهران..!

قرَّرت أن أكشف هذا اللغز العجيب، وأن أعرف صاحب الصوت الحسيني. لم يطل بي البحث، وما لبثت أن علمت أنَّه عميد المنبر الحسيني الخطيب البارع والشاعر الأديب الشيخ الدكتور أحمد الوائلي. وكان أن انفتحت أمام بصيرتي آفاق جديدة واسعة على قتيل العبرات الإمام الحسين عليه السلام).



(٣٢)

ناتالية

(مسيحية مارونية/ أستراليا)

ولدت سنة (١٩٧٢م) في أسرة مسيحية مارونية، وهي حاليّاً تواصل دراستها في إحدى جامعات السويد.

منطلق تعرّفها على الإسلام

كان سبيل تعرّفها على الإسلام هو الإنترنت، حيث بواسطته على الأصول والمبادئ والمعتقدات الإسلاميّة، ومن خلاله أجرت حواراً مع أحد أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فتحدَّث معها وبيَّن لها جملة من أصول ومبادئ الإسلام.

ومن هذا المنطلق تبيَّن للأخت (ناتالية) أنَّ المرأة لها في الإسلام كرامتها الإنسانية وحقوقها الفردية والاجتماعية وحرّياتها الحقيقية.

وعرفت أنَّ الإسلام أنهى كلّ المظالم الهمجية التي كان يمارسها أهل الجاهلية قبل الإسلام ضدّ المرأة، فحرَّم الإسلام وأد البنات، فقال تعالى:

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ (الإسراء: ٣١).

وحرَّم الإسلام أن تكون المرأة مجرَّد متعة جنسية، فقال تعالى:

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢).

ومنع الإسلام مصادرة حرّية المرأة عند الزواج، فقال تعالى:

﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

كما حرَّم الإسلام أخذ حقّ المرأة في الملكية، فقال تعالى:

﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء: ١٩).

ومن هذا المنطلق منح الإسلام دوراً هامّاً وعظيماً في تربية الأجيال، ولم يشرّع الإسلام للمرأة حكماً إلاَّ أن يكون فيه الكثير من الفوائد التي تزيد من جمالها ومكانتها عند الله تعالى.

توسيع نطاق معارفها العقائدية

توجَّهت (ناتالية) - بعد أن وقع حبّ الإسلام في قلبها - إلى دراسة هذا الدين بصورة علمية، فقرأت بعض الكتب الإسلاميّة عن طريق الإنترنت، ثمّ اندفعت إلى المقارنة بين المذاهب الإسلاميّة، فقارنت بين عقائد مذهب أهل السُنّة وعقائد مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ومن جملة الأمور التي هزَّت مشاعر (ناتالية) هي مأساة كربلاء، وما لقي فيها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته يوم عاشوراء، وكان هذا هو الأمر الذي دفعها إلى الميل نحو أهل البيت عليهم السلام، فدرست سيرة أهل البيت عليهم السلام، ثمّ تعرَّفت على فضائلهم ومناقبهم، ثمّ انجذبت نحو أحاديثهم وحِكمهم عليهم السلام، ثمّ استبصرت بشأنهم، وأعلنت اعتناقها مذهب التشيّع.

(٣٣)

نوئل ماهوني (حمزة باب)

(مسيحي/ بريطانيا)

عاش في بيئة بعيدة عن الأجواء الدينية وغير ملتزمة بأوامر الله تعالى وشرعه، ولكن قلبه الطيّب بدأ يشعر بالضيق من هذه الأجواء، فدفعه هذا الأمر إلى البحث للوصول إلى رؤية كونية مبتنية على البراهين والأدلّة.

واتَّجه (نوئل) بفطرته نحو الكمال، وشعر أنَّه يحبّ التسامي والوصول إلى الكمال، ويكره الانحطاط والتسافل.

ورأى (نوئل) بأنَّ الأجواء التي يعيش فيها لا تتلائم مع روحه، وأحسَّ بتنازع وصراع في نفسه بين فطرته السليمة المندفعة نحو الكمال ونفسه الأمّارة بالسوء والتي تغذّيها الأجواء المحيطة بها.

ووجد (نوئل) بأنَّه يتَّجه في الأزمات الصعبة التي يمرُّ بها نحو الباري عز وجل وأنَّه يعتقد بأنَّه لم يُخلق عبثاً، وإنَّما خلق لأهداف سامية يجدر به البحث عنها ومعرفتها لئلاَّ يقع في دائرة الخسران الأبدي.

ومن هنا وجد (نوئل) في نفسه المحفّز للبحث من أجل إشباع تعطّشه المعنوي، ومن أجل التحرّر من الضياع الفكري الذي يعاني منه.

منطلق التأثّر بالتشيّع

يقول (نوئل): (صادف أن شاركت ذات يوم في المجالس الحسينية التي يقيمها الشيعة في بريطانيا، فتأثَّرت كثيراً بما سمعت من الأحداث التي وقعت في النهضة الحسينية، ورأيت مدى تأثّر الناس بها، وما فيها من آثار وبركات عظيمة من شأنها إعادة التوازن في الصعيد الاجتماعي).

لماذا وقعت النهضة الحسينية؟

تتضمَّن نهضة الإمام الحسين عليه السلام الأنموذج الأسمى للقيم الأخلاقية التي ينبغي أن يتَّبعها كلّ إنسان، فقد جسَّد الإمام الحسين عليه السلام كلّ القيم السامية في مقابل الرذائل والانحرافات التي تجسَّدت في أعدائه.

وقد كان غريباً على المسلمين آنذاك أن يروا شخصاً يجسّد هذا النوع من القيم الأخلاقية السامية مضحّياً بحياته وكلّ ممتلكاته، لأنَّ أبناء المجتمع آنذاك كانوا منغمسين في ملذّات الحياة الدنيوية وكان الخمول مهيمناً عليهم، ولهذا كانوا بعيدين عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان هذا الأمر نتيجة السياسة التي اتَّبعها معهم معاوية بن أبي سفيان بحيث جعلهم يتَّبعون السلطان ولو كان السلطان شخصاً معروفاً بالفسق والفجور وشرب الخمر وملاعبة القردة.

ومن هنا قست قلوب الناس بحيث لم يصعب عليهم ارتكاب الجرائم الكبرى، ولهذا قتلوا ابن بنت نبيّهم بسهولة، وهذا ما يبيّن فداحة الانحطاط الأخلاقي وغير الإنساني الموجود في تلك الحقبة الزمنية المظلمة.

التضحية من أجل العقيدة

رأى (نوئل) بأنَّ من أبرز معطيات النهضة الحسينية هي التضحية من أجل

العقيدة، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام عندما توفَّرت له الفرصة المناسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة مسلَّحة، لم يتردَّد في ذلك لحظة واحدة، بل نادى بصوت عالٍ أمام الناس:

«ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه!؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلاّ بَرَما»[1].

فوجد (نوئل) أنَّ هذا الدين الذي ضحّى من أجله الإمام الحسين عليه السلام يستحقّ هذا الاهتمام منه، فتوجَّه بكلّ وجوده إلى معرفة هذا الدين في ضوء دراسة التاريخ ومعرفة الدين الحقّ.

وبعد مضي مدَّة من البحث وجد (نوئل) بأنَّ هذا الدين هو الدين الحقّ وأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم طريق النجاة، فوجد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كما ورد في الحديث الشريف:

«مصباح الهدى وسفينة النجاة»[2].

فأضاء (نوئل) حياته المظلمة بنور هذا المصباح الإلهي والتحق بسفينة الإمام الحسين عليه السلام، فأعلن استبصاره عام (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

وأصبح (نوئل) بعد ذلك من المبلّغين الداعين إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام في جامعة لندن التي كان يدرّس فيها العلوم السياسية وتحمَّل المصاعب كافّة في سبيل إعلاء كلمة الحقّ، وغدا ناصراً لدين الله في تلك الأوساط التي يحيطها الظلام الدامس من كلّ جانب، فرفع اسم الإمام الحسين عليه السلام ليضيء به ذلك المكان عسى أن يوجد من يهتدي إلى سواء السبيل.

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٨٦؛ المعجم الكبير للطبراني ٣: ١١٥/ ح ٢٨٤٢.
(٢) مدينة المعاجز ٤: ٥٢/ ح (١٠٨٠/١٣٣).

(٣٤)

وارتون كرباسي (حسين اثنا عشري)

(مسيحي/ فرنسا)

المولد والنشأة

ولد (وارتون كرباسي) بقرية (فونتنبلو) التي تبعد عن (باريس) قرابة الخمسين كيلومتراً في فرنسا. أكمل دراسته الأكاديمية في دار المعلّمين. وفي عام (١٩٥١م) غادر فرنسا متوجّهاً إلى بريطانيا لإكمال دراسته التخصّصية في هندسة الراديو والكهرباء، وقد بقي في بريطانيا مدَّة أربع سنوات وبضعة أشهر، عاد بعدها إلى باريس.

سفر آخر

لم يبقَ (وارتون) طويلاً في فرنسا، حيث وقّع عقداً عام (١٩٥٦م) مع إحدى شركات الطيران لمدَّة سنة واحدة في مطار (مهر آباد) الدولي في طهران عاصمة إيران، قسم الشعبة الفنّية.

وبعد انقضاء المدَّة رجَّح البقاء في إيران. وهكذا قضى ثلاث سنين عمل فيها مترجماً في المعاهد التجارية المختلفة.

لله في خلقه شؤون!

اغتنم (وارتون كرباسي) أوقات فراغه في إيران بالمطالعة والدراسة حول الدين الإسلامي بنحو عام والمذهب الشيعي بنحو خاص، كما قرأ القرآن عدَّة مرَّات ليرى ما فيه من كنوز وذخائر.

وشاءت الحكمة الإلهية أن يصاب بمرض عضال، وبمرور الأيّام أخذت شدَّة المرض وآلامه تزداد، وتزداد معها المعاناة. فقرَّر الأطباء - ونتيجة الفحوصات التي أجريت له - إجراء عملية جراحية، ولكنَّه بالرغم من ذلك لم ييأس ولم يستسلم، وبقي متعلّقاً بأمل الشفاء!

نقطة التحوّل

تزامنت شدَّة المعاناة مع شهر محرَّم الحرام، يقول (وارتون): (كانت بجواري دار واسعة أُعدَّت للتعزية بالمناسبة، وكانت المآتم تقام في الليالي وتُلقى فيها ذكريات المصائب... فاتَّفق ذات ليلة أن قدَّم إليَّ أحد خدمة المأتم طبق شاي، وقال: أيّها السيّد! تشتهي أن تشرب شاي الإمام الحسين عليه السلام، فقبلت منه على اشتياق ورغبة تامّين، وعندما لمست شفتاي ذلك الشاي، أحسست أنَّ نوراً خاطفاً أضاء في فكري، فناجيت ربّي: (إلهي بحرمة الإمام الحسين ومنزلته أرني معجزة خارقة لأستريح من هذه الآلام، ومن شدَّة المرض...)، وفي اليوم التالي وعند نهوضي من فراشي رأيت عجباً، إنَّ المعجزة وقعت، وشفيت...

إنَّ مطالعاتي السابقة حول الإسلام، وهذه الواقعة العجيبة التي شاهدها عيناي، أثَّرت أثرها في نفسي، فصمَّمت على اعتناق الدين الإسلامي).

وبعدها توجَّه إلى مدينة قم المقدَّسة، وحضر عند أحد العلماء الأعلام ونطق بالشهادتين، وتسمى باسم (حسين اثنا عشري).

(٣٥)

هاريداس (غلام حسين)

(هندوسي/ الهند)

كان (هاريداس) صاحب محلّ لتجارة الأقمشة في سوق (دلهي) في الهند منذ سنوات طويلة، وكان طيّب الخلق وعلاقته طيبة مع جميع أصحاب المحلاّت المجاورة، وأكثرهم كانوا مسلمين من الشيعة والسُنّة، وبحكم هذه العلاقة الطويلة لاحظ بأنَّ بعض المحلاّت لا تفتح بعض الأيّام، فلمَّا سأل عن السبب قالوا له بأنَّهم شيعة ويتشاءمون من التجارة في أيّام عاشوراء والمناسبات الدينية الحزينة لآل البيت عليهم السلام، وبأنَّهم يعدّون هذه الأيّام أيّام حزن، ويقومون ببعض الشعائر الدينية للتعبير عن حزنهم.

تفهَّم (هاريداس) الوضع ولم يعد يسأل في السنوات الأخرى، وفي يوم من الأيّام قال له أحد التجّار الشيعة: يمكننا أن نرسل لك بعض الأكل من الحسينية للتبرّك إذا أردت، فهو طبعاً لم يكن يؤمن بعقائد المسلمين ولم يعرف شيئاً عن الشيعة غير ما قيل له عندما سأل أصحابه في السوق عن سبب إغلاقهم لمحلاّتهم، ولكنَّه رحَّب بالعرض وفرح.

ومن ذلك اليوم كانوا يرسلون له الأكل في كلّ عاشوراء وبعض المناسبات الأخرى، وكان يشكرهم عندما يرجعون إلى تجارتهم ويذكّرهم بأن لا ينسوه في المناسبات القادمة.

وفي عاشوراء من سنة (١٩٩٧) ميلادية عندما أرسلوا له الطعام تفاجأوا بأنَّ محلّه كان مغلقاً، وفي اليوم التالي أيضاً كان مغلقاً، وقال صاحبه الشيعي (جاويد) الذي يرسل له الطعام: لا بأس سنرى ما به بعد انقضاء مناسبة عاشوراء، حيث لم يكن يعلم شيئاً عن محلّ إقامته سوى أنَّه يبعد عن السوق بحوالي ساعة بالسيّارة.

وبعد انقضاء عاشوراء رجع التجّار إلى محلاّتهم وهو ما زال غائباً ولم يفتح دكّانه، فقرَّر (جاويد) الشيعي أن يزوره في بيته للتعرّف على سبب تغيّبه عن السوق، وبعد السؤال والبحث الطويل عرف أين يسكن فأخذ معه أحد التجّار الآخرين وانطلقوا باتّجاه الحيّ الذي يسكنه وأخيراً وجدوا منزله، واستأذنوا للدخول فقالت زوجته: تفضَّلوا فهو مريض ومستلق في الفراش لأنَّ الطبيب نصحه بالراحة وقد تناول قبل قليل بعض الأدوية، ودخلوا عليه ووجدوه شاحب الوجه وآثار المرض واضحة عليه، وعلموا منه بأنَّه مصاب بورم خبيث في المخّ، ويبدو بأنَّ المرض قد تطوَّر من دون أن يعلم وكان يعتقد أنَّ الصداع الشديد الذي يعاني منه مجرَّد شيء اعتيادي بسبب التعب والتوتّر ولذلك لم يذهب إلى طبيب مختصّ في المخّ والأعصاب من قبل، ولكن هذه المرَّة نُقل إلى المستشفى مغمياً عليه وبعد الفحوصات الدقيقة تبيَّن بأنَّه مصاب بهذا الورم الخبيث في المخّ، ووصف الأطباء له بعض الأدوية المهدّئة للألم وقالوا له بأنَّه يحتاج إلى عملية جراحية ونسبة نجاحها ليست كبيرة، أو الخيار الثاني هو أن يعيش على المهدّئات ما بقي له من عمر. وطلب (جاويد) منه أن يعطيه رقم هاتفه لكي يطمئنّ على أحواله بين مدة وأخرى.

وبقى (هاريداس) غائباً عن محلّه حتَّى جاءت مناسبة أربعينية الحسين فاتَّصل به (جاويد) ليلة الأربعين ليقول له بأنَّه سوف يرسل له الطعام إلى منزله غداً، فأجابه (هاريداس): لا ترسل، قل لي أين تكون غداً وآتي أنا بنفسي لتناول الطعام، فأجابه: لا داعي أن ترهق نفسك وأنت مريض، فقال: يمكنني التحرّك بشكل طبيعي ولكن زوجتي هي التي سوف تقود السيّارة، فأجابه (جاويد): لا بأس سوف أكون بانتظارك، وأعطاه عنوان الحسينية.

وفي اليوم التالي عندما ذهب ليرى صاحبه (جاويد) واستقبله عند رأس الشارع الذي يؤدّي إلى الحسينية حيث اتَّفقوا وبعد ذلك اصطحبه إلى مكان تجمّع المعزّين أمام الحسينية و(هاريداس) ينظر إليهم مذهولاً حيث لم يرَ مواكب عزاء الحسين من قبل، وكأنَّه يتساءل: من هذا الذي يستحقّ كلّ هذا الحزن لأكثر من ألف عام؟ وبينما كان ينظر إلى الأعلام واللافتات وقعت عيناه على صورة من صور الإمام الحسين عليه السلام، وبدأ يصرخ: هذا هو الرجل، هذا هو الرجل.. وكرَّر العبارة عدَّة مرَّات وهو يبكي بكاءً شديداً حتَّى أُغمي عليه، فأخذوه إلى مستشفى قريب من المنطقة ولكنَّه استفاق من غيبوبته بعد مدّة قصيرة، ولكن لم يستعد وعيه كاملاً لعدَّة دقائق وكان يردّد: حسين، حسين، حسين... ووصفوا للطبيب مرضه، فاقترح الطبيب أن يغادر المستشفى بعد أن يأخذ قسطاً من الراحة عندهم وأن يواصل تناول الأدوية التي وصفت له من قبل الطبيب المختصّ.

وبعد قليل أصبح (هاريداس) واعياً وسأله صاحبه (جاويد) ومعه شخص آخر وزوجة (هاريداس) عمَّا حصل له فقال لهم:

بأنَّه لَّما اتَّصل (جاويد) به هاتفياً ليخبره أنَّه سوف يرسل له طعام من الحسينية

تذكَّر بأنَّه قد حلم حلماً قبل أيّام قليلة بغلام عليه ثوب أبيض وعمامة خضراء يقول له: يا (هاريداس) سيّدي يقول لك: هذه المرَّة أنت مدعوّ لتناول الطعام في بيته، فأجابه: أشكر سيّدك على هذه الدعوة ولكن من هو سيّدك وأين بيته؟ فأجابه الغلام: الجميع يعرف سيّدي وأنت أيضاً أكلت من مائدته مرَّات عديدة، وأخرج من جيبه صحيفة عليها صورة الإمام وقال: هذا هو سيّدي.

وقال (هاريداس) بأنَّه أصرَّ للذهاب بنفسه بسبب هذا الحلم وبأنَّه رأى نفس الصورة التي أراه إيّاها الغلام في الحلم على اللافتات في موكب العزاء ولذلك صرخ قائلاً: (هذا هو الرجل) عدَّة مرَّات حتَّى أُغمي عليه.

وقال: بعد أن أُغمي عليَّ جاءني رجل جليل والنور يحيط به من كلّ جانب، قال: «أنا الحسين، وهؤلاء هم شيعتنا الذين ينالون شفاعتنا يوم المحشر، ولأنَّك تحبّهم أتمنّى أن تكون معهم لكي تنالك شفاعتنا وتنجو من نار جهنَّم»، وقبل أن يرحل قال: «هل يؤلمك شيء في جسدك؟»، فقلت: نعم يا سيّدي يقولون بأنَّني سوف أموت من هذا الورم الذي نما في رأسي، فوضع طرف العصا التي بيده على رأسي وقال: «لا تخف سوف تعيش سالماً معافىً بإذن الله» ثمّ اختفى، وأخذت أناديه: حسين، حسين، حسين، بأعلى صوتي ولكنَّه رحل.

ولم ينتبه (هاريداس) بعد بأنَّ ما حصل له هي معجزة من معجزات سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، (جاويد) يستمع إليه ودموعه تنهمر على خدّيه، وشعر بهذه المعجزة ولكن لم يكن يريد التسرّع بإخبار (هاريداس) حتَّى أن يذهب إلى الطبيب المختصّ ويأخذ أشعّة جديدة.

وفي اليوم التالي خرج (هاريداس) من المستشفى الذي دخله بشكل مؤقَّت وشعر

بأنَّ حالته قد تحسَّنت من دون أيّ تغيير في العلاج، فاقترح عليه (جاويد) بالذهاب إلى الطبيب المختصّ وأخذ أشعّة جديدة ربَّما هناك شيء قد تغيَّر، وبالفعل ذهب في اليوم التالي واتَّصل هاتفياً بـ(جاويد) وهو في حالة بكاء شديدة لا يكاد يستطيع أن يتحدَّث: (جاويد لقد شفيت كما قال الحسين، جاويد الطبيب يقول لي: لا أثر للورم، الطبيب لا يصدّق ما حصل).

وقد تحوَّل (هاريداس) الهندوسي إلى (غلام حسين) المسلم الشيعي بفضل أبي عبد الله الحسين عليه السلام. وتشيَّعت أيضاً زوجته وعلَّما طفليهما أن يتمسّكا بولاية أهل البيت عليهم السلام وأن لا يبدّلوا تبديلاً.

❊ ❊ ❊

مصادر التحقيق

١. القرآن الكريم.

٢. **أبصار العين في أنصار الحسين**: السماوي/ ط١/ مط حرس الثورة/ ١٤١٩هـ .

٣. **الاحتجاج**: الطبرسي/ ت محمّد باقر الخرسان/ دار النعمان/ ١٣٨٦هـ .

٤. **الإرشاد**: الشيخ المفيد/ ت مؤسسة آل البيت/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.

٥. **الاستبصار**: الشيخ الطوسي/ ط ٤/ ١٣٦٣ش/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.

٦. **الاستيعاب**: ابن عبد البرّ/ ت البجاوي/ ط ١/ ١٤١٢هـ/ دار الجيل/ بيروت.

٧. **أُسد الغابة**: ابن الأثير/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٨. **الإصابة**: ابن حجر/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٩. **أعيان الشيعة**: السيّد محسن الأمين/ ت حسن الأمين/ دار التعارف/ بيروت.

١٠. **الأمالي**: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ ط١/ ١٤١٧هـ/ مؤسسة البعثة.

١١. **الأمالي**: الشيخ المفيد/ ط٢/ ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.

١٢. **الإمامة والسياسة**: ابن قتيبة الدينوري/ ت الزيني/ مؤسسة الحلبي.

١٣. **أنساب الأشراف**: البلاذري/ ط١/ ١٣٩٤هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

١٤. **الأنساب**: السمعاني/ ت البارودي/ ط١/ ١٤٠٨هـ/ دار الجنان/ بيروت.

١٥. **بحار الأنوار**: العلاّمة المجلسي/ ط ٢ المصحَّحة/ ١٤٠٣هـ/ مؤسسة الوفاء/ بيروت.

١٦. **البداية والنهاية**: ابن كثير/ ط ١/ ١٤٠٨هـ/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٧. **بصائر الدرجات:** الصفّار/ ١٤٠٤هـ/ مط الأحمدي/ منشورات الأعلمي/ طهران.

١٨. **تاريخ ابن خلدون:** ابن خلدون/ ط ٤/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٩. **تاريخ الإسلام:** الذهبي/ ت تدمري/ ط١/ ١٤٠٧هـ/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٢٠. **تاريخ الطبري:** الطبري/ ط ٤/ ١٤٠٣هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

٢١. **تاريخ اليعقوبي:** اليعقوبي/ دار صادر/ بيروت.

٢٢. **تاريخ مدينة دمشق:** ابن عساكر/ ت علي شيري/ ١٤١٥هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٢٣. **تفسير الطبري:** ابن جرير الطبري/ ت خليل الميس/ ١٤١٥هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٢٤. **تفسير الميزان:** السيّد الطباطبائي/ منشورات جماعة المدرّسين/ قم.

٢٥. **تفسير فرات الكوفي:** فرات الكوفي/ ط ١/ ١٤١٠هـ/ مؤسسة طبع ونشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي/ طهران.

٢٦. **تفسير مجمع البيان:** الطبرسي/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

٢٧. **تهذيب الأحكام:** الشيخ الطوسي/ ط ٣/ ١٣٦٤ش/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.

٢٨. **تهذيب الكمال:** المزي/ ط ٤/ ١٤٠٦هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٢٩. **ثواب الأعمال:** الشيخ الصدوق/ ط٢/ ١٣٦٨ش/ منشورات الشريف الرضي/ قم.

٣٠. **دلائل الإمامة:** الطبري (الشيعي)/ ط١/ ١٤١٣هـ/ مؤسسة البعثة/ قم.

٣١. **ذخائر العقبى:** أحمد بن عبد الله الطبري/ ١٣٥٦هـ/ مكتبة القدسي/ القاهرة.

٣٢. **سنن ابن ماجة:** ابن ماجة القزويني/ دار الفكر/ بيروت.

٣٣. **سنن أبي داود:** ابن الأشعث السجستاني/ ط١/ ١٤١٠هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٣٤. **سنن الترمذي:** الترمذي/ ط٢/ ١٤٠٣هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٣٥. **سنن الدارقطني:** الدارقطني/ ط١/ ١٤١٧هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٣٦. **سنن الدارمي:** عبد الله بن بهرام الدارمي/ ١٣٤٩هـ/ مط الاعتدال/ دمشق.

٣٧. **السنن الكبرى:** البيهقي/ دار الفكر/ بيروت.

٣٨. **سنن النسائي:** النسائي/ ط ١/ ١٣٤٨هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٣٩. **سير أعلام النبلاء:** الذهبي/ ط٩/ ١٤١٣هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٤٠. **السيرة الحلبية:** الحلبي/ ١٤٠٠هـ/ دار المعرفة/ بيروت.

٤١. **شرح إحقاق الحقّ:** السيّد المرعشي/ مكتبة المرعشي/ قم.

٤٢. **شرح مسلم:** النووي/ ١٤٠٧هـ/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٤٣. **شرح نهج البلاغة:** ابن أبي الحديد/ ط١/ ١٣٧٨هـ/ دار إحياء الكتب العربية.

٤٤. **صحيح ابن حبّان:** ابن حبّان/ ت الأرنؤوط/ ط ٢/ ١٤١٤هـ/ مؤسسة الرسالة.

٤٥. **صحيح البخاري:** البخاري/ ١٤٠١هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٤٦. **صحيح مسلم:** مسلم النيسابوري/ دار الفكر/ بيروت.

٤٧. **الطبقات الكبرى:** محمّد بن سعد/ دار صادر/ بيروت.

٤٨. **عيون أخبار الرضا:** الشيخ الصدوق/ ١٤٠٤هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

٤٩. **الفتوح:** أحمد بن أعثم الكوفي/ ت علي شيري/ ط١/ ١٤١١هـ/ دار الأضواء.

٥٠. **قرب الإسناد:** الحميري القمي/ ط١/ ١٤١٣هـ/ مط مهر/ مؤسسة آل البيت/ قم.

٥١. **الكافي:** الشيخ الكليني/ ط٥/ ١٣٦٣ش/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.

٥٢. **كامل الزيارات:** ابن قولويه/ ط١/ ١٤١٧هـ/ مؤسسة نشر الثقافة.

٥٣. **الكامل في التاريخ:** ابن الأثير/ ١٣٨٦هـ/ دار الصادر/ بيروت.

٥٤. **الكشّاف:** الزمخشري/ ١٣٨٥هـ/ مصر.

٥٥. **كفاية الأثر:** الخزّاز القمي/ ١٤٠١هـ/ مط الخيام/ انتشارات بيدار.

٥٦. **كنز العمّال:** المتّقي الهندي/ ت بكري حياني/ ١٤٠٩هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٥٧. **لسان الميزان:** ابن حجر/ ط٢/ ١٣٩٠هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

٥٨. **اللهوف في قتلى الطفوف**: ابن طاووس/ ط١/ ١٤١٧هـ/ أنوار الهدى/ قم.

٥٩. **مثير الأحزان**: ابن نما الحلّي/ ١٣٦٩هـ/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف.

٦٠. **مجمع الزوائد**: الهيثمي/ ١٤٠٨هـ/ دار الكتب العلمية/ بيروت.

٦١. **مدينة المعاجز**: هاشم البحراني/ ط١/ ١٤١٣هـ/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ قم.

٦٢. **المستدرك**: الحاكم النيسابوري/ إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

٦٣. **مسند أبي يعلى**: أبو يعلى الموصلي/ ت حسين سليم أسد/ دار المأمون للتراث.

٦٤. **مسند أحمد**: أحمد بن حنبل/ دار الصادر/ بيروت.

٦٥. **المصنّف**: ابن أبي شيبة/ ت سعيد اللحّام/ ط١/ ١٤٠٩هـ/ دار الفكر/ بيروت.

٦٦. **مطالب السؤول**: ابن طلحة الشافعي/ ت ماجد بن أحمد العطية.

٦٧. **المعجم الكبير**: الطبراني/ ط٢ مزيَّدة ومنقَّحة/ دار إحياء التراث العربي.

٦٨. **مقاتل الطالبين**: أبو الفرج الأصفهاني/ ط٢/ ١٣٨٥هـ/ المكتبة الحيدرية/ النجف.

٦٩. **مقتل الحسين**: أبو مخنف الأزدي/ ت حسين الغفاري/ مطبعة العلمية/ قم.

٧٠. **من لا يحضره الفقيه**: الشيخ الصدوق/ ط٢/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.

٧١. **مناقب آل أبي طالب**: ابن شهر آشوب/ ١٣٧٦هـ/ المكتبة الحيدرية/ النجف.

٧٢. **المناقب**: الموفّق الخوارزمي/ ط٢/ ١٤١٤هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.

٧٣. **ميزان الاعتدال**: الذهبي/ ط١/ ١٣٨٢هـ/ دار المعرفة/ بيروت.

٧٤. **نهج البلاغة**: الشريف الرضي/ ط١/ ١٤١٢هـ/ مط النهضة/ دار الذخائر/ قم.

٧٥. **وفيات الأعيان**: ابن خلكان/ ت إحسان عبّاس/ دار الثقافة/ بيروت.

٧٦. **ينابيع المودَّة**: القندوزي/ ط١/ ١٤١٦هـ/ دار الأسوة.

المحتويات